دكتور
عبد الفتاح مقلد الغنيمى

إســرائيـل إلى زوال

(الماضى - الحاضر - المستقبل)

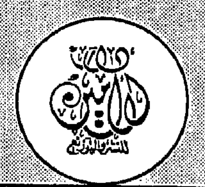
١٤١٧هـ - ١٩٩٦م



إسرائيل إلى زوال

(الماضي - الحاضر - المستقبل)

بسم الله الرحمن الرحيم
فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض
صدق الله العظيم



DAR AL AMEEN

طبع * نشر * توزيع

القاهرة : ١٠ ش بستان الدكة
من شارع الألفى
(مطابع سجل العرب)
تليفون : ٩٣٢٧٠٦
ص.ب :١٣١٥ العتبة ١١٥١١
الجيزة : ٨ ش أبو المعالى
(خلف المعهد البريطانى) العجوزة
تليفون / فاكس : ٣٤٧٣٦٩١
١ ش سوهاج من ش الزقازيق
خلف قاعة سيد درويش بالهرم
ص.ب : ١٧٠٢ العتبة ١١٥١١

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

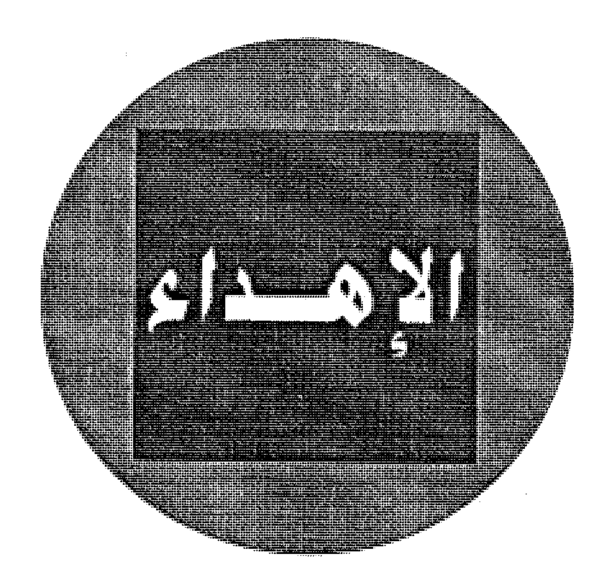
رقم الإيداع ٨٣٦٤/ ١٩٩٦

ISBN

977-279-087-4

الإخراج الفنى :
نصر حسن سليمان

الفهرست



إلى كل قطـــرة دم أريقت مـن أجل فلسطين عبر الحروب والمعـــارك وعبر الصراعات الداخلية وعبر المهمات السرية .

إلى مائة ألف شهيد مصرى وكل شهيد عـربى ومسلم ومن شتى أرجاء العالم قاتل من أجل نصرة فلسطين .

وإلى الذين يدركـون بعد الصراع القائم فى ظل اختلال ميزان القـوى العالمية فكانت مرحلة السلام ، إدراكًا للتحديات المستقبلية .

إلى الأجيال القادمة على درب الحياة عبر السنوات القادمة الذين لايعلمون أن حيفا ، يـافا ، عكا ، عسقلان ، أم الـرشراس ، المجدل ، الرملة ، أشـدود ، وغيرها من المدن الفلسطينية مدنًا عربية ضاعت قبل عام ١٩٤٨م .

إلى الذين يقفون بصلابة ضد محاولة اغتيال الذاكرة التاريخية العربية .

إلى الـذين يعملـون للمحـافظـة على الهويـة العـربيةوالشخصية العـربيـة ويصارعون من أجل عدم طمس هذه الهوية حتى لا تكون عربية - عبرية .

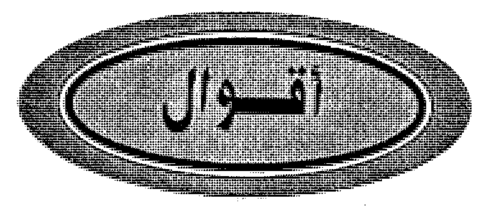
إلى كل هؤلاء هـذه الدراسـة علامـة على طريق المستقبل ، بل ومضـة مضيئة تحفل بالأمـل فى ظل حالة التمـزُّق النفسى التى يعيشها المواطن العـربى والمسلم . من أجل القدس أولى القبلتين وثالث الحرمين .

دكتور

عبد الفتاح مقلد الغنيمى

الأحد ١٢ ذى القعـدة ١٤١٦هـ

٣١ مارس (أذار) ١٩٩٦م



- « القرآن الكريم والمسجد الأقصى ينهيان لا محالة وجود إسرائيل » المؤلف.
- « ما دام هناك مسلم واحد يقرأ سورة الإسراء فستنتهى إسرائيل » المؤلف.
- « إن إسرائيل ستموت بالسكتة القلبية وأنها ستختفى فجأة كالأشباح » .

جمال حمدان

- « إن إسرائيل فيل فى وسط الأحراش » .

أيهود باراك (وزير خارجية إسرائيل ١٩٩٦)

- « لولا مذبحة دير ياسين لما قامت إسرائيل » .

مناحم بيجن (رئيس وزراء إسرائيل الأسبق)

- « أسهمت مذبحة دير ياسين مع غيرها من المجازر فى تفريغ فلسطين من العرب » .

مناحم بيجن

- « الإرهاب اليهودى فى الثلاثينات هو الذى سمح بإنشاء دولة إسرائيل » .

دومنيك شوفالييه (أستاذ تاريخ العالم العربى والإسلامى بجامعة السوربون)

- « إن القنابل البشرية الفلسطينية خلقت توازنًا مع القنابل الذرية الإسرائيلية » المؤلف.
- « إن قصاصة من الورق لن تغير من حقيقة أن إسرائيل أرض فلسطينية » .

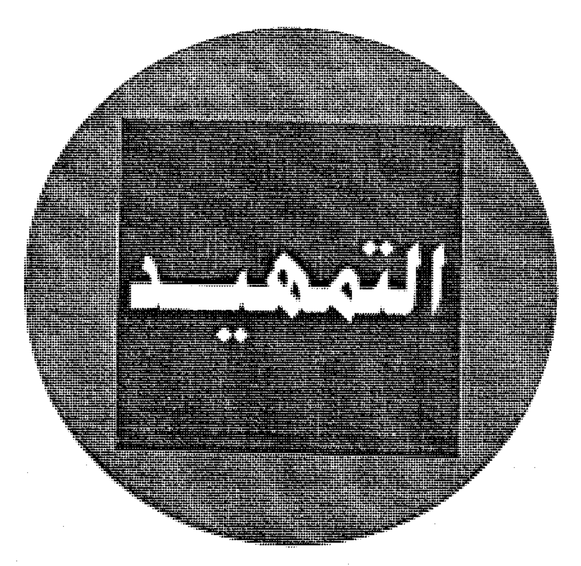
موريس بارديس

- « إن قيام دولة لإسرائيل تعتمد على حدود مسلحة لن يكون إلا مؤقتًا ولن تدوم » .

اليهودى أينشتين (أبو القنبلة الذرية)

- « إن كل حل لا يزيل إسرائيل لا محل له من البحث العلمى » . **جمال حمدان**
- « لقد غير الاستعمار طريقة تسلله إلى أرضنا فى حين أننا لم نغير طريقة مواجهتنا له » .

جمال عبد الناصر



مصر كانت ولا زالت دولة محورية بل هى قطب الرحى ومركز الدائرة وحجر الزاوية فى كل ما يخص العالم العربى والشرق الإسلامى ، فتاريخها الحضارى والسياسى يؤهلها لأن تكون هى المحور المحرك للأحداث سلمًا أو حربًا ؛ ولذا فإن دورها معروف بل أن ما تقوم به مراكز الأبحاث التى تعمل لحساب قوى معادية لمصر بالقول بأن مصر دولة هامشية فى خريطة العالم الجديد بعد انهيار الاتحاد السوفيتى وأن هناك قوى جديدة تكون ركائز الشرق الأوسط أقوال مغالطة للحقيقة ؛ ذلك لأن الدور المحورى المصرى كان ولا يزال وسيظل من خلال الدعوة التى أطلقها الرئيس محمد حسنى مبارك للدعوة لمؤتمر صانعى السلام الذى عقد فى مدينة « شرم الشيخ » المصرية فى سيناء صباح الأربعاء ١٣ مارس ١٩٩٦ من الساعة الثانية عشرة إلى الثالثة بعد الظهر بالتوقيت المحلى لمدينة القاهرة ومهما ، تكن الأهداف المتعددة لمؤتمر صانعى السلام والأغراض التى دعت إلى عقده فإن المؤتمر قد ضم إحدى وثلاثين دولة من بينها أربع عشرة دولة عربية . ومنها الولايات المتحدة وروسيا الاتحادية الراعيتين لمؤتمر السلام فى مدريد .

ولقد تابعت وشـاهدت وتابع معى الملايين من العرب والمسلمين وكافـة أنحاء العالم على شاشات التليفزيون كيف كـان يجلس شيمون بيريز ، رئيس وزراء إسرائيل (السابق)مستأسدًا متنمرًا ينظر شذرًا إلى أصحاب الدشاشات (الغطر) كأنهم جرذان ، ناسيًا أن هؤلاء هم أحفاد صانعى الحضارة الإسلامية أحفاد عمر بن الخطـاب ، خالد بن الوليد ، سعد بن أبى وقاص ، أبو عبيدة بن الجراح ، عمرو بن العاص ، عقبة بن نافع ، موسى بن نصير وغيرهم الكثيرين من القادة العظام الذين أوصلـوا رسالة الإسلام إلى حدود الصين شرقًا وفرنسـا غربًا ، ومن سيبيريا شمـالاً إلى قـرب خط الاستواء جنوبًـا . دولة إسلامية كـانت تشمل ثلاث قارات (أفـريقيا - آسيـا - أوربـا) ولكن لم يكتف شيمـون بيريز بهذا فقط بـل قال فى جلسـة كهـذه وعلى أرض الكنانـة : (مصر القرآن والسنـة) إنه يتحـدث من منطلق القـوة ولم يعر أى احترام ولا تقـدير وكأنه يـريد أن يخيف الشـعوب العـربية فمـا الـداعى لكلمة القـوة هـذه ، ولكن قد يكـون له عـــذره فإن ما دار وراء الكـواليس جعلـه يفقد أعصـابـه أكثر ممـا فقـدت من إثر العمليـات الانتحارية الأربع فى تل أبيب وعسقلان والقدس التى أودت بحياة أكثر مما خسرته إسرائيل فى حرب ١٩٦٧ ، بل إن الـذين شاهدوا شيمون بيريـز ، وهو ينظر متميزًا يكـاد ينفجر من الغيظ وهـو ينظر إلى وزيـر خارجيـة السعـودية (سعـود الفيصل) عنـدما قـال : « إن الإرهاب هـو الإرهـاب فحـــادث القـدس والمسجـد الأقصى وحـــادث المسجـد الإبـــراهيمى ، واغتيـال جولدشتاين للمصلين فى فجر شهر رمضان هو الإرهاب » .

إنه كاد أن يلتهمـه ، ولقد كان المصوِّر التليفزيـونى نابهًا عندما أدار عدسـة التصوير على وجه شيمون بيريز ليرى المشاهد كيف يكون السـلام مع هذه النوعيات من القادة ، لكن بيريز قد يكـون له عـذره لا سيما بعد أن أصر الـرئيس محمد حسنى مبـارك والقادة العـرب على كبح جماح بيريز وراء الكواليس ، وشطب كلمة « الإسلامى » من البيان الذى كان يرى هو أن ينص على مكافحة الإرهاب الإسلامى . هـذه واحدة مما شاهدته وتابعته ومـا شعرت به خلال ثلاث ساعات هى فترة الجلسة العلنية .

ونحن حين نقول لشيمون بيريز : فلتقل مـا تقول ولتهنأ بفلسـطين لك وجيلك وأحفادك من بعدك ، إن إسرائيل لم يكتمل اغتصـابها لفلسطين إلى نصـف قرن منذ اغتصـاب (حيفا - يافـا - عكا - عسقلان - أشـدود - أم الرشراش - المجـدل - أرسوف - الرملـة) وغيرها من الأراضى الفلسـطينية (١٩٤٨ - ١٩٩٦م) ولكن هل يدوم لك هـذا الاغتصاب قرن أو قرنين

أو ثلاثة قرون (مائة عام) أو أربعة قرون ، ولكن كلاً وألف كلا ولن تدوم لك ولأحفادك خمسة قرون ، فإن لكل بداية نهاية ودوام الحال من المحال ، إنك لا تقرأ التاريخ كما لم يقرؤه كل الإسرائيليين ، وإلا لما قبلوا أن يغتصبوا أرض فلسطين ، وأعود بالذاكرة إلى ما حدث إثر حرب ٥ يونيو ١٩٦٧م و التى يمر عليها الآن تسعة وعشرين عامًا أو معركة الأيام الست التى احتلت بها إسرائيل أراضى ثلاث دول عربية : مصر (سيناء) والأردن (الضفة الغربية الفلسطينية) وسوريا (هضبة الجولان) عندما أعلن موشى ديان ، وزير دفاع إسرائيل فى ذلك الوقت فى مقابلة مع مراسلى صحيفة (معاريف وها أرتس) الإسرائيليتين عن حقيقة المعركة الجوية التى حسمت المعركة فى ست ساعات وليس ستة أيام ، قال ديان : « لقد دفعنا بكل سلاح الطيران الإسرائيلى فى ذلك الوقت (٢٠٠ طائرة) فى حين أن الاستراتيجية القتالية تضع ٢٠٪ من السلاح احتياطى لكن إسرائيل غامرت ونجحت » . فرد عليه مراسل الصحيفة : « إن هذه الحقائق تخدم العدو العربى » ، فرد ديان : « إن العرب لا يقرأون » . وهنا نحن نقول له « إن العرب إذا كانوا لا يقرأون فإن الإسرائيليين إن كانوا يقرأون فإنهم لا يفهمون ، وإن كانوا يفهمون فإنهم لا يستفيدون ، وأنهم لو كانوا يستفيدون لما قبلوا بأرض فلسطينية أن تكون وطنًا لهم ، ألم يقرأ الإسرائيليون أن الشعب العربى صلب قوى ومقاوم لكل عوامل الانهزام والركوع ألم يقرأ الإسرائيليون أن مصر قلب الحركة العربية ظلت عشرة قرون (ألف عام) متواصلة فى ظل الاحتلال اليونانى والرومانى والبيزنطى (٣٣٠ ق.م - ٣٠ ق.م) احتلال يونانى - بطلمى ، (٣٠ ق.م - ٦٤١م) احتلال رومانى بيزنطى ؟ ، فهل يوجد فى مصر العربية اليوم من يتحدث اللغة اليونانية أو اللاتينية ؟ أو هل يوجد بين الشعب المصرى من ذو سحنة إغريقية أو يونانية ؟ ، إن السحنة العربية هى التى تسود اليوم أرض مصر شأنها شأن كل العرب ، وهل قرأتم يا قادة إسرائيل أن مصر ظلت ترفع السلاح طوال قرنين كاملين وأنها صدت الحروب الصليبية والمغول والتتار (١٠٩٥ - ١٢٩٠م) ؟ مصر ردت الصليبيين فى معركة حطين ١١٨٧م وحررت بيت المقدس للمرة الثانية ١٢٤٤م وكذلك كسرت الغزوة الصليبية ١٢٥٠م فى معركة المنصورة وأسر لويس التاسع وكذلك قاتلت المغول ١٢٦٠م فى عين جالوت ، وكذلك قضت قضاءً نهائيًا على الصليبيين فى ١٢٩٠م على يد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون . هل قرأتم ذلك فى تاريخ المنطقة ودور مصر ركيزة كل دور فعال فى الحاضر والمستقبل ؟ .

وهل عرفتم أحداث الجزائر التى قدمت مليون شهيد من أجل التحرير وبعد أن ظلت أكثر من مائة وثلاثين عام (١٨٣١ - ١٩٦٢م) تحت قبضة الاستعمار الفرنسى ، هذه بعض الأمور التى نضعها أمام الإسرائيليين الذين لم يدركوا أبعاد العمق الحضارى العربى الإسلامى وهل يدرك قادة إسرائيل أن هذا الكيان الدخيل (إسرائيل)يتكون من أكثر من اثنين وخمسين جنسية جاءت من مختلف الأقطار والطوائف لاغتصاب الحق الفلسطينى ؟ ، ثم ماذا يعنى موقف عيزرا فايسمان رئيس دولة إسرائيل من عدم الاشتراك فى استقبال بيل كلينتون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الذى طار إلى إسرائيل مباشرة بعد مؤتمر « شرم الشيخ » ؟ لقد رفض رئيس الدولة مقابلته فى تل أبيب لأنه كان يريد أن يكون هبوط بيل كلينتون بطائرته فى مطار القدس حتى يكون ذلك اعترافًا من الولايات المتحدة بأن القدس هى عاصمة إسرائيل المعترف بها من قبل الولايات المتحدة ، ومن ثم فإن الشعب العربى فى شتى الأقطار يعيش حالة من الإحباط الوجدانى والتمزق النفسى ، بل حالة من التردِّى والسقوط إثر السيطرة الإسرائيلية على الوطن العربى السليب فلسطين ونجاح المخطط الصليبى الغربى اليهودى الإسرائيلى فى تحقيق أهدافه ، وفشل دعوة القومية العربية وفشل العالم العربى فى القدرة على استرداد فلسطين من القوى الصهيونية التى تدعمها القوى الغربية ، لكن وسط حالة اليأس والإحباط لابد من وجود الأمل والإحساس بالقدرة على التغلب على العقبات ؛ ذلك لأن التاريخ الإنسانى دورات ونحن نعيش أضعف حلقات التاريخ العربى (١٩٤٨ - ١٩٩٦م) فتحقيق قيام إسرائيل والاعتراف بها كيان شرعى فى الشرق العربى أو الشرق الإسلامى وليس الشرق الأوسط ؛ لأن الأوسط تحمل ورائها مغزى سياسيًّا وهو قبول إسرائيل فى المنطقة وعدم إطلاق الشرق العربى الذى يشمل كل الدول العربية ، والشرق الإسلامى بإدخال تركيا وإيران وباكستان باعتبار أنها دول إسلامية .

ونطرح هنا سؤالاً أمام الأجيال المعاصرة والقادمة على درب الحياة حتى لا تضيع الذاكرة التاريخية العربية والإسلامية ، بل قبل طمس هذه الذاكرة وإلغاء الهوية العربية الإسلامية ، لقد مضى نصف قرن على قيام إسرائيل فهل تكون إسرائيل أبد الدهر ؟.إنها مرحلة تاريخية بل حقبة تاريخية استطاعت القوى الغربية الأوربية ووعد بلفور ١٩١٧م والدعم الإنجليزى الغربى الأمريكى وكل دول أوربا بالمساعدة فى اغتصاب فلسطين ولكنها لن تدوم قرنين من الزمان مثلما سيطرت القوى الصليبية على بلاد الشام (١٠٩٥ - ١٢٩٠م) فهل تدوم أكثر

من ذلك ، لقد كان عدد اليهود فى فلسطين عام ١٩ هـ/ ٦٣٩م عندما حرر العرب إخوانهم سكان فلسطين من سيطرة الروم وعندما قدم عمر بن الخطاب الخليفة الراشد الثانى ليتسلم مفتاح بيت المقدس كان عدد اليهود ثلاثة أسر (اثنى عشر شخصًا) ، كذلك بعد مرور أكثر من اثنى عشر قرنًا (١٧٩٨م) عندما ذهب نابليون بونابرت لفتح الشام بعد غزو مصر فإن عدد اليهود كان أقل من ألفين نسمة (١٨٠٠ فرد) منهم ٢٣٥ شخص فى القدس ، كذلك وصل هذا العدد عام ١٩١٤م أى قبل إعلان الحرب العالمية الأولى ستين ألف نسمة ، وهذه الأعداد القليلة التى فتحت أبواب الهجرة إلى فلسطين من شتى أقطار العالم أمامها ليصبح عددهم حاليًا أكثر من خمسة ملايين (وقف إحصاء الأمم المتحدة عام ١٩٩٤م) . فلك الحق يا شيمون بيريز أن تقول : إننى أتحدث من منطلق القوة ، فأنت الذى أشرفت على بناء المفاعل النووى فى ديمونة وتعلم علم اليقين أسرار كل شىء عنه ، وأنت الذى كنت مساعد وزير الدفاع عندما تم توقيع عقد إنشاء المفاعل عام ١٩٥٦م مع الطرف الفرنسى ، وأنت تتحرك لتقيم دولة ونحن العرب نتحرك لأمور يعلمها الله ولا داعى للتفاصيل .

لكن رغم كل هذا فإن الذين يدرسون حركة التاريخ يدركون لا محالة أن إسرائيل دولة مرحلية اقتضت ظروف الصراع على مصادر الطاقة (البترول) والمعادن إضافة إلى عدم إعطاء الفرصة لقيام كيان عربى موحد فى غرب آسيا لكى تكون الدولة العربية الواحدة ؛ لأن توحد العالم العربى فى دولة عربية فى هذه المنطقة سيشكل تهديدًا على أوربا ، وكذلك سيشكل حاليًا تهديدًا للمخطط الأمريكى لإعادة رسم عالم جديد لا تريد أن يكون فيه كيان عربى إقليمى قوى . لأن ذلك يعيد للأذهان فتح الأندلس (٧١١ - ١٤٩٢م ، ٩٢ - ٨٩٧هـ) كذلك تقدم المسلمين فى فرنسا وصولاً لبلدة سانس على بعد ثلاثين كيلومترًا جنوب باريس العاصمة الفرنسية الحالية (انظر معركة بلاط الشهداء للمؤلف - عالم الكتب القاهرة ، ١٩٩٦) فإن ذلك اقتضى قيام إسرائيل على حساب الوطن العربى (٢٧٠ مليون نسمة) .

كذلك فإن المتغيرات العالمية مؤخرًا ١٩٨٩م بعد انهيار المعسكر الاشتراكى بقيادة الاتحاد السوفيتى وسقوط حائط برلين وتوحيد ألمانيا الغربية مع الشرقية وخروج دول شرق

أوربا (يوغسلافيا ، بولندا ، المجر ، تشيكوسلوفكيا ، بلغاريا ، رومانيا) وغيرها من الدول الأخرى الصغيرةعن نطاق الاتحاد السوفيتى ، وتفكك الاتحاد السوفيتى نفسه إلى عدة دول منها ست دول إسلامية ، جمهوريات آسيا الوسطى (انظر كتاب الإسلام والمسلمون فى آسيا الوسطى للمؤلف، القاهرة ، ١٩٦٦) فإن كل ذلك قد دفع الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة المسيرة العالمية منذ عام ١٩٨٩ ، والوقوف بكل قوة خلف إسرائيل والعمل على أن تكون متفوقة عسكريًا وعلميًا وتكنولوجيًا على كل البلاد العربية (٢٧٠ مليون نسمة) وبقية دول العالم الإسلامى (١,٢٥٠ مليار ومائتين وخمسين مليون نسمة) ربع سكان العالم (إسرائيل ٥ مليون يضاف إليهم ثمانية ملايين يتوزعون فى بقية أنحاء العالم ، أكثرهم فى الولايات المتحدة الأمريكية) .

كذلك فإن ما قام به صدام حسين حاكم العراق الغبى من تصرف أحمق باحتلال الكويت ، وإعطاء الفرصة للولايات المتحدة الأمريكية بقيادة دول التحالف ، وضرب العراق والتحكم فى مقدّراته ، ودفع إسرائيل لتحقيق كل أهدافها فى العالم العربى ، وفرض الصلح والسلام على العرب من منطلق القوة ، واتخاذ الأسطول الأمريكى الخامس قاعدة دائمة له فى الخليج العربى فى دولة البحرين .

كذلك فإن صدام ودخوله فى صراع ثمانية أعوام (١٩٧٩ - ١٩٨٧م) مع إيران دون طائل أو فائدة إلا هلك الحرث والنسل ، ثم تنازله عن شط العرب الذى كان سبب الصراع عندما فكر فى غزو الكويت(أغسطس ١٩٩٠م) ، وما كان له من أثر فى تمزُّق العالم العربى وعدم العودة للتعاون والتضامن أو الوحدة والتعاون الشعبى ، وعدم قدرة صدام على امتلاك السلاح النووى لا سيما أن العراق كان قد قطع شوطًا كبيرًا ربما كان لا يستغرق أكثر من ثلاث سنوات كما ذكرت ذلك التقارير الغربية وتكون لدى العراق قوة نووية . هذه أمور أخرى مكنت لأن يأخذ السلام بعدًا آخر وفقًا للمخطط الإسرائيلى ، كذلك لعبت القوى الغربية (فرنسا والولايات المتحدة وبريطانيا) على المساعدة فى خلع شاه إيران وإعطاء حق اللجوء السياسى للإمام الخمينى فى فرنسا والسماح له بممارسة نشاطه من فرنسا حيث تم الإطاحة بالشاه وقيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية ،والوقيعة بين إيران والعراق والدخول فى حرب

دامت ثمانية أعوام استنزفت الطاقات البشرية والمادية طوال هذه الحرب ، ثم التفرقة بين المسلمين كأقوال الشيعة والسنة ، وكل ذلك ساعد إسرائيل لتحقيق أهدافها ، إضافة إلى أن نظام الحكم الإيرانى سعى إلى تصدير الثورة الإسلامية والسيطرة على جزر طنب الكبرى والصغرى وأبو موسى وهى جزر تابعة لدولة الإمارات العربية ، وشق الصف الإسلامى وعدم كياسة النظام الإيرانى فى هذا الصدد بتعاونه مع بلدان العالم العربى .

كذلك موقف إيران والخلاف العميق بين مصر وإيران وقطع الأخيرة علاقاتها مع مصر بعد توقيع اتفاقية كامب دافيد ، عام ١٩٧٩ ، ولا زالت العلاقات مقطوعة رغم مضى أكثر من خمسة عشر عامًا ، وكل هذا أضعف الصف العربى والإسلامى وأعطى الفرصة لإسرائيل لكى تحقق أهدافها لكن الساحة العربية والإسلامية تشهد مؤخرًا نوعًا من الحركة الفاعلة والفعالة .

لكن تحقيق الهدف الإسرائيلى لن يكون إلا مرحليًّا ؛ ذلك لأن العرب الذين يشكلون الدائرة أو الطوق المحيط بإسرائيل ليسوا كالهنود الحمر فى أمريكا معرضون للإبادة أو كشعوب البوشمن أو الهنتوت أو البانتو أو الأقزام فى أفريقيا لكنهم شعب له ميراث حضارى وثقافى قديم ضارب فى جذور التاريخ ، كما أن القرآن الكريم والإسلام يحفظان المسلمين والعرب دون أى مساس لأن القرآن والإسلام وجدا أبد الدهر .

ونقول أنه رغم التقدم العلمى الإسرائيلى الهائل والصناعى والزراعى والحربى والتكنولوجى والتعليمى إلا أن كل هذا ليس بقادر على البقاء والاستمرار فالمعاملة العنصرية وما كان يفعله الرجل الأبيض فى جنوب أفريقيا طوال أكثر من ستة قرون لم يستطع أن يفرض نفسه على الأغلبية الأفريقية ، ولكن جنوب أفريقيا عادت لأهلها الشرعيين فهل يكون ذلك عبرة (جنوب أفريقيا - الاتحاد السوفيتى - الاستعمار القديم والحديث) ؟ ، كذلك فإن القهر والقوة لن يقفا عقبة فى طريق التضامن العربى ، إن العالم العربى والإسلامى فى حاجة إلى شخصية قيادية قادرة على استعادة الحق الفلسطينى ، والأحداث التاريخية قادرة على إبراز هذه الشخصية ، فدرس التاريخ يقول : إنه عندما انهارت فرنسا فى الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥م) أمام القوات النازية الألمانية وأقام الألمان حكومة فيشى العميلة لهم فإن

شارل ديجول استطاع الوصول إلى بريطانيا ومقابلة (ونستون تشرشل) رئيس وزراء بريطانيا فى ذلك الوقت وطلب منه الاشتراك باسم فرنسا فى الحرب ، ودار حديث طويل مسهب خاطب فيه تشرشل ديجول قائلاً : ماذا بقى من فرنسا بعد سقوطها بالكامل فى قبضة الألمان فرد ديجول بصوت عال : (لقد بقيت أنا) واستطاع ديجول أن يقود المقاومة الفرنسية ويحرر فرنسا بمساعدة الحلفاء من الاحتلال الألمانى ، كذلك عندما سقطت اليابان فى نفس الحرب العالمية الأخيرة إثر ضرب هيروشيما ونجازاكى بالقنابل الذرية ، وتوقيع الامبراطور اليابانى اتفاقية للاستسلام فإن اليابانيين أصروا على احترام وبقاء شخصية الامبراطور كرمز للدولة والمحافظة عليه ، ومن هنا فالفرد القائد لابد أن يظهر على الساحة العربية أو الإسلامية ويعيد الحق الشرعى والمشروع لأصحابه .

كذلك وقوع القادة اليهود فى خطأ تاريخى قاتل بعدم قبولهم إقامة دولة يهودية فى الأرجنتين أو شمال كينيا أو أوغندا أو قبرص أو إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتى والتمسك بإقامة دولة يهودية على أرض فلسطين ستكون كارثة مستقبلية تذكرهم بما حدث من نبوختنصر الآكادى وسرجون الأشورى وما فعله الفرس والرومان ، لقد خسر العرب ثلاث حروب متواصلة (١٩٤٨ - ١٩٥٦ - ١٩٦٧م) ولم يتحقق أدنى هدف لإسرائيل سوى قيامها وأخيرًا الاعتراف بوجودها فى ظل ظروف عربية غير طبيعية، لكن خسران إسرائيل لأية معركة مستقبلية ستكون نهاية هذا الكيان الإسرائيلى ، فهل تدرك إسرائيل أن ذلك لا محالة قادم مهما كانت إسرائيل تملك قوة تكنولوجية وصناعية وسلاح نووى أو صواريخ عابرة أو أقمار تجسس أو إقامة مستعمرات مستقبلية على سطح القمر والاشتراك مع الولايات المتحدة فى حرب الكواكب (النجوم) أو تخزين الأسلحة فى مستعمرات فى القمر أو فى سفن الفضاء أو مركز الاستشعار من البعد ، فإن كل ذلك ليس بقادر على بقاء إسرائيل فى وسط عربى لا يقر شعبه شرعيتها رغم اعتراف الحكومات بوجودها .

إن السلام المعقود حاليًا مع إسرائيل هو سلام حكومات وليس سلام شعوب وإلا فهل تم استفتاء شعبى على هذا السلام فى مصر والأردن وفلسطين كما يطالب شيمون بيريز باستفتاء شعب إسرائيل للانسحاب من الجولان السورية ، إن ذلك لم يحدث ؛ لأن الشعب المصرى

بحسه الحضارى وعمقه التاريخى يقف ضد التطبيع فهو الشعب الذى قاد حرب (٦ أكتوبر ١٩٧٣م، العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ) واسترد للكرامة العربية شخصيتها وحطم خط بارليف وأسر العديد من القوات الإسرائيلية ، والهرولة الإسرائيلية فى ذلك الوقت طالبة النجدة الأمريكية واستنجاد جولدمائير بالرئيس الأمريكى نكسون والاستعداد الإسرائيلى للاستخدام النووى وقفًا للهجوم المصرى الكاسح (٦ - ١٤ أكتوبر) .

كذلك فإن القرن الحادى والعشرين القادم سوف يشهد تغير الميزان العالمى وعدم تفرد الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة العالم وانحسار الدور الأمريكى ، والتطور الاقتصادى والتجارى فى شرق آسيا والتقارب الصينى اليابانى هو أكبر خطر يهدد الكيان الأمريكى بسبب تقدم الإنتاج الصناعى وإنتاج هذه الدول يشكل ٢٤٪ من الإنتاج العالمى يضاف إليه ١٢٪ إنتاج الهند ليكون إنتاج آسيا ٣٦٪ من الإنتاج العالمى ، والولايات المتحدة وكندا والمكسيك تنتج ٢٤٪ من الإنتاج العالمى (دول النافتا) حتى نهاية عام ٢٠٠٠م يكون الناتج القومى لدول شرق آسيا ٣٠٪ يضاف إليهم ١٥٪ إنتاج الهند يكون ٤٥٪ من الناتج العالمى ، يشكل إنتاج آسيا ٧,٧تريليون ، ٦,٧ تريليون (أمريكا - المكسيك - كندا) ، ٤,٦ تريليون (الاتحاد الأوربى) القرن القادم قرن آسيا لا محالة . كل ذلك سوف يساعد على التوازن العالمى الذى يتيح للعرب دورًا آسيويًا تعاونًا مع هذه الدول يعيد الحق لأصحابه بعد تراجع القوى الغربية، كذلك ظهور مشكلة الديون الأمريكية والاستثمارات اليابانية فى أمريكا وتحكم رجال الصناعة اليابانيين فى الصناعات ، كذلك فإن الولايات المتحدة دولة هجرة من أنحاء مختلفة فى العالم وعدم تجانس المجتمع الأمريكى وظهور أمة الإسلام ، ودور (لويس فراقان) وقيامه بزيارة دول تعارض السياسة الأمريكية (إيران وليبيا والعراق وسوريا) وحركة الزنوج ومشاكل الهجرات الآسيوية ، ودول البحر الكاريبى وأمريكا الجنوبية ومشكلة الهنود الحمر فى جنوب المكسيك وظهور دورهم فى المجتمع ، والقوميات الأوربية والشعوب البيضاء الأيرالنديين يشكلون ٤٠ مليون من مجموع السكان ٢٦٠ مليون ، كل ذلك لن يكون فى صالح إسرائيل والعلاقات مع أمريكا . كذلك ظهور قوة إسلامية من دول النمور الآسيوية أندونيسيا وماليزيا وكذلك باكستان وامتلاك سلاح نووى والتقدم الاقتصادى فى هذه الدول والشعور الدينى فى تركيا

وحزب الرفاة الإسلامى المعارض وزعيمه نجم الدين أربكان وحصول حزبه على ٢٢٪ من الأصوات (١٥٨ صوت) وكذلك التطور العلمى والتكنولوجى والاقتصادى والسعى لامتلاك السلاح النووى ، وثورة خمسين قرية عربية فى إسرائيل ، والثورة باسم ثورة الأرض التى قامت عام ١٩٧٦م راديو لندن ٢٩/ ٣/ ١٩٩٦م ثورة عربية فى كل القرى العربية فى إسرائيل كذلك دور جمهوريات آسيا الوسطى الست (أذربيجان - كازاخستان - ، تركمانستان - أوزبكستان - قازاقستان - طاجيكيستان) .

والتعاون العربى الإسلامى مع هذه الدول لا سيما تحرك علماء الذرَّة منها إلى العراق - ليبيا - إيران - والمساهمة فى المجالات العلمية والصناعية مما سيشكل دفعة علمية متطورة فى مصر وليبيا وتركيا وسوريا وإيران والعراق وتركيا وباكستان ، وأن الدور الإسلامى الثقافى والهوية الإسلامية الثقافية ستكون محور التحرك فى القرن الحادى والعشرين مما سيشكل تهديدًا للوجود الإسرائيلى ، وحتمية زوال إسرائيل مهما كانت اتفاقيات السلام ، كذلك فإن الأقليات العربية الفلسطينية فى إسرائيل والتى تشكل ما يقرب من مليون نسمة خُمس سكان إسرائيل يشكلون ٥ , ١٢٪ من مجموع سكان إسرائيل وسوف يشكلون قوة مستقبلية عشرة أعضاء عرب إسرائيليين فى الكنيسيت (عددهم ٢٧٠ ألف نسمة عام ١٩٤٨) زيادة أربعة أضعاف فى خمسين عام ، زيادة نسبة المواليد والخصوبة لدى العرب والعمل على ازدياد عدد السكان العرب وكذلك فإن السلطة الفلسطينية فى غزة والضفة الغربية يشكلون ٢ مليون نسمة + مليون نسمة عربى إسرائيلى = ٣ مليون = ٤ مليون يهودى ، الشخصية الفلسطينية المجاهدة الصابرة والفدائية المقاتلة المثقفة المتعلمة ، رجال الاقتصاد والمال الفلسطينيين ودورهم فى بناء منطقة الحكم الذاتى والاستعداد لجولة قادمة ، والعالم العربى لن يظل اثنتين وعشرين دولة ولا بد أن تظهر وحدات سياسية مستقبلية ، ولن يكون مجلس التعاون الخليجى إلا وحدة واحدة مستقبلا ، ثم توحيد سوريا الكبرى (سوريا - لبنان - الأردن- فلسطين) مصر وليبيا والسودان وبلاد المغرب الأربع (تونس - الجزائر - المغرب - موريتانيا) الوحدة العربية عامل حاسم فى إنهاء الكيان الإسرائيلى) .

إننا حين نضع هذه الدراسة فنحن ندرك مدى التقدم العلمى الأمريكى الذى تغترف منه إسرائيل للتطور والتقدم ، والذى يقابله على الجانب العربى تخلف علمى تكنولوجى وصناعى وزراعى يجعل إسرائيل وأمريكا فى مركز القوة ولكن ذلك لن يحول دون الإحساس بقدرة العوامل الكامنة فى الإنسان العربى والقدرة على إحداث تغيرات جوهرية فى الحياة العربية بجميع أنماطها على المدى البعيد أو القريب ، حيث أن الزمن لا يقاس بعدة سنوات أو بمئات السنين ، ولكن الإيمان بحتمية البقاء بحكم العامل الروحى (الإسلام والقرآن الكريم) والعامل الثقافى والصراع الثقافى والتاريخى والجنسى والسلالى فكل هذه العوامل قادرة على إحداث الصدمة القوية إلى الأبد ، وأن ينتهى وجود إسرائيل مهما طال بها الأمد والمقام فى أرض عربية إسلامية فلسطينية (فلسطين عربية منذ أربعة آلاف سنة قبل الميلاد) وفلسطين إسلامية منذ ألف وأربعمائة وستة عشر عام ، ١٤١٦هـ) والتاريخ قادم وليس هناك قبول بمقولة انتهاء التاريخ أو نهاية التاريخ .

إن القوى الغربية والشرقية من وراء إبقاء إسرائيل فهذه القوى (أمريكا وروسيا) قامت بخداع الرئيس جمال عبد الناصر وما قام به السفير الروسى بالقاهرة فجر ليلة ٢٧ مايو ١٩٦٧م عندما أيقظ الرئيس عبد الناصر ، من نومه وأبلغه رسالة عاجلة من القادة السوفييت بعدم توجيه ضربة لإسرائيل ، وكذلك قيام السفير الأمريكى الذى لم يكن قدم أوراق اعتماده رسمياً بالتهديد بالتدخل ضد مصر إذا قامت بالضربة الجوية فجر ٢٧ مايو بعد أن علمت بها مخابرات الدولتين ، وكان ذلك يعنى التآمر على القوات المصرية وإعطاء الضوء الأخضر والسماح لإسرائيل بأن توجه الضربة الجوية الأولى فى ٥ يونيو ١٩٦٧م وكانت الطامّة الكبرى وأصبح شعار العرب تحرير الأرض المحتلة وترك فلسطين عام ١٩٤٨م وارتفع شعار الأرض مقابل السلام .

إننا حين نضع هذه الدراسة أمام الأجيال المعاصرة والأجيال القادمة على درب الحياة عبر أجيال قد يطول تواردها وقد يقصر فإننا أردنا أن لا يتم اغتيال ذاكرة التاريخ العربى أو طمس الهوية العربية أو محو الذاكرة العربية ؛ لكى لا تعرف الأجيال القادمة أن (حيفا ، يافا ، عكا ، المجدل ، عسقلان ، الرملة ، اللد ، أم الرشراش وأرسوف وغيرها مدن عربية)

وأن فلسطين من النهر إلى البحر .. وكلك لتعلم الأجيال أن إسرائيل سوف تموت بالسكتة القلبية كما مات الاتحاد السوفيتى قبلها بالسكتة القلبية وانهارت التفرقة العنصرية فى جنوب أفريقيا ، وزالت للأبد الامبراطورية البريطانية التى لا تغيب عنها الشمس وهى الآن تعانى مشكلة (مرض جنون البقر) فهل تتعظ إسرائيل أم السير فى التعبئة العسكرية كما حدث فى لبنان (١١ - ٢٧ أبريل ١٩٩٦)التى تؤدى إلى الهلاك .

إننا حين نضع هذه الدراسة ندرك الحس التاريخى والعمق الحضارى العربى الإسلامى القادر على مواجهة التحدى والتصدى فى المدى القريب أو البعيد ، وكذلك نحن ندرك الدور القوى الفعال الذى تمارسه الولايات المتحدة والتقدم العلمى الهائل والسيطرة على الكواكب ، كذلك فإن الشعب الأمريكى لن ينسى هزيمته الساحقة فى فيتنام التى كانت تساعد ها الصين ، بالمال والسلاح والرجال وخسرت أمريكا سبعين ألف قتيل ولا زال الرجال فى أمريكا يعانون من الانهيار النفسى والجسدى فى المستشفيات وفى بيوتهم، فقد كانت الصدمة مروعة صدمة الدولة العظمى لخسرانها الحرب والجنود الأمريكيين الذين عاشوا فى الوحل وماتوا فى الطين والصدمة فى انهزام الدولة القوية أمام الدولة الصغيرة (فيتنام) الدولة الغنية أمام الجياع العراه أكلة الضفادع شاربى مياه الحقول والمستنقعات ولكن رءوسهم فى السماء وكبريائهم أكبر رصيد من الذهب والماس ، لكن أوراقهم المالية فى التاريخ ، فهل يدرك العرب قوة دورهم المستقبلى وأن تكون أوراقهم المالية فى التاريخ وليس فى بناء القصور أو المقامرة أو سلاح إسرائيل يباع بأيدى عربية (عدنان خاشقجى) ، لكن أمريكا فيتنام ليس أمريكا الشرق العربى أو أمريكا مدمرة الاتحاد السوفيتى ، فأمريكا اليوم القوة العالمية الوحيدة والوصول إلى القمر وأرمسترنج عام ١٩٦٩م وبناء مساكن على سطح القمر منذ ٣١ يناير ١٩٨٦م كذلك الوصول إلى المريخ واكتشاف مصادر يمكن استغلالها للحياة كوجود وديان ثلجية مليئة بالثلوج والتفكير فى بناء مساكن دائمة لسكنى أفراد ، كذلك التقدم فى حرب الكواكب وتخزين مواد حربية وأسلحة فى هذه الكواكب ، وسفن الفضاء التى تدور حول الأرض منذ عدة سنوات فى رحلات تستمر أكثر من عامين متواصلين ، وكذلك تقدم علم الهندسة الوراثية وعلم استنساخ الأجنة وتخليق إنسان فى أنبوب وغيرها من العلوم المتطورة ، وكذلك عصر

الكمبيوتر ومراكز الاستشعار من البعد وغيرها من العلوم المتطورة ، والقدرة على قتل إنسان عن طريق تسليط أشعة على صورته ومن جو معين لتقتل صاحب الصورة فى مكانه باستخدام الاستشعار من بعد كما حدث فى مقتل الفلسطينى المهندس (يحيى عياش) عن طريق الريموت كونترول وتسليط أشعة على مادة غريبة وضعت فى جهاز التليفون الذى تم عن طريقه قتل الفلسطينى عن طريق طائرة هليكوبتر ، إن كل هذا التقدم لن يحول دون عودة الحق ، ذلك لأن نقطة الدم لا تموت أو تنمحى مع الأيام ، فهى نقطة غير قابلة للعفن أو العطن ، فما ضاع حق وراءه مطالب ولن تضيع ديار العرب هباء دون إقامة العدل على أرض فلسطين .

ولكن ننهى هذا التمهيد بذكر أقوال تثبت نهاية إسرائيل ومن ذلك ما قاله اليهودى «أينشتين » : « إن معرفتى بالطريقة اليهودية تجعلنى أشك فى وجوب قيام دولة لإسرائيل تعتمد على حدود مسلحة وإلا فإن هذه الدولة لن تكون إلا مؤقتة ولن تدوم » .كذلك قال الباحث الإنجليزى « موريس بارديس » عام ١٩٦٧ ما يلى : « وإن الأحقاد التى تثيرها إسرائيل سوف تنهال عليها من جديد إن عاجلاً أو آجلاً سواء اعترف بوجودها رسميًّا أم لا ، إذ أن قصاصة من الورق لن تغير من الأمر شيئًا » .

ولما كانت إسرائيل محصورة داخل رأس جسر على شاطئ البحر وكانت محاطة بشعوب لا تهدأ فقد حكم عليها بأن تلعب لعبة خطرة غير مأمونة الجانب قد تكسب فيها مرة أو مرات ولكنها ستظل تحت رحمة هزيمة واحدة وسيصبح موقفها عند ذلك باعثًا على الأسى وغير قابل للإصلاح وقد حدث ذلك فى حرب رمضان ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م وسوف يحدث بعد عدة أعوام ولن تدوم قصاصة الورق .

وقد قال العالم المفكر العربى « جمال حمدان » : (إن كل ما لا يعيد الوضع إلى ما كان عليه قبل عام ١٩٤٨ بل قبل عام ١٩١٨ مرفوض بلا نقاش وأى حل لا يزيل إسرائيل من الوجود لا محل له من البحث العلمى) : فإذن هى لن تبقى وسوف تزول كما أكد كل

الفلاسـفة والعلمـاء والباحثين ومنهم العـالم اليهودى أبـو القنبلة الـذرية (أينشتين) فهل فى ذلك جدال ؟!.

ومن ثم فإننا فى هذه الدراسـة لا نجد خير مما تختم به هذه المقدمة التمهيديـة سوى قوله سبحانـه وتعالى فى سـورة الإسراء : ﴿ وقضينـا إلى بنى إسرائيل فى الكتـاب لتفسـدن فى الأرض مرتين ولتعلن علـوًا كبيرا فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبـادًا لنا أُولى بأس شديد فجـاسوا خلال الديار وكان وعدًا مفعولا ﴾ (صدق الله العظيم) .

* * *



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد لله رب العالمين القـائل فى محكم قـرآنه الكـريم : ﴿ وقضينـا إلى بنى إسرائيل فى الكتـاب لتفسـدن فى الأرض مـرتين ولتعلن علوًّا كبيرا ، فـإذا جاء وعـد أولاهمـا بعثنـاعليكم عبادًا لنا أولى بـأس شديد فجاسـوا خلال الديار وكـان وعدًا مفعولا ﴾ والصلاة والسـلام على النبى العربى القرشى محمد بن عبد الله ﷺ وعلى آله وصحبه وذريته ومن سار على نهجه إلى يوم لا يبقى على الأرض بشر .

أما بعـــد ...

فتلك هى دراسة تربط المـاضى بالحاضر والمستقبل بعنوان (إسرائيل إلى زوال) أردت أن أضعها بين يـدى القارئ الكـريم فى كل مكان تصل إليـه هذه الصفحـات ذلك لأن الإنسان العربى وهو يدلف إلى القرن الحادى والعشرين وهو يـرى إسرائيل توطد أركانها وتقيم علاقاتها وتمد جسورهـا لتصبح عضوًا شرعيًّا فى الشرق العربى والإسـلامى فإنه يعيش حالـة من التمزق النفسى وعدم وضـوح المعالم المحـددة التى تنير الطريق أمـامه وأمـام الأجيال القـادمة فى ظل

التفـرد الأمريكى بقيـادة المسيرة العـالميـة وفى ظل فرص السـلام من منطلق امتـلاك إسرائيل لمـائتى أو ثلاثمائة رأس نووى (٢٠٠ - ٣٠٠ رأس نووى) وتـرسانة من الأسلحة المتطورة وفى ظل التشرذم العربى والتقوقع والإقليمية الضيقـة والهرولة إلى السلام المنقوص والتطبيع والحماية الأمريكية الإسرائيلية على حساب وحدة الصف العربى .

وحتى لا يتم اغتيـال الذاكرة العـربية التـاريخية بل محوهـا وطمس الهوية العـربية لكى تصبح شخصية عـربية - عبرية شرق أوسطية وتشـويه حركة التـاريخ العربى وتعطيل العقل العربى وسلب حواسه والتعتيم على الحقائق ووصف العدو بالصديق وربما بالحليف والشريك فى فترة قادمة فأردت أن تكـون هذه الدراسة تنشيطًـا للذاكرة العربيـة حتى لا تصاب بالتعطل والبعد عن حاضرها (١٩٤٨ - ١٩٩٦) وماضيها الإسلامى ١٤١٦هـ وماضيها القديم فى ظل الحضـارات العربيـة ، الفرعـونية ، الآشـورية ، البـابلية ، الكلـدانية ، الفينيقيـة ، الكنعانيـة ، الحميرية ، السبئية ، المعينيـة ، الآرامية وغيرها من الحضارات التى كـانت جميعها من نبع واحد فياض هـو الجزيرة العربيـة التى خرجت منها هذه الهجـرات لتكون أقدم حضـارات التاريخ وجاءت على أثـرها حضارة الإسـلام لتكون خير عـون لاسترداد الحق العربى السليب فى أرض فلسطين ولتكون دارًا عربيًّا إسلاميًّا من النهر إلى البحر .

ولقد ظهـرت فكرة هـذه الدراسـة عندمـا دار حديث علمـى فى محاضرة تعقدهـا جمعية الأصـالة المصريـة التى تضم قادة الفكـر والعلم والثقـافة والسيـاسة والإدارة فى مصر بتـاريخ ٣/ ٣/ ١٩٩٦ عندمـا حلل الأخ الدكتور المحـاضر الأحداث الحالية فى المنطقة العـربية ولفترة تسبقها بعشر سنوات من ناحية البعد السياسى ولم يتطرق إلى البعد التاريخى ؛ لأن عنصر الحياة هو التاريخ ؛ ولأن المؤرخ فى تحليله للأحداث لا ينظر إلى الحدث كأنه قطعة جامدة بل لابد من ربط المـاضى بـالحاضر بالرؤية المستقبليـة العلمية وسار النقـاش على عكس ما قاله الـدكتور المحاضر وكان ردّى عليه أنه لا خوف ولا خطر على مصر ؛ لأن مصر دولة محورية عبر العصور فى التاريخ القديم والوسيط والحديث وأنـه لا حرب ولا سلم بدون مصر وكذلك فإن إسرائيل وقيامها فى المحيط العربى لا يشكل إلا مرحلة زمنيـة وأن تفرد الولايات المتحدة بقيادة العالم لن يدوم نصــف قرن إن لم يكن ربع قرن ذلك ؛ لأن قوة (الصـين - اليـابان) وجنوب شرق آسـيا

(النمور السبع وغدًا العشر) قادمة وأن التوازن العالمى سوف يتيح للعرب التحرك لرفع وصمة العار عن كاهل الشرق العربى والإسلامى وأن الوحدة العـربية سوف تأخذ طريقها إلى الظهور إذا تصدَّت الأقلام الحرة للذين يحاولون الكتابة عن الأقليات فى العالم العربى خدمة للمصالح الأمريكية والإسرائيلية .

كذلك كان مـؤتمر صانعى السلام المنعقد ٢٣/ ٣/ ١٩٩٦ وما دار فيـه من أحداث وقول رئيس وزراء إسرائيل شيمون بيريز أنه يتحدث من منطلق القـوة . كل هذه الأمور كانت دافعًا لأن نضع تلك الدراسة أمام القارئ الكريم لتكون ذاكرة عند الأزمات .

وقد قسمت هذه الـدراسة إلى ثمانية فصول وخـاتمة ، تحدثت فى الفصل الأول عن عروبة فلسطين منذ أربعـة آلاف عام قبل الميلاد وكيف أن الهجـرات العربية كـانت تخرج من الجزيرة العـربية منـذ أزمنة سحيقـة وتأخـذ طريقهـا فى الاتجاه الشمالى الغربى وصـولاً إلى فلسطين ثم الاتجاه شمالاً إلى سـوريا وكيف كـانت هجـرات الفينيقيين والكنعانيين والآراميين وغيرهـا من الهجرات العربية طريقًا لبناء القواعد العـربية فى هذه المناطق وكيف كانت تتم الوحدة العربية بين دول الهلال الخصيب وسـوريا الكبرى ومصر فى شكل وحـدة عربيـة سلاليـة قديمـة قبل ظهور الإسلام وأن عروبة فلسطين قبل الإسلام بأربعة آلاف عام .

ثم كان الفصل الثـانى عن الفكر الصهيـونى واغتصاب فلسطين وكيف ظهرت الـدعوة الصهيونية لإنشاء وطن قومى لليهود دون تحديـد المكان وكيف عرضت عدة أماكن على اليهود لكى ينشئوا بها وطنًـا لهم كالأرجنتين وقبرص وأوغندا وكينيا وبـرقة فى ليبيا وغيرهـا من الأماكن وكيف جـاء كتاب هيرتـزل عـام ١٨٩٦ لإنشاء وطن قـومى والمراحل التى مـرَّ بها هذا الفكـر وكيف كانت مـراسلات حسين - مكماهون ١٩١٥ ونظـرة بريطانيـا إلى اغتصاب فلسطين فى اتفاقية سـايكس - بيكو ١٩١٦م ووعد بلفور عام ١٩١٧م وفتح المجال للهجـرة اليهودية فى ظل الانتداب البريطانى والاستيلاء على أراضى العرب وطردهم من ديارهم وكيف كان إعلان قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م .

ثم كـان الفصل الثـالث عن إسرائيل والمـأزق التاريخى الـذى تعيش فيهـا بـاختيارهـا فلسطين لتكون وطنًـا قوميًـا لها على حساب الحق العـربى فى فلسطين وكيف أن الذيـن أوقعوا

إسرائيل فى المــأزق خـدمـة لأهداف استعمارية وفصـلاً لمصر عن الشرق العـربى واستغـلالاً لمصـادر الطاقة وعـدم رؤية عالم عربى واحد ؛ لأنهم يدركون خطورة قيـام وحدة عربية وكيف أنهم لم يقـرأوا التـاريخ ولم يســتفيدوا منه وكيف أن مصر ظلت محتلـة طـوال عشرة قـرون (٣٣٢ق.م - ٦٤١م) وكيف عـاد الـوطن العربـى إلى أصله وكيف أن مصر قـاومت الحركـة الصليبية مائتى عام (١٠٩٥ - ١٢٩٠م) وحررت أرضها وكيف أن الحركة اليهودية الاستيطانية لن تدوم أبد الدهر .

ثم كان الفصل الـرابع برأس عنوان : السلاح الـذرى هل يضمن بقاء إسرائيل وكيف أن امتلاك إسرائيل ٢٠٠ - ٣٠٠ رأس نووى وإنشاء أربعة مفـاعل ذرية فى ديمونة ونحال والنبى بنيـامين وكيف أن السـلاح النووى لم يمنع مـن انهيار الاتحاد السـوفيتى ، وكيف أن العـرب فى المرحلة القادمـة أو أى من الدول الإسلامية تكـون قادرة على امتلاك السلاح النـووى مما يجعل إمكـانيـة التـوازن مع إسرائيل وكيف أن السـلاح النووى فى هـذه الحالـة لن يكـون فى صـالح إسرائيل وأن السلام أيضًا لن يكون فى صالح إسرائيل .

ثم كـان الفصل الخامس : عن الولايـات المتحدة والتـوازن العالمى وكيف أن الـولايات المتحدة استطاعت أن تنفرد بقيادة العالم بعد انهيـار الاتحاد السوفيتى وكيف أنها توجه السياسة العالمية من منطلق مصلحتها وأهدافها وأنها تعيد صيـاغة الحركة العالمية وفق رغباتها وكيف أن ذلك لن يدوم وأن القـوة الآسيوية (الصين واليـابان ودول النمور والهند) سـوف تحقق التوازن وربما التقدم وأن ذلك لن يكون فى صالح أمريكـا وإسرائيل وأن ذلك سوف يكون مصدر عون للعالم العربى فى حالة نجاحه فى توطيد علاقاته مع دول آسيا .

ثم الفصل السادس : عن العـالم العربى والتحـديات المستقبلية وكيف أن العـالم العربى مطالـب وهو على أبواب القرن الحادى والعشرون ، وفى ظـل قيام دولة إسرائيل ومحاولة اكتساب شرعيتهـا داخل الإطار العـربى مما يستـدعى التعـاون والتلاحم العـربى وعدم الفـرقة والأخـذ بأساليب التقـدم العلمى وإفساح مجال أوسع للديمقراطيـة والأخذ بالشورى وإعطـاء الفرصة للعنـاصر العلمية للمشـاركة فى الحـكم ، وأنه لا طـريق أمام العـرب لمحـــو وصمة وجــود إسرائيل إلا من خلال العمل على بناء سوق عربية مشتركة وقيـام كيـان أو كيانات فيدرالية أو موحـدة أو كنفدرالية .

ثم كـان الفصل السـابع عن إسرائيل والانفجـار من الداخل وفيـه نتحـدث عن الهيكل السكـانى الإسرائيلى وكيف أنـه يتكـون من اثنتين وخمسين جنسيـة وأن اليهود طـوائف شرقيـة سفارديم وغربية شكناز وغيرهم من الطـوائف المختلفة ؟ ، وكيف أن اليهود الغربيين يسيطرون على مقاليـد الأمور فى فلسطين (إسرائيل) عفـوًا ! وكيف كانت ثـورة يهود الفلاشـا الأثيوبيين علامـة على التمزق والعنصريـة ؟ ، وكيف أن الروس يشكلـون حاليًا ربـع سكان إسرائيل وأن اللغة الروسية تأخذ وضعها جنبًا إلى جنب مع العبرية ، وكيف أن السلام يجعل الصراع داخليًّا وليس خارجيًّـا وكيف أن ذلك سوف يدعـم موقف العرب لا سيما أن عـرب إسرائيل يشكلون مليون نسمـة خمس سكان إسرائيل ؟ ، وكيف أن نسبـة المواليد والخصوبـة لدى العـرب تكون عـاملاً مسـاعـدًا على المدى البعيـد ؟ ، وكيف أن هنـاك اثنى عشـــر عضـو من العـرب فى الكنيسيت الإسرائيلى ؟ ، وكيف قامت ثورة فى خمسين قرية عربية إسرائيلية بمناسبة يوم الأرض التى حدثت عام ١٩٨٦م ؟ ، وكيف أن كل هذه تكون عوامل دفع على انهيار وانفجار إسرائيل من الداخل ؟.

ثم كـان الفصل الثـامن والأخير عن إسرائيل والانفجا ر مـن الخارج وهل ستكون هنـاك حرب عربيـة إسرائيلية أخرى ؟ وكيف أن العرب أخطأوا فى الماضى بعدم قيـام دولة فلسطينية على الضفة الغربية وقطاع غزة منـذ عام ١٩٤٩ وليس عام ١٩٩٤ وكيف أن الصراع كان عربيًّا قوميًّا وليس إسلاميًّا عقائديًّا مع مواجهة اليهـود وكيف أن القوى الغربية - بريطانيا وأمريكا - حـالت دون ذلك وكيف أن الكيان الفلسطينى لا محالـة سـوف يتصادم آجـلاً أم عاجـلاً مهما كانت العراقيـل والقيود التى تضعها إسرائيل أمام السلطة الفلسطينيـة وكيف أن ذلك سيكون عاملاً مسـاعدًا لتحرك الدول العـربية لمساندة الحق الفلسطينى بعـد أن يكون الجانب الغربى الأمريكى قد بـات غير عابئٍ بما يحدث على أرض فلسطين ، ومن هنا تكون النهايـة . وخلاصة فإن إسرائيل لن تدوم مهما طال بها الزمن إلى خمسة قرون (٥٠٠ عام) .

ثم كـانت الخاتمة وهى مـا استطعت التوصل إليـه من نتـائج علميـة تحليلية من خـلال فصول هذه الدراسة ، لأنها ثمـرة المحصول الدراسى الممتد من الفصل الأول إلى نهاية الفصل الثامن ، يجدها القارئ مركزة مصفاة فى هذه الخاتمة .

ونهاية أقول: الحمد لله رب العالمين الذى وفقنى لإتمام هذه الدراسة واضعًا أبوابها أمام القارئ الكريم لكى تتابع الأجيال وتعرف أن هناك أرضًا عربية فلسطينية تقوم عليها دولة إسرائيل ، وأن يافا وحيفا والرملة واللد وعكا وأرسوف وأشدود والمجدل وعسقلان مدن عربية قبل التاريخ الإسلامى ، وأن فلسطين عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وصلاح الدين الأيوبى وقطز والأشرف خليل بن قلاوون لابد أن تعود عربية فلسطينية ؛ لأن نقطة الدم لا تموت مع الأيام ولن تنساها الأجيال ، ولأنها غير قابلة للعفن أو العطن فذلك هدى للأجيال القادمة على درب الحياة .

والله الموفق ونعم العون والسداد ...

دكتور

عبد الفتاح مقلد الغنيمى

القاهرة : ١٢ ذى القعدة ١٤١٦هـ

٣١ مارس (آذار) ١٩٩٦م

* * *



عروبة فلسطين منذ أربعة آلاف عام قبل الميلاد

استقر الرأى العلمى على حقيقة ثابتة هى أن الحضارتين المصرية والعراقية هما أقدم حضارات العالم وأهمها وأن هاتين الحضارتين كانتا تلتقيان فى سوريا الكبرى وإن كان التأثير المصرى فى فلسطين وجنوب سوريا أكبر ، ومن الثابت تاريخيًّا وأثريًّا وأنثربولوجيًّا أن جميع شعوب الشرق القديم كانت على صلة ببعضها ، وكانت التجارة قد عرفت طريقها بين هذه الشعوب ، كما أخذت الهجرات تتوالى بين هذه الأماكن حيث المنطقة الممتدة من النيل إلى ما بين النهرين ، وذلك منذ آلاف من السنين فى جنوب شرق البحر الأبيض المتوسط حيث ترك انحسار البحر البليوسينى أرضًا جافة تمتد من الأطلسى إلى الخليج حيث شقت فى تلك المنطقة أنهار النيل والأردن والعاصى والفرات ودجلة بمجاريها وتكونت وديانها . ومن هنا فإن كل هذه المنطقة التى تم فيها تكوين مصر والجزيرة العربية وفلسطين وسوريا وبين النهرين وأشوريا تجمع بينها وحدة جيولوجية وطبيعية ولا شك أن السهول والوديان الممتدة من ليبيا إلى إيران قد تمتعت بظروف متشابهة حيث أصبحت هذه المناطق سكنًا لأهالى الشرق القديم ولذلك فإن تاريخ الشرق القديم يدرس مبكرًا بضع آلاف من السنين عن ذلك التاريخ فى أية منطقة أخرى . وقد ظلت الظروف مواتية فى وادى النيل والفرات وما بينهما من بلاد ولذلك

نشأت أول حضـارتين رئيسيتين بين أهل مصر وكلـــديـا ولقـد وجـدت آثـــار تعـود إلى مصر وفلسطين فى تاريخ سابق لعام أربعة آلاف قبل الميلاد .

ومن جهة أخرى فكل شىء يدل على أن فكرة تسرب عنـاصر هامة من آسيا وشبه الجزيرة العربية إلى مصر قد تم فى ذلك التاريخ وإنهم عبروا إلى فلسطين ثم سيناء .

ومن هنا فإن فكرة امتزاج المصريين بأهل الشام وبلاد ما بين النهرين تسلطت على عقول الأثريين وهم يستعرضون عصر ما قبل التاريخ ، وأن شعبًا قدم من الشرق قبل عام ٣١٠٠ق.م واستقروا فى وادى النيـــل قادمين من الشـرق بعـد خروجهم من الجزيرة العـربية ، وأنهم عبروا وادى النيل وعلمـوا المصريين فن البناء بـالطوب وأدخلـوا الكتابـة والأختام الاســطوانية على الآجر ، وعملـوا فى استخدام الـذهب والنحاس والبرونز ، وتتشـــابه أنواع معينـة من الأسلحة والمبانى فى بلدة نقـادة بصعيد مصر وبلدة تيللون فيما بين النهـرين وأن كل ذلك يعود إلى أصل آسيوى قديم .

وقد أجاب غالبيـة علماء التاريخ القديم بأن البابليين العرب الذين كـانوا يعاصرون قيام الأسرة الأولى فى مصر قـد ظهـروا فجأة فى أواسط مـا بين النهـرين خـلال الألف الـرابعـة قبل الميلاد، ومن ثم فقد صارت مصر مركز الحضـارة فى العالم القديم كما أنها ترتبط فى نفس الوقت بين شاطىء شمال أفـريقيا وشبه الجزيرة العـربية وآسيا الصغـرى وقد ذكر كولين مـاكفيدى فى كتابه أطلس التـاريخ الأفريقى أن المصريين القدماء لم يستخدموا الـزراعة على نطاق واسع فى إنتاج الحبـوب إلا بعد أن استـوردوها من الخارج وذلك من شعـوب الشرق العربى ، وأنـه من حوالى خمسـة آلاف سنة قبل الميـلاد انتقل هذا الأسلـوب الجديد للـزراعة من وادى الأردن إلى وادى النيل أى من فلسطين إلى مصر أى من المنطقة التـى نسميها مثلث الحضارة القـديمة أى بابـل وسوريا واليمن ومصر ومـن ذلك نجد الشعير والذرة والقمـح والثيران والمـاعز والخراف توجـد على الفطرة فى غـرب آسيا فمن تلك المنطقـة انتقلت إلى الشرق العربى على التـوالى مع حضارات بابل واليمن ومصر .

وقد لخَّص رجال الآثار والتاريخ القـديم عن الشرق العربى القديم أن بلاد الشام ومصر وشمال أفريقية مرتبط بجنوب غرب آسيـا وجنوب البحر المتوسط بالأرض والجنس وأن سكانها تربط بينهم مجموعة صلات وأن الصلات استمرت مضطردة بين مصر وفلسطين واليمن وغرب

الجزيرة وأن التمازج والتزاوج والاختلاط بين هذه المناطق كان بصفة مستمرة وأن العرب كانوا منتشرين فى برزخ السويس وشبه جزيرة سيناء متجاورين ومترابطين بين فلسطين ومصر وهم أسيويون صميمون . وقد أثبتت قبور « أبيدوس » فى سوهاج بصعيد مصر والتى تعود إلى العصر النيولينى أن صلات تجارية متبادلة كانت قائمة بين مصر وفلسطين وقد ثبت أن صلات مباشرة أو غير مباشرة بين الدلتا وشمال سوريا وجنوبها كانت قائمة فى بداية العصر التاريخى مع هؤلاء العرب .

وقد بنى المصريون فى وادى طميلات وهو الطريق الجنوبى عبر سيناء إلى فلسطين نقطًا محصنة كما أقاموا معابد للإله « سبتو » Septu إله الشرق ، وكانت تماثيل الآلهة المصرية تعبد إلى جانب الآلهة المحلية فى الشرق العربى الآسيوى ، وكان فرعون مصر يعبد فى سيناء نقطة الصلة بين مصر وفلسطين فكانت هذه الوحدة الروحية تدعيماً للوحدة السياسية ، ويتضح من قراءة حجر باليرمو : وصول أربعين سفينة محملة بأشجار أرز من لبنان فى عهد الملك سنفرو فى الأسرة الرابعةومما تقطع بقيام صلات تجارية مع المناطق الآسيوية التالية لسيناء .

ومن الثابت علمياً أن هناك وحدة ملحوظة بين العناصر الأنثروبولوجية لأقوام فلسطين وما بين النهرين الذين يسمون عربًا وكنعانيين وفينيقيين وعموريين وكلدانيين وآشوريين ، كما أن هذه الوحدة ملحوظة أيضًا من لغاتهم .

وحوالى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد كانت هجرة الكنعانيين الذين حلوا غرب الشام وفلسطين بعد ٢٥٠٠ق.م ، وكذلك الفينيقيين وكان هؤلاء الكنعانيون أو الفينيقيون أول من نشر فى العالم نظامًا خاصًا للكتابة بالحروف الهجائية وبين سنتى (١٥٠٠ق.م-١٢٠٠ق.م) تسرب الآراميون السريان إلى فلسطين وشمال سهل البقاع الواقع بين جبل لبنان الشرقى والغربى ، وحوالى (٢٥٠٠ق.م) نزل الأنباط الأرض الواقعة إلى الشمال الشرقى من شبه جزيرة سيناء . ومن الآثار المصرية تبدأ معرفتنا فى أواخر الألف الرابعة قبل الميلاد لأهل فلسطين وما بين النهرين حيث يبين بوضوح صورة العرب الذين من أصل سامى بحت والذين يسكنون الواحات والصحارى العربية سواء فى شبه جزيرة سيناء أو على الضفة اليمنى من النيل (جبال سيناء) أو المنطقة الجرداء بين مصر وفلسطين ، وكذلك ظهرت العناصر العربية القوية على شاطئ السهل الفلسطينى الذى كان يسمى إذ ذاك شبلاح

Shephelah . وفى منخفض نهر الأردن والعـاصى بسـوريـا كـانت تسكن أقـوام من العـرب الساميين الذيـن كانوا يسكنون شاطـىء فلسطين وسوريا وإلى هؤلاء القوم ينتمـى الكنعانيون الذين لم يظهـر اسمهم إلا فى منتصف الألف الثانية قبل الميـلاد كما يؤيِّد المؤرخ مـاير Mayer والعموريـون ثم انتشروا حتى وصلوا إلى كلوديا فى عهـد مبكر ، وقد سمى هؤلاء بـاسم العرب منذ القـرن الحادى والثلاثين قبل الميـلاد . ومنذ ذلك التـاريخ لوحظت الـوحدة اللغـوية التى ربطت بين لغات تلك القبائل فقد كانت تعود فى أصلها الصميم إلى اللهجات التى تحدث بها عرب شبه الجزيـرة العربية وتحدث بها الكنعانيـون والبابليون والآشوريـون والآراميون . بل دفع البدو العرب قطعان ماشيتهم نحـو مصر وقادوا قوافلهم عبر الصحارى شرق مصر طيلة آلاف السنين لا سيما أن السفن المصرية قبل نهاية الألف الرابعـة قبل الميلاد كانت تتردد على شاطئ البحـر المتـوسط الفلسطينى ، ولكن سكـان هذه المنطقـة لم يعـرف عنهم شىء إلا من الآثـار المصريـة والكلـدانية ، ولم يبـدأ تـاريخهم إلا مع الفينيقيين فى الشمال والفلسطينى فى الجنـوب حـوالى (١٢٠٠ق.م) ولم يطلق اسم فلسطين على هـذا الجزء مـن الشرق القـديم إلا بعـد أن قدمت قبائل عربية تعرف باسم (فليستا) وهكـذا فإن هذه المنطقة قد سكنتها الأقوام العربية الأولى القادمة من شبه الجزيرة العربية ، وهو الرأى الذى استقر عليه الرأى العلمى السليم وأن الجزيرة العربية تعتبر الوطن الأصلى للعرب الساميين .

وقد ذهب نصـف المؤرخين إلى وجود السلالـة الجنسية العـربية السـامية فى هـذه المنطقة الممتـدة من المحيط الأطلسى إلى الخليج العـربى ولا سيما أن هنـاك اتفـاق أن هجـرة عـربيـة خرجت من شبه الجزيرة حـوالى عام (٢٥٠٠ق.م) أى بعد الألف عام على الهجرة الأولى ، وأن هذه الهجرة الثانية هى التى أحلت محل العمـوريين والكنعانيين والفينيقيين فى سوريا وسواحل البحـر الأبيض الشرقية ، وأن علماء اللغـات فى تاريـخ الشرق القديم لاحظـوا وجه الشبـه بين لغات الآسيويين العـرب السـاميين الذين باتـوا على صـلة مستمرة بمصر منذ فجـر التاريخ ، ولا جـدال فى أن الكنعـانيين من القبـائل العـربيـة الكبيرة والقـويـة التى سكنت فلسطين واستوطنتها منذ ٢٥٠٠ عام قبل ميلاد المسيح وأنها صبغت تلك الديار بالصبغة العربية التامة وأن هذه القبائل قد انصهـرت مع من سبقها من قبائل عربية مهاجرة من شبـه الجزيرة العربية ومن بلاد الرافدين ، حيث كـانوا يشكلون غالبية السكان إضـافة إلى إخوانهم الفينيقيين الذين سبقوا إلى الشمال قليلا من فلسطين وبالتحديد فى السـاحل السورى للبنان وأن ظهور الجفاف

فى شبه الجزيرة العربية تعزى إليه الهجرة العربية السامية التى اندفعت منذ منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد أى حوالى (٣٥٠٠ قبل الميلاد) لا سيما قد ذهب كثير من العلماء والجيولوجيين أن نجد هى منبع الهجرات العربية السامية وأن منطقة البحرين هى منبع هجرة الفينيقيين وغيرهم إلى تلك المنطقة ، وقد ذهب آخرون إلى أن شبه الجزيرة هو المنبع الذى تدفقت منه الهجرات العربية إلى تلك المناطق فى فلسطين ولبنان وسوريا ، ولقد تم ضم فلسطين وبلاد الساحل تحت حكم الأسرة العربية الآكادية التى خرجت من مدينة آكاد ونجحت فى مد سطوتها ، واستطاع سارجون ملك آكاد حوالى عام ٢٨٥٠ق.م أن يؤسس مملكة فى مناطق كثيرة من شبه الجزيرة العربية كمدن سومر وآكاد ووسط الفرات وشاطئ سوريا حيث كان الوصول إلى شاطئ البحر الأبيض المتوسط سهلاً ميسورًا ولا يتردد علماء تاريخ الشرق العربى القديم بأن سارجون الملك الأكادى العربى قد ضم سوريا وفلسطين إلى دولته لفترة طويلة ، وقد دلت الألواح فى تل العمارنة بمحافظة المنيا بصعيد مصر على أن الملك سارجون وصل إلى لبنان وغزا بلاد العرب العاموريين ، وتابع أحفاده سياسته فى ضم البلاد العربية تحت لواء وحدة سياسية حوالى عام ٢٧٦٨ق.م ، فمن هنا فمما لا شك فيه أن هناك دولة عربية سامية ضمَّت فى الثلث الأول من الألف الثالثة قبل الميلاد كل بلاد الهلال الخصيب بما فيه فلسطين وأن كل تلك الأراضى المطلة حتى موانئ البحر الأبيض المتوسط كانت تسكنها أقوام عربية سامية امتزجت مع عناصر أثمر عنها ظهور الكنعانيين . ولقد كان امتداد الدولة التى أنشأها سارجون إلى أراضى الكنعانيين سببًا فى سياسة الامتزاج مع العرب القادمين من بلاد ما وراء النهرين ، وقد ظل الكنعانيون والعاموريون طيلة خمسة قرون يختلطون مما أدى إلى قيام امبراطورية عربية سامية .

وفى حوالى (٢٨٠٠ق.م) استعادت الامبراطورية العربية حدود الدولة الأكادية فامتد حكم البابليين إلى كنعان فى فلسطين ودمشق وآكاد ، ولقد كان لهذه الفترة من تاريخ العرب أهمية خاصة فى الوحدة العربية فى ظل حكم حمورابى ، لا سيما أن حمورابى كان ملكًا على بابل (٢٠٠٠ق.م) وقد كشفت الأبحاث الأثرية الحديثة أن حضارة كنعان كانت تمتد من غزة جنوبًا إلى رأس شمر شمالاً - أغاريت شمالا - وأن اللغة والديانة والحضارة كانت واحدة فى هذه البقاع . وقد أقام إبراهيم أبو إسماعيل جد العرب فى الطرف الجنوبى من بلاد فلسطين وله دلالة كبيرة فى أصل العرب وتبين قصة إبراهيم ، ومما يقطع بانتقال إبراهيم وإسماعيل إلى مكة

وبناء الكعبـة ما ورد فى سـورة آل عمران وكذلك مـا ورد فى سورة البقـرة . وهناك إجماع فى آراء المؤرخين على أنه بعد أن تم بناء البيت الحرام عـاد إبراهيم إلى فلسطين وأقام إسماعيل فى مكة . ولقد أجاب بعض الذيـن انكبوا على دراسة تاريخ وحياة سيدنا إبـراهيم على هذا بقولهم : ربما كان فى المفاجآت عند بعض الناس أن يقول لهم : إن إبراهيـم عليه السلام كان عربيًّا وأنه كان يتعلم اللغة العـربية ، ولكن ليس بالبداهـة أنه كان يتكلـم العـربية التى نتكلم بها ، ونكتب بها اليوم ، إنما اللغة العربيـة الحالية تعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد . وأما اللغـة العربية المقصودة فهى لغة الأقـوام التى كانت تعيش فى شبه الجزيرة العـربية وتهاجر منها وإليهـا فى تلك الحقبة ولقد كانت لغة واحدة من اليمن إلى مشارف العراق والشام وتخوم فلسطين وسيناء وأن إبراهيم كان يتكلّم بلغة يفهمها جميع السكان فى كنعان (فلسطين) وبلاد النهرين .

ولقد كانت فلسطين أثنـاء حكم ملوك الدولة الحديثـة فى الأسرة الثانية عشرة تحت حكم الفراعنـة ، وأن الصلات السياسيـة والتجارية مع الآسيويين سلكت طـرقًا عدة منهـا الطريق البحرى الذى يصل بين الـدلتا وميناء جبيل على شاطئ البحـر الأبيض المتوسط الشرقى مرورًا بفلسطين ، ومن هذه الموانئ الشرقية التى شهدت فيما بعد عظمة الفينيقيين كان يصدر الخشب من لبنـان كما كانت منتجـات الأراضى الـداخلية ومنهـا طريق القـوافل المـار بغزة وشـاطئ فلسطين وكانت سوريا على صلات مستمرة بمصر حوالى منتصف عهد الملك سنوسرت الأول (١٩٥٠ق.م) وبعد فترة من الزمـن كانت سياسة مصر التى أملت على المصريين سيـاسة كان يجب تنفيذهـا وهى إنشاء امبراطورية فى الشرق العـربى تضم فلسطين وسوريا وجنـوب غرب آسيـا وكانت تلك هـى رسالـة الأسرة الثـامنة عشرة (١٥٨٠ - ١٣٢١ق.م) والتى امتـدت بها الدولـة المصرية إلى فرع الهلال الخصيب الذى يمتـد من الفرات إلى برزخ السـويس وتمت فيها الـوحدة المصريـة السوريـة وقام المصريـون بتحقيق المشروع الضخم وهـو إنشاء وحـدة تضم الشرق الأدنى كله أو الشرق العربى .

وتحققت وحدة مصر مع أقطار من الشرق العربى ، ودخل فى طاعة هذه الدولة أهل دولة معين التى كانت تقوم فى جنـوب شرق شبه الجزيرة العربية وحـدث أن اجتاز المصريون فى ١٩ أبريل ١٤٧٩ق.م وصلـوا غزة ثم وصلوا بعـد إلى مجدوا وكذلك وادى العـاصى فى قلب لبنان وشملت الوحدة المراكز الاستراتيجية التى تتحكم فى الهلال الخصيب .

وهكذا قامت وحدة طوال قرن من الزمان (١٤٦٠ - ١٣٦٠ق.م) وذلك فى عهد تحوتمس الثالث وذلك استجابة لدواع طبيعية تربط بين شعوب هذا الشرق وفى عهد أمنحتب الثالث وفى بدء (١٣٨٠ - ١٣٦٢ق.م) فكر أمنحتب الثالث فى أن يجعل فلسطين وسوريا ولايتين تابعتين لمصر . وقد عمل ملوك مصر على توثيق عرى الوحدة مع حكام ذلك الجزء من الشرق العربى تدعيماً للروابط السياسية وتدعيم المصالح التجارية لا سيما أن رسائل تل العمارنة تشير إلى رؤساء المدن العربية الآسيوية ، وأن هؤلاء الأمراء لم يكونوا مصريين بل كانوا ممثلين للأسر العربية السامية الحاكمة فى المنطقة ، وأن الوحدة كانت بين مصر وكنعان وسوريا وأن هذه الشعوب كانت جميعها ملتقية فى الحضارة المصرية ، وهكذا فإن وحدة الشرق العربى فى عام ١٥٠٠ق.م أصبحت حقيقة تاريخية وأنها كانت نوعًا من التعاون بين الدول وأن يصبح العالم العربى وحدة مستقلة متواصلة لم يكن هناك غير الشعب العربى الذى يسكن تلك المناطق منذ خروجه من الجزيرة العربية منذ أربعة آلاف سنة قبل الميلاد فى شكل موجات بشرية تدفع بها شبه الجزيرة العربية على أطرافها شرقًا وغربًا وصبغة لهذه الديار بالصبغة العربية التى كانت فلسطين قلبها العربى امتداد شمالاً إلى سوريا وغربًا عبر سيناء إلى برزخ السويس وصولاً إلى مصر وشمال إفريقيا وبذلك يتأكد تاريخنا دون الدخول فى تفاصيل أنثروبولوجية أو أركيولوجية . إن فلسطين عربية منذ ذلك الزمن البعيد وأن القدس مدينة قديمة يرجع تاريخها إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد وربما (خمسة قرون) وقد سميت خلال هذا التاريخ الطويل بعدة أسماء أقدمها أورسالم Urusalim وهى كلمة قديمة أطلقها عليها أقدم سكانها العرب الكنعانيون (البيبوسيون) وهؤلاء البيبوسيون قبيلة عربية من أشهر عشائر العرب الكنعانيين عاشت فى فجر التاريخ فى جزيرة العرب ثم رحلوا إلى فلسطين وأسسوا هذه المدينة واتخذوها عاصمة لهم حوالى ثلاث آلاف قبل الميلاد . واستوطنوا بها ودعيت بهذا الاسم نسبة إلى زعيمها بيوس وتتكون من مقطعين « أورو » وتعنى المدينة و « سالم » تعنى السلام وقدحرفها الأكاديون أورسالم وهم شعب عربى سامى مثل الكنعانيين استوطنوا أواسط بلاد ما بين النهرين وأسسوا فيها دولة قوية استمرت نحو قرنين (٢٤ - ٢٢ق.م) ، ويرى أحد الباحثين وهو فيليب حتى فى كتابه تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ترجمة كمال الباز فى بيروت ١٩٥٩م جـ١ ص ٧٢ أن اسم أوروسال مشتق من الكلمة الكنعانية يا وشاليم بمعنى « دع سالم يؤسس » وسالم هو اسم السلام عند الكنعانيين وقد عرفت بيت المقدس بأسماء أخرى فى

تاريخها الطويل مـدينة بيوس وهو الاسم الكنعانى العربى الذى أطلق على المدينـة عندما كان يحكمها الملك الكنعانى البيوس الملقب أبا الملوك .

كذلك يذكر أن عاهل مصر أمنحتب الثالـث الذى حقق للشرق العربى وحدته قد أنشأ فى فلسطين ربما فى مكان القـدس مدينة (خيتاتين) . ممـا يدل على أن إخناتون قـد تبين له أن شعوب الشرق العربى كانـت تعمل إلى تحقيق مصالحها السياسية والتجاريـة ، وأنه حاول حقًا أن ينفذ إنشـاء إمبراطوريـة عالمية ضخمـة عربيـة وكان فى ذلك يمتـاز عن الحاكمين العربيين (سارجون وحمورابى) اللـذين لم يدركا ما أدركه إخناتون مـن ضرورة قيام إمبراطورية فى الشرق العربى كانت فلسطين جزءًا وسطًا فى هذه الامبراطورية بل كانت صلة الربط بين مصر وأجزاء العـالم الشرقى العـربى ، وقـد حـدث أن قـامـت وحـدة عـربيـة فى عهـد حكم (سيتى الأول ١٣١٩ق.م) حيث ضم قـلاع فلسطين كنعـان ووصـل إلى حـوران شمالاً وضم مـوانئ شرق البحر المتـوسط لتكون قواعـد بحرية تمكنـه من ضـم سوريا بأكملهـا . وفى عام (١٢٩٥ق.م) انتصـــر رمسيس الثانى فى مـوقعة قـادش وتحقق أمــل مصـر فى تحقيق وحـــدة تضـم أقطـار الشرق العربى .

وقد دامت وحدة الشرق العربـى الأولى نحو قرنين ونصف قرن (١٥٠٠ - ١٢٥٠ق.م) حيث حدث انـدماج بين المصريين وسكان تلك المنـاطق وانتقل العديـد من سكانها إلى مصر حيث ذابوا فى المجتمع المصرى مشكلين تيارات هجرة بشريـة حيث ازدادت حركة هجرة هذه العناصر مرورًا بفلسطين فى القـرن الثالث عشر قبل الميلاد ، ومنذ منتصف القـرن الثالـث عشر قبل الميـلاد ساد الاضطـراب مصر ، ولكن العنصر العـربى كـان يضفى طـابعه فى أثنـاء ذلك الاضطراب فقد تـولى الحكم فى مصر أحد الأمراء الكنعانيين كما تمكن بعض البـابليين من بناء مدينـة على مقربة من ممفيس أسموهـا بابل وقد ساعـدت عوامل خارجية على إضعـاف النفوذ المصرى فى فلسطين فى تلك الفترة فى نهايـــة عصر الأسرة الثـامنـــة عشر لا سيما عنـد ظهـــور العناصر الآريـة غير الساميـة العربية وقـد تولى الكنعانيـون والبابليـون حكم بعض المناطق فى مصر لكنه انتهى فى بداية حكم رمسيس الثالث (١٢٠٠ - ١١٦٩ق.م) حيث كان آخر ملوك مصر العظـام حيث استطاع هـذا الحاكم المصرى أن يحافظ على عروبـة الوطن العـربى لا سيما عنـدما تبين ظهـور هجرات الشعـوب الأوروبية إلى سـوريا فسـارع الأسطول المصرى إلى أحـد

موانئ سوريا كما سارعت الجيوش المصرية إلى وقف الزحف الأجنبى الأوربى وأنقذت مصر فلسطين وسوريا ولبنان من هذا الغزو وأعادت بالقوة أقوام البحر كما كان الأوربيون يسمون إذ ذاك إلى جزرهم وإلى إيطاليا وكانت نتيجة تلك الحملة المصرية (١١٩٢ق.م) أن أعيدت وحدة كنعان التى كانت فلسطين (أرض شبلاخ وزاهى) مع مصر . وفى ورقةالبردى المعروفة باسم (بردية هاريس) إشارة إلى معبد أقيم لرمسيس الثالث وآمون فى إحدى مدن زاهى بأرض كنعان وقد استقرت قبيلة بوليستو العربية Pulestiu التى اتخذ منها اسم فلسطين فى أرض شبلاخ وفى المنطقة الساحلية كغزة وسميت منذ ذلك الوقت باسم فيلستيا Philistia التى جاء منها اسم فلسطين فهل بعد كل ذلك السرد التاريخى منذ القرن الرابع قبل الميلاد وصولاً إلى القرن الثانى قبل الميلاد مرورًا بحركة القبائل العربية المهاجرة والمستقرة فى فلسطين والمرتبطة ارتباطًا وثيقًا فى شكل وحدة الشرق العربى مع مصر أو مع سوريا حيث كانت فلسطين تشكل خط الدفاع الأول عن مصر ، ولم تكن سيناء بوابة مصر الشرقية بل كانت فلسطين هى بوابة مصر الشرقية حيث كانت فلسطين منذ قديم الزمان تأخذ اسمها من القبيلة العربية Pulestiu أو Philistia وأن لفظ « شاسو » الذى كان يطلقه المصريون على البدو هم العرب الذين كانوا يسكنون صحراء (شو) وهى الصحراء التى تقع بين مصر وفلسطين فى حدود مصر الشرقية وهم الذين علموا المصريين استخدام الجمال .

ولقد ظلت فلسطين فى قلب الأحداث العربية لا سيما بعد أن كانت تنقل البضائع من منتجات الفينيقيين الصناعية فى صور وصيدا وبيروت وجبيل حيث انتقل مركز القوة والثقل من الشرق العربى إلى قوة عربية جديدة غير مصر هى الفينيقيين وهم عرب ساميون هاجروا من الخليج العربى جنوب شرق الجزيرة العربية إلى شمالها الغربى ، وكانت مصر فى ذلك الوقت تواجه خطر تسللات ليبية فى العام الحادى عشر لحكم رمسيس الثالث لا سيما وقد استقرت هذه الهجرات فى غرب الدلتا باعتبار أنهم مواطنين مصريين حيث تم اندماج الليبيين فى القومية المصرية تحت حكم وحدة الجنس والثقافة وفى ذلك الوقت عاد العرب أهل شمال الجزيرة العربية يحملون رسالة تحقيق وحدة الشرق العربى فى شمال سوريا واستقر الفينيقيون العرب على الساحل وفى الداخل كان بدو الصحراء الأراميون العرب الذين تبادلوا الصلات مع المصريين وتجمعوا فى المدن وأنشأوا حكومات تبادلت علاقات دبلوماسية مع الدول المحيطة وأصبحت قواعد البحرية السامية صور وصيدا وجبيل موانئ تجارية لهم .

وفى ١٠٠ ألف قبل الميلاد استطاع الفينيقيون بواسطة تبسيط اللغة الهيروغليفية أن ينشئوا أبجدية للكتابـة وفى داخل البلاد استطاع الأراميون العرب أن يبسطوا سيطـرتهم وكونت ثلاث دول عـربية هى (دمشـق ، زويا ، حما) وأن تلك الـدول الثـلاث استطاعـت أن توقف تقـدم الأشوريوين طيلة ثلاث قرون . وقـد اقتبس الأراميون من الفينيقيين أبجدية انتشرت فيما بعد فى سائر أقطار الشرق العربى ، وحلت محل اللغة الهيروغليفية المصرية وغيرها من اللغات ، حيث استطـاع الأراميون الفينيقيـون العـرب منذ القـرن السـابع قبل الميـلاد (٧٠٠ق.م) أن ينتزعـوا السيـادة التجاريـة وعملـوا على تنفيذ خطـة تحقيق وحـدة الشرق العربى ، حيث أنشأوا دولـة تجارية عربية فى شرق البحر المتوسط .

وهنا نضع الدليل القوى البارز على عروبـة فلسطين منذ أقدم الأزمنة حيث أنه فى جنوب سوريا كانت المنطقة الساحلية فى أيدى « الفلسطينيين » أى أبناء القبيلة العربية فيلستيا الذين استقروا وكانوا قبائل عربية ساحلية وليسوا شعوب بحر متوسط قادمين من بحر إيجه كما حاول أن يصور ذلك بعض الباحثين الأوربيين الذين يريدون أن يعيدوا كل شىء إلى أوربا . المهم أن تلك القبـائل أسست خمس مدن بعـد الاستقرار النهـائى ، أهمها غـزة فى السـاحل وأشـدود فى الـداخل حيث كان الكنعـانيون العـامـوريون العـرب إذ ذاك لا زالوا يحكمـون تلك الأراضى العربية كما أن الفلسطينيين تقدموا حوالى (١١٠٠ق.م) إلى شواطىء الأردن وأخضعوا الشعب الذى سكن تلك المناطق ، وكان الكنعانيون قد اتخذوا القدس عاصمة لهم ولكن ششنق الأول ملك مصر الليبى الأصل أعاد القـدس إلى السيادة المصرية عـام (٩٢٥ق.م) وساهم فى تمزيق بعض القبـائل التى تسكن بـالقـرب من المدينـة وكـان ملوك نينـوى ، فيما بين النهـرين ، قـد استعادوا الأرض التى تقع بين نهر الفرات ونهر العاصى والتى تتحكم فى طرق الهلال الخصيب ثم ضمـوا تلك الموانى التى كانت تخضع للفينيقيين وتم ضم دمشق فى عـام (٧٣٢ق.م) ومن ثم عادت القـوة إلى الأشوريين الـذين استطاعـوا بقيادة اسرحـدون (أشوراضى الـدين) عام (٦٧١ق.م) أن يضموا الـدلتا كما استطـاعوا بقيـادة أشور بـانيبال ، عـام (٦٦٨ق.م) أى بعد ثلاث سنـوات أن يضموا مـدينة طيبـة وبذلك تحققت وحـدة الشرق العربـى بما فيها فلسطين طبعًا ؛ لأنـه ليس من المعقول أن تسقط دمشق ومصر بدون أن تكون مـدن فلسطين قد وقعت تحت الحكم الآشورى ولكن الهجرات العربية السامية كـانت لا تزال تتدفق من الجزيرة العربية نحو حدود الدولة الآشورية العربية لا سيما بعـد أن سيطر البابليون العرب الذين كانوا يسمون

سابقًا الكلدانيين وسميت منذ ذلك الوقت كلديا ، وسقطت « نينوى » عام (٦٠٦ق.م) وبذلك انتهى الوجود الآشورى السامى ، وحل الكلدانيون فى السيطرة على العالم العربى طوال ثلاثة أرباع القرن (٦٠٦ - ٥٣٩ق..م) محل الأشوريين ، واستعادت بعد نحو ألف عام مكانتها كعاصمة للعالم العربى السامى واستطاع ملكها العربى « بختنصر » الثانى أن يحطم مدينة القدس التى كانت أصلاً عربية واستقرت بها بعض القبائل المهاجرة بلا وطن ولا مأوى عام (٥٩٦ق.م) وأن يتم تهجير ونقل أهلها إلى بابل ، وهناك ذابت هذه العناصر الدخيلة فى شتى أقطار الأرض القديمة بها أصبحوا جزءًا من شعوبها ، ولم يعد الطابع العقائدى مظهرا على وجودهم وهكذا وضع بختنصر الثانى حدًا نهائيًا لهذا الوجود الذى لم يكن إلا عابرًا للديار العربية ولم يكن له وطن فى مصر أو فلسطين أو مكان يستقر فيه ، وتلك طبيعة القبائل البدوية التى هزمها بختنصر فى مدن بابل المختلفة ، لكن الذى ينظر إلى أفعال بختنصر وتاريخ البابليين والآشوريين يدرك مدى قدرة هذه الشعوب العربية التى بلغت فيهم العبقرية إلى حد بعيد حين أدركوا خطر هذه القبائل فكانت تصفيتها فى فلسطين ، ومن ثم ساد الاستقرار أنحاء هذه الامبراطورية لا سيما أن أشور العربية قد بلغت فى خلال النصف الأول من القرن السابع قبل الميلاد أوج عظمتها فاندفعوا غربًا نحو فينيقية وهناك ركبوا البحر ووصلوا إلى مصر ثم جاءت بعدها بابل العربية لتمارس دورها الامبراطورى نحو ثلاثة أرباع القرن (٧٥ سنة) كانت فى تلك الفترة قوة عالمية مرهوبة الجانب ثم لعبت بابل دورًا هامًا بارزًا فى عهد بطلها « نيوبونصر » وبختنصر ، لكن القوة العربية عبر تاريخها الطويل لم يقدر لها الاستمرار فى حكم تلك الديار حيث خرجت القوة الفارسية قادمة من وراء الخليج عام (٥٣٩ق.م) لتسقط بابل وتنساح فى الأراضى العربية وبذلك دامت وحدة الشرق العربى الثانية قرنًا وربع قرن (٦٦٨- ٥٣٩ق.م) عندما غزا الفرس الشرق العربى وصولاً إلى مصر وانهارت هذه الوحدة العربية .

ومن ذلك يتضح لنا كيف أن أول إنسان تحرك على أرض فلسطين واستقر بها منذ عصور ما قبل التاريخ بل منذ العصر الحجرى القديم وربما أوائل العصر الحجرى الحديث كان إنسانا عربيًا قادمًا فى حركة الهجرة من الجزيرة العربية ، وأن حركة الهجرة هذه بدون مبالغة تعود إلى عهود سحيقة فإن صلات السلالة والدم مرتبطة مع شمال الجزيرة العربية وفلسطين إلى عصور قديمة منذ العصور الجيولوجية القديمة وأن الحركة كانت سهلة ميسورة جدًا فى حركة الأفراد

والجماعات التى كانت تتجول فى تلك المناطق عندمـا تلتقى بلاد العرب بفلسطين وشبه جزيرة سيناء حيث كان لقاء العرب دائمًا وأن تلك الهجرات كما جاء فى عنوان هذا الفصل فى الدراسة « عروبة فلسطين منذ أربعة آلاف سنة قبل الميلاد » .

حيث كانت منطقة الجزيرة العربية بسكانها خزان هائل كانت تدفع بسكانها فكان ذلك يؤدى إلى خروج العرب عن جزيرتهم فى شـكل هجـرات أو موجات متعاقبة فكانت الهجرة إلى فلسطين وبـلاد الشـام وبـابل حيث اختلط هـؤلاء العرب وسكنـوا تلك المنـاطق وصبغـوهـا بالصبغة العربية منـذ الأزمنة القديمةولقد ظل الكيان العربى فى مراحله التـاريخية ممتدًا حافظًا لفلسطين عروبتها وشخصيتهـا مع أبناء عمومتها الأشـوريين والبابليين والكلدانيين والمصريين والفينيقيين ، حيث كـانت السلالـة الفلسطينيـة الكنعانيـة هى القبيلـة العربيـة التى انطلقت لتسكن هذه الديار ، حتى استطـاعت القبيلة العربية Philistia التى جاء منهـا اسم فلسطين والتى هى فرع من الكنعـانيين وكان ظهور هـذا الاسم بشكله الحالى منذ عهـد رمسيس الثالث (١٢٦٩ - ١٢٠٠ق.م) لكن هـذه القبيلة العـربية استقـرت فى غزة وأشـدود وكونت لها مـدن هامـة لعبت دورها فى الحيـاة السياسيـة والاقتصاديـة والاجتماعية ، ومـارست نشاطهـا الثقافى والحضارى وشاركت الممالك العربية فى الشمال حيث سوريا وفى الجنوب الغربى حيث مصر ، وارتبطت ارتباطًـا عضويًـا مع تلك الديـار فى شكل وحدة عربيـة ظلت قائمـة عبر السنوات الطويلـة ، فرغم القضاء على هذه الـوحدة العربية تحت ضربـات الفرس فى النصف الأول من القرن السادس قبل الميلاد .

وبهذا نكون قـد ألقينا الضـوء على عروبـة فلسطين قبل الميلاد حيث كـانـت تلك القبائل والمدن والحكومـات عربية صرفة فى صـورة مسميات قديمـة كالفراعنة والكنعـانيين والبابليين والأشوريين والفينيقيين والعموريين وغيرهـم والجميع كانوا عربًا .

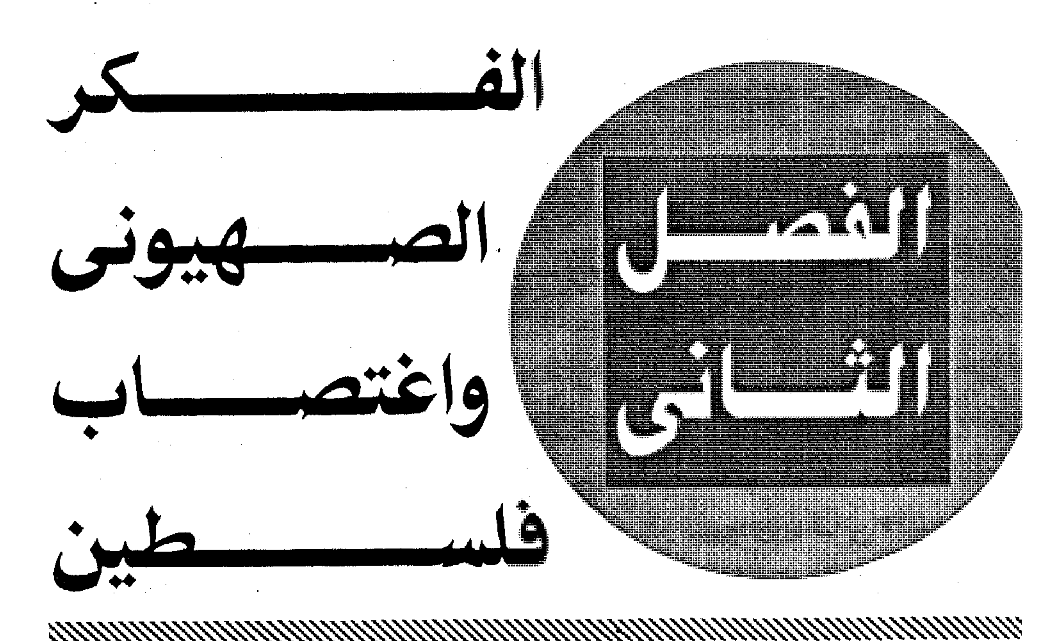
ونقول : إن نجاح حـزب الليكود فى صورة رئيس وزراء إسرائيل الجديد بنيامين نتـانياهو بعد انتخـابه رئيسًا لوزراء إسرائيل لمدة أربـع سنوات قادمة (١٩٩٦ - ٢٠٠٠م) ومـا ظهر من تشدد فى حملته الدعاية الانتخابية ورفعه شعارات نارية متطرفة ورفضه قيام دولة فلسطين وحق العودة للاجئين الفلسطينيين وأبدية القدس عاصمة لإسرائيل وعدم التقسيم وعدم الانسحاب من الجولان وأنه بـاستطاعته تحقيق السلام دون تنـازلات ، فإن كل ذلك لابد أن يواجه بـوحدة

الصف العربى والدور الفعّال القوى والفاعل فى المنطقة العربية بقيادة مصر ورئيسها محمد حسنى مبارك وعقده عدة قمم عربية مصغرة (لقاء مبارك مع معمر القذافى - لقاء الرئيس مبارك مع حافظ الأسد مرات متكررة - قمة العقبة بين مبارك - حسين - عرفات) لقاء الرياض بين (مبارك - الأسد - فهد) وغيرها من اللقاءات للعمل على وحدة الصف العربى . إن تشدد بنيامين نتانياهو وموقفه من العرب لن يكون إلا دعوة لوحدة الصف العربى والتقارب العربى .

لقد سألنى أحد الصحافيين صباح الأربعاء ٥/ ٦/ ١٩٩٦ عن حالة الزعر والفزع التى تنتاب العالم والعالم العربى بصفة خاصة بعد نجاح نتانياهو فى الانتخابات الإسرائيلية وقيامه بتأليف الوزارة وتوليه السلطة ، فكان ردى عليه : أن هناك كتاب سوف يصدر بعنوان (إسرائيل إلى زوال) ، ولأن يكون نتانياهو بتشدده أو عدم إدراكه للقدرة العربية التى تظهر وقت المحن والشدائد لتحافظ على الوجود العربى ولن يكون قدوم نتانياهو إلا ورقة للتضامن العربى والوحدة العربية والسوق العربية المشتركة . إن الوجدان العربى يدرك الحاجة إلى وحدة الصف والصمود والتصدى للتشدد والغطرسة ولجيل الصابرا فى إسرائيل ، لأن التحرك العربى عندما يتوحد سيكون قوى ويكون هناك أمل فى التأثير على صانع القرار فى إسرائيل .

وعجبًا أقول كأن عالم اليوم ليس به إلا دولة إسرائيل وأن الأمور العالمية رهن بانتخاب بنيامين نتانياهو رئيس الحكومة الإسرائيلية وما يقرره من أحكام بشأن الموضوعات التى صرح بها ، لكن له الحق فقد أعطوا له العرب هذه الفرصة ولو أن العالم العربى تدارك مايواجهه من تحديات منذ قيام إسرائيل عام (١٩٤٨ - ١٩٩٦م) لكان الحال غير الحال ولكن الفرقة والتمزق وعدم القدرة على مواجهة الصعاب جعلت بنيامين نتانياهو يقول مايقول ، ولن نقول له إلاماجاء عبر سطور هذه الدراسة بفصولها الثمانية فهل يدرك الإسرائيليون ماحوته هذه السطور .

* * *



فى عام ١٦١٦م صدر كتاب بعنوان « نداء اليهود » لـ « هنرى فيننش » والذى دعى إلى
ناء وطن مؤقت لليهود تمهيدًا لتأسيس إمبراطورية عالمية واسعة الأرجاء ، ثم فى القرن التاسع
ر وبالتحديد فى عام ١٨٣٤ فكر موسى حاييم مونتفيور Moses Haim Montefiore وكان
قام بزيارة فلسطين فتبين أن عدد اليهود فيها فى ذلك الوقت لا يزيد عن ثلاثة آلاف متفرقين
العديد من المناطق منها الجليل وطبرية والقدس وسياط وغيرها من المدن الأخرى وقد كان
د الأسر اليهودية فى فلسطين عندما فتحها العرب عام ١٩هـ/ ٦٣٩م لا يزيد عن خمسة
ريبلغ تعدادهم حوالى ٢٨ ثمان وعشرين فردًا . وكان موسى قد سافر مرة ثانية عام ١٨٣٨م
نب مذكراته بعد أن كان قد قابل الوالى المصرى محمد على وكان قد عرض عليه أن يؤجره
ما لكن مصر رفضت مشروع « موسى مونتفيور » لكنه عام ١٨٤٥م بعد تقليم أظافر محمد
، وتدخل الدول الأوربية للحد من طموحاته استطاع هذا الشخص اليهودى أن يحصل على
نغلال أراضى فى فلسطين عهد باستغلالها إلى خمس وأربعين فردًا يهوديًا . وفى عام ١٨٧٠م
نل النشاط اليهودى من انجلترا إلى روسيا حيث أخذ الروس منذ عام ١٨٧٨م يسعون
ظيم الهجرة إلى فلسطين . وفى نفس الوقت أسست جمعية أوسع نطاقًا من اليهود الروس

أطلقوا على أنفسهم اسم « محبو صهيون Hovevei Zion . وفى عام ١٨٩١ م قام يهودى روسى كان قد هاجر إلى فلسطين بالعمل على بعث اللغة العبرية ويجعلها من اللغات الحية التى يتفاهم بها اليهود وتم وضع قاموس لهذا الغرض .

وفى نفس الوقت أخذ التطلع إلى إنشاء وطن قومى لليهود يأخذ بعدًا للتنفيذ ، حيث تم اختيار الأرجنتين كأفضل دولة يتم فيها إنشاء وطن قومى لليهود ، لكن المشروع الأرجنتينى حورب من جانب القلة اليهودية فى فلسطين وذلك للإجهاز على هذا المشروع وفى عام ١٨٩١م تحرك اليهود الروس لتأليب القوى اليهودية فى أوربا ضد مشروع الأرجنتين لا سيما أنهم استخدموا من كبار رجال المال اليهودى سيفًا على رقاب الذين نادوا بهذا المشروع . لكن فى وسط الخلافات الدائرة بين أصحاب المشروع الفلسطينى والمشروع الأرجنتينى نجد فى عام ١٨٩٦م صدر كتاب « تحرير اليهود بواسطة اليهود » صدر لليهودى الألمانى « ثيودور هيرتزل Theodor Herzel » وكتاب آخر له باسم « الدولة اليهودية » . والذى ينظر إلى فكرة اغتصاب أراضى أى دولة سواء فى الأرجنتين أو أوغندا أو كينيا أو سيناء المصرية أو فلسطين .

وكانت أفكار تختمر فى رءوس بعض اليهود منذ القرن السابع عشر ، لكن الفكرة بدأت تأخذ وضعًا جديدًا مغايرًا للأفكار السابقة بعد أن أصدر ثيودور هرتزل كتابه « الدولة اليهودية» ، حيث بدأ هذا الرجل يتخذ خطوات فعلية لإنشاء دولة يهودية حيث وضع هدف إنشاء شعب متحد فى أرض يكون لليهود على هذه الأرض سيادة بحيث تكون هذه الأرض خالصة لليهود ومما يدل على أن الفكرة اليهودية قامت على اغتصاب أراضى الغير ولم تكن تحمل أدنى مضمون دينى أو فكر لاهوتى يهودى ذلك ؛ لأنه عندما زار هيرتزل معبد اليهود فى صوفيا عاصمة بلغاريا عام ١٨٩٦م قال له الحاضرون : أدر ظهرك للمحراب فإنك أقدس من التوراة ووضع هرتزل فلسطين فى فكره وتمت مقابلات مع السلطان العثمانى عبد الحميد الذى رفض الفكرة ؛ لأن أرض فلسطين ملكًا لشعبها وليس ملكًا للخليفة ولكن فكرة استعمار فلسطين بواسطة مزارعين يهود بدأت تظهر لحيز التنفيذ منذ عام ١٨٩٧م بعد عقد مؤتمر «بال» فى « سويسرا » . وكان أن تم الاتفاق على اقتطاع بقعة معينة من الأرض فى فلسطين ، وقرروا أن يهاجر من أوربا إلى فلسطين عدد ما بين ثلاثة إلى أربعة ملايين يهودى فى مدة لا تجاوز بضعة أعوام بمعدل لا يقل عن ربع مليون يهودى سنويًا .

ولقد كان للامبراطور الألماني موقف في مساندة سلطان تركيا ضد المشروع الصهيوني ؛ لأن ألمانيا كانت تتجه إلى مسالمة الإسلام والأتراك ومساعدة سلطان تركيا على هذا مما دفع هيرتزل وحزبه للهرب من فلسطين خشية أن يتم الاعتداء عليهم . وفي عام ١٩٠٢م بعد ست سنوات من إصداره كتابه أدرك فشل موافقة تركيا على المشروع وكان أن ولَّى نظره إلى انجلترا وكان أن اقترح عليه أن يتم إنشاء وطن قومي في قبرص ولكن ذلك يثير ثائرة أهالي قبرص من الأتراك واليونانيين ، ولكن هيرتزل اقترح منطقة العريش المصرية المتاخمة لفلسطين ولاحظ أن هناك اقتراحات عدة منها (الأرجنتين وقبرص والعريش في سيناء مصر) لكن لورد كرومر المعتمد البريطاني في مصر رفض باسم الحكومة المصرية استعمار العريش للمشروع اليهودي لاسيما أن المصريين رفضوا السماح لليهود أن يستعمروا فلسطين عام ١٨٣٥م عندما كانت فلسطين جزءًا من الدولة العربية المصرية .

وفي عام ١٩٠٤م عرض الإنجليز على هيرتزل قطعة أرض في شرق أفريقية واقعة في حدود كينيا على أن تكون مساحتها نحو مساحة فلسطين ، لكن اليهود الذين كانوا تعدادهم في ذلك الوقت يصل إلى ثمانية آلاف شخص رفضوا هذا المشروع ؛ لأنهم رأوا أنه سوف يتم تهجيرهم من فلسطين إلى كينيا .. وقد انقسم اليهود بعد عام ١٩٠٤م حيث ظهرت جماعة معارضة لإنشاء وطن في فلسطين ورأت ضرورة البحث عن أرض غير فلسطين وكانت فكرة هذه الجماعة استعمار برقة في ليبيا وتزعم هذه الحركة (إسرائيل زانجويل) وكانت جماعته قد أطلقت على نفسها Organisation Jewish Territorial (لاحظ التفكير في الأرجنتين ، وقبرص ، والعريش في مصر وبرقة في ليبيا وكينيا) ولا زال البحث جاريًا حيث استعراض خمسة بلاد لإنشاء وطن لليهود التائهين غير فلسطين لكن الآراء كانت تتعارض بين الاتجاهات المختلفة مما يثبت تحيز كل جماعة لمكان على حساب الآخر ولكن هذه الجماعات جميعها لم تستطع أن تظهر أدنى فكرة للتنفيذ من هذه الأفكار حتى قيام الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م .

والذي ينظر إلى ما ذكرناه يدرك أن الصهيونيين لم يجمعوا رأيهم على اتخاذ فلسطين وطنًا قوميًا ، بل فكروا في أن تكون الأرجنتين أو قبرص أو شبه جزيرة سيناء (العريش) أو كينيا أو برقة وغيرها مما يقطع بأن المبرر لاختيار فلسطين لا ينطلق من رؤية دينية أو تاريخية بل أن

الاختيار تم بعـد أن اتخذت الحركة الصهيونية طـابعًا سياسيًا كتمهيـد لاستعمار فلسطين أو أية أراض من الأراضى المجاورة لها .

لكن ما كانت تسعى إليـه الحركة الصهيونية هو إيجاد مكـان وليس وطن لكى يهاجر إليه اليهود دون مطهـد أو اضطهاد و إن كل ما كـان يسعى إليه اليهـودى هو أن يعيش فى فلسطين وأن يحصل على جنسية المواطن الفلسطينـى . وقد استطاع اليهـود بالهجـرة إلى فلسطين خلسة وعن طريق التحـايل أن يبلغ عددهم فى فلسطين حـوالى ٦٠ ألف قبل نشوب الحرب العـالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٩م) وأن هـذا العدد قـد قـدم من مختلف أنحـاء العالم لا سيما اليهـود القوقاز فى روسيا وقد أحدث تزايد هذه الأعداد تحولاً جذريًا فى تاريخ فلسطين ويرجع هذا إلى عدم عنـاية الإدارة العثمانيـة فى فلسطين بمراقبة قـدوم اليهود إلى فلسطين لا سيما يهود إيطـاليا وأسبانيا وفـرنسا وألمـانيا حيث كانت هجـرة اليهود الغربيين أكثر من أية عنـاصر يهودية شرقية حيث أن اليهود الشرقيين الـذين هاجروا إلى فلسطين لم يكن ليـزيد عن مائة أو مـائتين وهكذا فإنـه لم يكن من بين الستين ألف نسمـة الـذين كانـوا فى فلسطين قبل عـام ١٩١٤م إلا عشرة آلاف نسمة مـن اليهود الشرقيين الـذين كانـوا فى فلسطين أو قدموا مـن العراق وكـردستان أو سواحل بحـر قزوين عند مصب نهر الفولجا حيث كـان هؤلاء يمثلون طلائع الهجـرة اليهودية الـروسية الحديثـة لا سيما أن روسيا كـانت قد منعت دخـول اليهود نهائيًـا إليها وذلك بعـد أن تكاثر اليهود فى روسيا إلى المدى الذى أطلقت عليهم فى روسيا حظيرة اليهود Jewishpale .

وكـان منتصف مـارس ١٩١٦م قـد شهـد تـوقيع اتفـاقيـة بين الحكـومتين البريطـانيـة والفرنسيةعرفت بـاسم اتفاق (سايكس ـ بيكو) مندوبى الحكـومتين اللذين وقعاه وهما مسيو بيكو Picot أحد قنـاصل فـرنسا السابقين فى بيروت والإنجليـزى مارك سـايكس Sykes أحد المتوفرين على دراسة الشئون الشرقية .

وفى عام ١٩١٧ نشرت صحيفة Times البريطانية بيانًا ذكرت فيـه أن بريطانيا لا تعارض السياسة الصهيونية التى ترمى إلى إنشاء دولة يهودية فى فلسطين ، وفى ٢ نوفمبر ١٩١٧م صدر وعد بلفور وفى مارس ١٩١٨م تألفت لجنة برئاسة وايزمان تضم ممثلين من بريطانيا وقد ذهبت إلى فلسطين وكـانت تتكون من ثـلاثة يهود بـريطـانيين ويهودى فرنسى وثـلاثة يهود إيطـاليين ومعهم مـراقب من الولايـات المتحـدة وذلك للوقـوف على تنشيط حـركة الهجـرة إلى فلسطين

وفى٣يونيـة١٩٢٠ عين المندوب السامى الإنجليزى اليهـودى الجنسية « هربرت جـامويل » فى فلسطين وبـدأ يمارس عملـه بتنفيـذ شروط انتـداب بريطـانيـا لإدارة فلسطين لكن بـدأ تنفيـذ الانتداب البريطانى لإدارة فلسطين فى سبتمبر ١٩٢٣م .

ولقـد استغل اليهـود مـا جبل عليـه العـرب والمسلمـون مـن تسـامح دينى وأفق وعمق حضارى عريق ، وما يذكره التاريخ كيف عاش أبناء الـديانة اليهودية فى ظل الدولة الإسلامية كمواطنين لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ، ولكـن سلب فلسطين وغزوها كما أشار تقريـر الأمم المتحدة عام ١٩٤٦م أن أمنية الحركـة الصهيونية التى تـرمى إلى غزو فلسطين إنما هى أمنيـة الشعوب التى تنحـدر إلى قبائل الخزر Khazar ولقد اعتنق الخزر اليهـودية فى عصور متأخرة ، ولم يكن لهم أدنى صلة بفلسطين ولم يكن بينهم يهود ممن تمت أصـولهم إلى يهود موسى أو أسلافهم فالخزر شعوب آسيوية لا تنتمى على الإطلاق للسامية بدليل أنهم يشكلون عناصر بولندية ورومـانية وروسية وأكرانية ولتوانية وغـالسية وهى من الشعوب التى تسكن شرق أوربا وتتكلم اللغة البيديه Yiddish وهـم سلالـة الشعب الوثنى الـذى كان يطلق عليـه اسم شعب الخزر والذى طـرد من آسيا ورحل إلى شرق أوربا مع الشعوب المغـولية التى وصلت إلى أواسط آسيا ولم يعتنق هذا الشعب الوثنى الديانة اليهودية إلا فى القرن السابع الميلادى .

(أيها القـارئ الكريـم) لاحظ غالبيـة سكـان فلسطين حـاليًا من هـذه الشعـوب التى هاجرت إلى أوربا وهم على الوثنية . وكانت هذه الشعـوب الوثنية ليس لها أدنى صلة باليهودية حيث أنهم خلال القرن الأول الميلادى تقهقرت شعوب وقبائل الخزر إلى أوربا سالكين الطريق الذى يقـع شمال بحر قـزوين وفرضـوا سيطرتهم على شعـوب شرق أوربا ولم تمض سبعـة قرون حتى كانوا قد احتلوا منطقة تقع بين جبال الأورال شرقًا ووسط أوربا غربًا وشمال البحر الأسود جنوبًـا وهى منطقة تبلغ مساحتهـا نحو سُبْع مسـاحة الولايـات المتحدة الأمريكيـة . وأسسوا مملكتهم الوثنية وقد اشتبكوا فى حـروب مع المسلمين شرقًا والمسيحيين غربًا ؛لأن كل منهما كان يريد أن ينشر ديانتـه بين هذه الشعوب الوثنية ، لكن الملك « بـولان » أدى به الأمر إلى الاقتناع باليهودية دون المسيحية أو الإسلام وهذه هى الفرشة الأساسية التى يتكون منها سكان إسرائيل حاليًا (١٩٩٦م) ٨٤٪ من يهود إسرائيل من سكان شرق أوربا بعنـاصرها السابق الإشارة إليها الذين يعودون إلى أصول خزرية ومن هنا فقد أصبح الخزر يشكلون غالبية يهود العالم منذ القرن

التاسع أو العاشر الميلادى وهكذا تؤكد المصادر التاريخية كيف أصبح الخزر يهودًا بعد أن كانوا وثنيين فى القرن السابع الميلادى وصارت هناك رعية يهودية وصارت الملكية يهودية كما أصبحت المسيحية دينًا لبيزنطة والإسلام دينًا للعرب والمسلمين .

وقد ثبت تاريخيًّا أن الملك « بولان » بعد أن اعتنق اليهودية أدخل الحروف العبرية كأساس للغة التى كان يتكلمها الخزر وهى نفس اللغة التى قدموا بها إلى شرق أوربا من آسيا ومن ثم تطورت هذه اللغة إلى أن تصبح لغة البيدية ، وهى لغة لا تمت بأدنى صلة للغة العبرية تاريخيًّا أو دينيًّا وأن لها حروف أبجدية واحدة .

وقد تفرّقت بعضًا من هذه القبائل إلى مختلف جهات العالم وقطنت فى أماكن لم يكن بينها أدنى صلة أو قرابة جنسية لا سيما أن الخزر بعد رحيلهم من آسيا إلى شرق أوربا اختلطوا بنحو خمس وعشرين شعبًا من شعوب العالم عن طريق الفناء فى خصائصهم الجنسية أو الزواج وهكذا فغالبية اليهود الذين سلبوا أو سكنوا فلسطين هم من سلالة الخزر الذين تفرقوا بين الروس والبولنديين والرومانيين والأوكرانيين واللتوانيين والغالسين مع إضافة خمس وعشرين جنسية إلى هؤلاء والذين هم من أصل آسيوى نزحوا إلى فلسطين ولقد تفرق الخزر فى شتى أنحاء العالم منذ القرن العاشر الميلادى عندما هُزِموا أمام القوات الروسية مما أدى إلى تدمير مملكتهم اليهودية فاختفى اسم الخزر وشعب الخزر .

لكن تاريخ أوربا الحديث يدل على أن سلالة الخزر التى وزعت على دول شرق أوربا المختلفة قد حاولت أن تتحد مرة أخرى لتكوين دولة يهودية ومن هنا فإن إسرائيل هى دولة تجمع شتات الخزر المبعثرة فى جنسيات مختلفة على شرق أوربا وغيرها من البلاد الأخرى فى فلسطين وطن العرب وقد دلت الدراسات التاريخية على أن الخزر منذ القرن العاشر والقرن الثانى عشر الميلادى على أن الخزرانيين الذين تشتتوا بين دول شرق أوربا لم يعيشوا قط فى سلام بل كانوا دائمًا فى حروب مع جيرانهم .

وهكذا شهد عام ١٩١٩م تحمُّس زعماء اليهود البولنديين الذين هم سلالة الخزر بعد أن تأسست دولة بولندا حديثًا إلى الرغبة فى إنشاء أمة يهودية وظهور قومية يهودية فى نطاق الدولة اليهودية وهكذا كانت فلسطين ملجأ لهم منذ وعد بلفور ١٩١٧م لكن هذه الشعوب المنتشرة فى روسيا وشرق أوربا والتى تعود فى أصولها إلى الخزر أرادت أن تعيد مجد الدولة الخزرية اليهودية

التى كانت قد تشتتت على أيدى الروس فى القرن الثانى عشر ورأت فى الدعوة الصهيونية عقب الحرب العالمية الأولى إلى إنشاء دولة يهودية عصرية تسمى إسرائيل فرحة مباركة لتحقيق حلمها القديم فى افتعال إنشاء دولة إسرائيل ويعود كل اليهود الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وانجلترا ، وفرنسا ، والأرجنتين ، البرازيل ، بلجيكا ، وهولندا إضافة إلى دول شرق أوربا إلى أصول خزرية مع وجود عناصر أوربية اعتنقت اليهودية حديثًا فى القرن الخامس عشر بعد (١٤٩٢م) عندما تم طرد اليهود من أسبانيا والبرتغال فكان الاختلاط مع العناصر الأوربية الغربية أو مع بقايا الخزر الذين كانوا يعيشون فى شرق أوربا .

إن سكان إسرائيل حاليًا ينتمون إلى يهود الخزر الذين هاجروا من شرق أوربا إلى فلسطين حيث كانوا يشكلون غالبية اليهود حيث كان يوجد فى شرق أوربا غالبية يهود فلسطين وهم أكثر استفادة من المنافع التى قدمتها الجمعيات والهيئات الصهيونية وذلك لإغرائهم بالاستقرار فى الأراضى الفلسطينية فكانت الفرشة الواسعة من سكان إسرائيل حاليًا تعود إلى يهود شرق أوربا وروسيا الذين هم من سلالة خزرية ليس لها أدنى صلة بالشرق والسامية وأن الغالبية العظمى من يهود العالم فى أوربا وأمريكا وإسرائيل تعود إلى سلالة الخزر .

ولقد تنازعت الاتجاهات الفكرية لدى الجماعات الصهيونية حيث كانت هناك جماعة تحركها نزعة دينية ثقافية وهم قلة وغرضها أن تعيش فى فلسطين وأن يكون لها مركزًا محدودًا تقام فيه الشعائر الدينية اليهودية بكامل الحرية وإحياء اللغة العبرية وقيام مؤسسات ثقافية واجتماعية يهودية يتمتع فيها اليهود بكافة الحقوق مع جميع سكان فلسطين المسيحيين والمسلمين ودون أن تكون لهم أية ميزة سياسية أو أية نزعة استقلالية .

لكن الاتجاه الأقوى هو الاتجاه السياسى الذى كان يرمى إلى إنشاء دولة يهودية صهيونية فى فلسطين يحشر لها المهاجرون من كل الأقطار ويبلغ من يعيش فى فلسطين هذه الأيام أكثر من خمسة ملايين يهودى ينتمون إلى أكثر من اثنتين وخمسين (٥٢ جنسية) من أقطار الأرض وتبلغ أكثرهم من روسيا وبولندا وهم يهود الخزر ولقد قام رجال المال اليهود فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا بتمويل مؤامرة اغتصاب فلسطين وغزوها وافتعال دولة يهودية وكان المال هو السبيل إلى إغراء هذه الجماعات بالهجرة إلى فلسطين لا سيما أن الولايات

المتحدة فى ذلك الوقت كان بها من اليهود ما لا يقل عن ٢ مليون يهودى (بلغ عددهم حاليًا ١٩٩٦م أكثر من ثمانية ملايين بيدهم مقاليد الأمور كلها) .

ولا داعى للتوسع فى سرد الأحداث والثورات التى قام بها عرب فلسطين وما قام به اليهود من إنشاء المستعمرات اليهودية والأعمال الإجرامية فى اغتصاب الأراضى فى ظل الانتداب البريطانى واتخاذ الإجراءات اللازمة لتيسير الهجرة وتمكين المهاجرين من شراء الأراضى واحتلالها وإقامة المشروعات واعتراف وثيقة الانتداب بحق الهيئات الصهيونية فى إنشاء وكالة يهودية وقد عملت هذه على فتح الأبواب أمام الهجرة اليهودية على أوسع أبوابها بحيث وصل عدد اليهود إلى أكثر من نصف مليون مواطن عام ١٩٤٠م بعد أن كانوا يؤلفون بضعة آلاف تعد على أصابع اليد الواحدة عام ١٩١٤ وقبل صدور وعد بلفور عام ١٩١٧م (ستة آلاف يهودى ١٩١٤ - ١٨٠٠ يهودى ١٧٩٨) لكن فى ظل ازدياد النفوذ الصهيونى رسم اليهود خطتهم للاستيلاء على فلسطين نهائيًا وذلك عن طريق إجلاء البريطانيين ثم إجلاء العرب بعد ذلك وبعد أن انتهت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م صارت بريطانيا دولة من الدرجة الثانية تسير فى ركاب الولايات المتحدة الأمريكية وتعتمد عليها كل الاعتماد وكان ازدياد النفوذ الصهيونى إضعافًا للنفوذ البريطانى فى فلسطين وأصبح الاستعمار الصهيونى فى طريقه لإزاحة الاستعمار البريطانى لا سيما أن الولايات المتحدة كان لديها فى ذلك ما يقرب من ستة ملايين يهودى لهم نفوذ واسع فى شتى المجالات وكان لهم دور فى إنجاح الرئيس ترومان ١٩٤٨م وتبرعوا له بالملايين مما كان سببًا فى نجاحه واشتد الضغط على الإنجليز حتى اضطروا لأن يعلنوا فى أول مايو ١٩٤٧ عزيمتهم على الجلاء عن فلسطين فى منتصف مايو ١٩٤٧م وبذلك تم لليهود تحقيق هدفهم الأول وهو الاستقلال بفلسطين وكان الهدف الثانى إخراج العرب منها .

ولقد لاحظ المتتبعون لأنباء المسألة الفلسطينية منذ أن أصدرت الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة القرار المعروف باسم قرار التقسيم فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧م بين العرب واليهود رأى كثيرًا من دول الغرب إنهم لم ينظروا نظرة جدية إلى هذا القرار وأن الدول العربية لم تبدأ استعدادها لمواجهة الاحتمالات إلا بعد جلاء الإنجليز أما الجانب اليهودى فقد أخذ للأمر عدته وتحركت جماعات الإرهاب (أرجون) (وهجانا) وبلغت قواتهم نحو مائة ألف جندى

وجاءت الإمدادات من أوربا وأمريكا وتأكد دور الولايات المتحدة الأمريكية كقائد للمعسكر الغربى وتحالف الجميع غربا وشرقا لإهدار حقوق عرب فلسطين وإقامة دولة يهودية فى المنطقة العربية وكان المنطلق من ذلك أن المنطقة تحتوى ٥٠٪ من احتياطى العالم من النفط وكميات ضخمة من المواد الخام والموقع الهام فى شبكة المواصلات العالمية ولابد من قيام رأس رمح ليمزق الكيان العربى وضرب التكتل والوحدة فى المنطقة وعزل مصر والمغرب العربى عن الشام وبقية بلاد العالم العربى فى آسيا .

ولا شك فى أن التقارير التى نشرها الزعماء الصهيونيون والوثائق التى تتناولها هيئاتهم المختلفة فى خلال الأعوام الخمسين الماضية السابقة لقيام إسرائيل تدل دلالة قاطعة على مدى ما وصل إليه هؤلاء الصهيونيون من كذب وخداع وتزييف وإفساد للضمائر لكى يخفوا عن العالم السبب الذى حدا بهم إلى اختيار فلسطين وطنًا مزعومًا لليهود بالزعم بأن يهود أوربا من أصل فلسطينى فزعم باطل ذلك ؛لأن يهود أوربا هم من أصل أوربى كما أن يهود اليمن من أصل يمنى ويهود الفلاشا من أصل أثيوبى ومن الافتراء القول بعكس الحقيقة وهو أن اليهود شعب لا وطن له لا سيما أنه كما سبق القول أن اليهودية عقيدة شعوب الخزر قد وجدت انتشارًا واسعًا فى بلاد الألمان والسلاف الوثنية فانتشرت بينهم ومن ثم دخلت الدين اليهودى شعوب وثنية اعتنقت ذلك الدين وليس لها أدنى صلة بيهود موسى عليه السلام ولقد أثبت البحث الأنثروبولوجى أن اليهود استطاعوا خلال تاريخهم الطويل أن يحملوا قدرًا كبيرًا من الدماء الأجنبية وهذه حقيقة تفسر ما نراه فيهم من اختلاف فى الألوان والأشكال ومشابهتهم للشعوب التى يعيشون فيها ، بل أكثر من ذلك فإن هناك العديد من اليهود الذين كانوا يعيشون فى فلسطين قبل الميلاد قد اعتنقوا الديانة المسيحية وصاروا مسيحيين وتباعدوا عن اليهودية لا سيما أولئك الذين عاشوا فترة بعث المسيح عليه السلام وبعده من فترات زمنية زمن القسس الكبار أمثال يوحنا ولوقا ومرقس ومتى ، الذين ساروا على نهج المسيح فى التبشير بالمسيحية ومن ثم فلم يعد هناك أية رعية يهودية فى فلسطين عندما انتشرت المسيحية على نطاق واسع لا سيما بعد أن اتخذ الرومان المسيحية عقيدة لها وحاربت اليهودية فى الشرق وشمل أنحاء الأماكن الخاضعة للرومان .

والخلاصة الموضوعية أن يهود العالم الذين وفدوا إلى فلسطين من كل بقاع العالم لا يمتون على الإطلاق إلى جنس واحد أو عدة أجناس بل إلى اثنتين وخمسين جنسية بل ربما إلى أكثر من ١٠٠ جنسية وتجمع بينهم وحدة العقيدة وأن يهود فلسطين ليسوا من بنى إسرائيل وأن هؤلاء شيء وأولئك السابقون الذين اندثروا مع الزمن وذابوا فى الدول التى عاشوا فيها واعتنقوا دياناتها شيء آخر ، فإنه لا توجد أدنى رابطة بين يهود العالم المعاصر وبين بقايا اليهود منذ القرن السادس قبل الميلاد عندما تمت إبادة اليهود نهائيًا عام ٥٩٦ق.م بعد أن تم إبادة الإسرائيليين نهائيًا وتم نقل بعضًا منهم إلى بابل بعد أن انقرضت سلالتهم وحيل بينهم وبين اعتناقهم للعقيدة اليهودية وصار شأنهم شأن البابليين عبدة الأوثان ولم يعد لهؤلاء اليهود أى أثر سوى أفراد قلائل استطاعوا الهروب شمالاً إلى أرض الخزر حيث استطاعوا إقناع ملكها بالدين اليهودى (الملك رولان) ، وهكذا تم اغتصاب فلسطين وتمت إقامة الدولة اليهودية وارتكب اليهود الكثير من الجرائم والإرهاب والقتل والطرد والتشريد حتى أن إسرائيل قامت بتدمير ٣٨٥ قرية عربية أثناء حرب ١٩٤٨م وتم تسويتها بالأرض وأن الزعماء الصهاينة أقدموا على تدمير هذه القرى ليثبتوا أن فلسطين كانت صحراء جرداء قبل إنشاء إسرائيل ؛ ذلك لأن فى عام ١٩٢٢ كانت نسبة العرب إلى سكان فلسطين ٩٢٪ ونسبة اليهود لم تكن تتعدى ٦٪ ولقد عملت الصهيونية على تفريغ فلسطين من سكانها العرب الأصليين وذلك بإنشاء الصندوق القومى لليهود عام ١٩٠١م وقد دعمت الولايات المتحدة قيام إسرائيل ولا زالت حتى الآن وستظل تلك المساعدة ما دامت الولايات المتحدة هى القوة الكبرى ، وذلك من أثر الدور الذى يلعبه الصوت الانتخابى اليهودى داخل الولايات المتحدة دور بالغ الأثر حيث يبلغ عدد اليهود ستة ملايين نسمة حيث يكون تأثير تصويت الجالية اليهودية حاسمًا فى ترجيح كفة أحد الحزبين الكبيرين (الجمهورى - الديمقراطى) فى أمريكا وأن اللوبى اليهودى فى الولايات المتحدة قام بضغط عنيف على الإدارة الأمريكية من أجل قبول إسرائيل عضوًا بالأمم المتحدة عام ١٩٤٩م .

ولقد قال الرئيس الأمريكى (ترومان) فى ذلك أنه عليه أن يستجيب لمئات آلاف من الأمريكيين اليهود ذلك ؛ لأنه لا يوجد آلاف من العرب الناخبين .

ومن ثم فقد أتاحت المساعدات المالية الأمريكية الأوربية الكبيرة لإسرائيل بالإضافة إلى المعونـات الفنية والتقنيـة إنشاء جيش إسرائيلى قـوى وقوة ردع نـووية جعلت إسرائيـل حصنًا حصينًا من الصعب أن يقترب منه أحـد ، وهذا كلام قبل حرب العـاشر من رمضان ١٣٩٣هـ /٦ أكتـوبر ١٩٧٣م ويستشهـد المفكر الإسـلامى الفرنسى « جـارودى » بالمفكـر الإسرائيلى الكبير (البروفيسـور ليوفنيش) الـذى يقـول : « إن إسرائيل ليست دولـة تمتلك جيشًا ولكنهـا جيش يمتلك دولة » ومن ثم لتحقيـق هدف الاغتصاب فإن (بن جـوريون) أول رئيس وزراء إسرائيلى بأنه كـان يهدف إلى هجرة أربعة مـلايين يهودى إلى إسرائيل فى عام ١٩٥١ - ١٩٦١م وأنه كـان يقول دائمًا : إن القانون الـدولى ليس أكثر من قصاصة ورق ، وأن القـول بقتل النظام الهتلرى النـازى الألمانى بقتل ستة ملايين يهودى فى غـرف الغاز إنما كان حجة وتبريـر وذريعة لاغتصاب إسرائيل لأرض فلسطين وإقـامة دولة لهم فى الشرق العربى والإسـلامى ووضع دولة إسرائيل فـوق القـوانين والأعراف الـدوليـة ، بل إن أوربـا هـدفت من وراء مساعـدة اليهـود لاغتصاب فلسطين إلى تفـريغ أوربا مـن كل اليهود وطـردهم إلى مكان نـاء بعيد خـارج القارة الأوربية وكانت أوربـا ترى الحل النهائى للمشكلة اليهودية كـانت ترحيلهم إلى الشرق العربى لاسيما أن الولايـات المتحدة استخدمت حق الفيتـو لمجلس الأمن اثنتين وثلاثين مرة منـذ عام ١٩٧٢ - ١٩٩٦م ، لحماية إسرائيل فمابالك بالفترة من ١٩٤٨ - ١٩٧٢م ، إن إسرائيل تعتمد على التأييد الكامل للولايات المتحدة وتقول إسرائيل: إن القانون الدولى ليس إلا مجرد قصاصة ورق ، إن الجنس الأوربى الأبيض قـام بإبادة مـالايقل عن ٦٠ أو ٨٠ مليـون هندى أمـريكى لأجل استعمار القارة الأمريكيـة وكذلك قتل مابين ١٠٠ مليون إلى ٢٠٠ مليـون أفريقى خلال فترة الرق واصطياد الرقيق من سكان أفريقيـا ، إضافة إلى قيام أمريكا بإلقاء قنبلتين ذريتين على هيروشيما وناجـازاكى بأوامر من الـرئيس الأمريكى الأسبق تـرومان ومصرع ٣٠٠ ألف يـابانى تحت أنقاض هاتين المدينتين ، فمابالك من اغتصاب فلسطين .

فإذا كـانت أوربـا الغـربيـة قـد ساعـدت على اغتصـاب فلسطين (إنجلترا والانتـداب البريطـانى ووعـد بلفـور ١٩١٧) ، فرنسـا والمـساعدات العسـكرية والمفـاعل الـذرى فى ديمـونـة الـولايـات المتحـدة وتكملـة مسـيرة الاغتصـاب حتى الآن (١٩٩٦م) وكـذلك مساعداتها على تحقيق معجزة اقتصـادية وكذلك على بناء قوة ذرية (فرنسا ١٩٥٦م) وبناء قوة عسـكرية كبرى .

كذلك دعماً لهذا الاغتصاب استأثرت إسرائيل بالمساعدات من الخارج وكان مصدرها ألمانيا فقد دفعت ألمانيا لإسرائيل أكثر من ٦٠ بليون دولار تحت دعوى ذرائع عدة مرة للتعويض عن أرواح الذين فقدوا فى غرف الغاز ومرة تعويضًا عن ممتلكاتهم ومرة ثالثة لتغطية توطين المهاجرين اليهود الجدد لإسرائيل ، وكذلك دفعت النمسا تعويضات كثيرة : إن المنظمات اليهودية الأمريكية ترسل وحدها سنويًا أكثر من مليار دولار إلى إسرائيل وأن الحكومة الأمريكية تدفع أكثر من ثلاثة مليارات دولار .

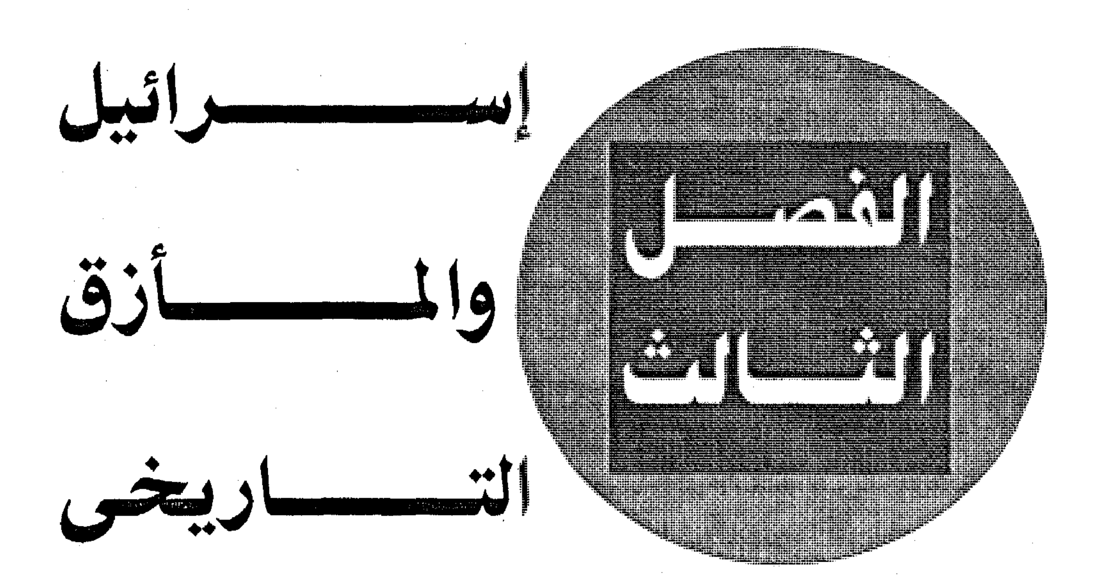
إضافة إلى ولاء يهود العالم لإسرائيل (ولاء أكثر من الدولة التى يقيمون فيها) وفى ذلك يقول الحاخام (جوزيف سيتروك) حاخام فرنسا الأكبر فى زيارة للقدس لإسحاق شامير رئيس وزراء إسرائيل الأسبق : (إن كل يهودى فرنسى هو ممثل لإسرائيل وتأكدوا أن كل يهودى فى فرنسا يدافع عن إسرائيل أكثر مما تدافعون أنتم عنها) وأن العدوان على لبنان أخيراً (١١-٢٧ أبريل ١٩٩٦م) لم يكن خطأ إنما كان نتاجًا لمنطق الصهيونية السياسية التى قامت على الاغتصاب والتى تقوم عليه فلسفة بقاء إسرائيل بالضرب بالعصا لكل العرب ، بل أن هناك أسطورة يهودية معاصرة تقول : إن قيام إسرائيل على أرض فلسطين ماهو إلا رد من الرب (الله) على المذابح التى تعرض لها اليهود فى أوربا فى غرف الغاز الألمانية والتى كان يطلقون عليها (الهولوكست) وهو التعبير المستخدم لوصف اضطهاد اليهود خلال الحرب العالمية الثانية ، فكان اغتصاب إسرائيل لفلسطين تروج هذه الأسطورة الكاذبةالتى لن تدوم لذا كان من الضرورى لكى يأخذ هذا الاغتصاب حقًا إنسانيًا شرعيًا عالميًا المقولة بتضخيم أرقام ضحايا اليهود وإثبات أن اضطهادهم كان أكبر عملية إبادة جماعية فى التاريخ ولقد نسى هؤلاء الأوربيون والأمريكيون قتل وإبادة ثمانية ملايين هندى أحمر أمريكى ومابين ١٠٠-٢٠٠ مليون من السود الأفارقة تعرضوا للقتل من جراء تجارة الرقيق كما أن هناك أكثر من ١٧ مليون سلافى (شرق أوربا) قتلوا فى الحرب العالمية الثانية كذلك مما يدل على أن اغتصاب فلسطين كان لأهداف سياسية أكثر منها دينية يهودية ماذكر عن تيودور هرتزل مؤسس الصهيونية بأنه كان يجهر بأنه من (اللا ادرية) أى اللذين يشككون فى وجود الله وأن قيام إسرائيل لم يكن امتداد للعقيدة الدينية والروحانية اليهودية ، كذلك المؤتمر الذى عقد عام ١٨٩٧م فى مدينة (مونتريال) بالولايات المتحدة الأمريكية وضم حاخامات أمريكا حيث اعترضوا فيه على دولة إسرائيل وأكدوا أن هدف الديانة اليهودية ليس سياسيًا ولاقوميًا وإنما هو هدف روحانى ، وأن

المنظمـة اليهـودية فى فـرنسـا والنمسـا وإنجلترا كان لها نفـس رد الفعل الرافض للصهيـونيـة السياسيـة كذلك كان (ألبرت أينشتاين) أبـو القنبلة الذرية اليهـودى الديانة ، كـان يناهض اتجاه تأسيس الدين اليهـودى وإنشاء دولـة إسرائيل ويقول أينشتاين العـالم الكبير حرفيًـا عام ١٩٣٨م (إنه من الأفضل التوصل إلى اتفاق مع العرب على أسـاس حياة سلمية مشتركة بدلاً من إنشاء دولة يهودية) .

وقد قال الحاخام (المير يرجنز) الرئيس السابق للرابطة اليهودية بالولايات المتحدة حيث قال: (إنه من غير المقبول الادعاء بإنشاء دولة إسرائيل يعد تحقيقًا لنبوءة توراتية) وبالتالى فإن كل مايقوم بـه الإسرائيليون لإنشاء دولتهم والإبقاء عليها هو تنفيـذ لإرادة الرب ورغم كل هذا نفـذتم اغتصـاب فلسطين بـالفكـرة الصهيـونيـة التـى سـاعـدت القـوى الغـربيـة الأوربيـة الأمريكيةالـروسية على قيامها ، اغتصاب لجميع الحقوق المشروعـة ورفضًا لجميع قرارات الأمم المتحدة وحماية بحق الفيتو الأمريكى الذى وطد الكيان الإسرائيلى على حساب الحقوق العربية الإسـلامية ، لكـن ذلك لن يدوم طـويلاً فإســرائيل وشـعبها يدركـون تمام الإدراك أن دولتهم دولة غاصــبة لحق عربى فلسطينى وأن الاغتصاب لن يـدوم بأى حال من الأحـوال ولن يكون إلا مرحلة من مراحـل التاريخ شأن الأحداث السابقة ؛ لأن العرب ليسـوا هنودًا حمر أو شعوبًا بـلا حضارة ، لكن العمق الحضـارى لامحالة سـوف يصحح حـالة الاغتصـاب ويعيدوهـا إلى أصحـابها الشرعيين الفلسطينيين مهما يكن من تشـــدد رئيس وزراء إسرائيل الحالى بنيـامين نتانياهو (١٩٩٦- ٢٠٠٠) فما ضاع حق وراءه مطارد .

* * *





التاريخ هو خلاصة التجارب الإنسانيـة على مدى عمر البشرية وهذه التجارب تستنفر لها فى دورة التطور أحكام ومبـادئ ومقاييس يؤتى فعلها حيث قواعد معينـة ، وأن تيار التاريخ حين يصطدم بوضع يتناقـض ويتنافر مع حركته فإنه سيستمـر ولو على المدى الطويل يدق فى جدار هذا الموضع وينقر فيه ويتساقط عليـه مثل قطرة الماء فوق الحجر الصلب حتى ينفلق ؛ لذا فإن حركة التـاريخ فى النهاية هى التى تمارس فعلها حسب قوانينهـا وأحكامها الأزلية فإن الصـدام بين التاريخ وبين أنظمـة احتلال الأرض والعقل لا بـد أن يبلغ ذروته بعـد أن انتهى العـالم من حقبـة احتـلال الأرض ذلك ؛ لأنــه فى تـاريخنـا الحديث شهـدنـا احتـلال الأرض الفلسطينية (١٩٤٧ - ١٩٩٦م) على امتداد سنوات طويلة ومـا شهدناه من حركة الصدام بين الذين فـرضوا بقـوتهم احتلال الأرض (اغتصـاب فلسطين منذ صـدور وعد بلفـور ٢ نوفمبر ١٩١٧م وإعـلان قيـام إسرائيل ١٥ مـايـو ١٩٤٧م) وبين أصحـابها الشرعيين الفلسطينيين والذين قاموا بالذود عن أرضهم حتى تتخلص من محتليها الإسرائيليين .

ونقول : إن تيـار التاريخ الذى اصطدم بـاحتلال الأرض ولا زال يكافح لكى يـزيل هذا الاحتـلال بشتى الطرق حتى لا يصـل إلى احتلال العقل والسيطـرة على مكـونـاتـه ليسير وفق

الرغبة الإسرائيليـة (ثقافة السلام) وفى هذا العـرض نقول : إن إسرائيل وقعت فى مأزق تاريخى عندمـا بادرت بإعلان إنشـاء دولة على أرض فلسطين وجـاءت من شتات الأرض يهود من كل فج لكى يمارسـوا حيـاتهم على أرض مغتصبـة من أصحـابها الشرعيين لتكـون دولـة يهوديـة فى فلسطين . لذا نقول لقد وضع القادة الإسرائيليون ثيودور هيرتزل Theodor Hertzel عندما تحرك لإنشاء دولة يهوديـة فى فلسطين ووايزمان فى خطأ تاريخى عنـدما اقتنعا بأن يقوم اليهـود بالهجرة إلى فلسطين لكى تكون لهم دولة مستقلة يمارسون فيها سيادتهم الأكيدة وذلك بالتسلل إلى هذه الأرض إلى أن تحل اللحظة التى لا خـلاص منها عنـدما يشعر الشعـب صاحب الأرض التى ستكون الهجـرة إليها بأن كيانـه مهدد ،وهنا لا بـد من استخدام اليهود للقـوة لفرض إرادتهم ، ومن هنا فإن الذين أعطوا وعد بلفور وساعـدوا على هجرة اليهود بالجملة من شتى أنحاء العالم وأمدوها بالسلاح والعتاد والتقنية العلمية المتطورة وصناعات الأسلحة الذرية وغيرها من المواد التى سـاعدت على تطور ها وتقدمها وبقائها على أرض العـرب سـواء كانت بريطانيا وفرنسـا أو الـولايات المتحـدة الأمريكيـة ، كل هؤلاء واهمون لا يـدركون حـركة التـاريخ لهذا المجتمع العربى وقد غاب عن ذهنهم أن هـذه الشعوب العربية صاحبة حضـارة وتاريخ حضارى تليد وماض عتيـد و، أنهم ليسوا هنوداً حمر كسكـان أمريكا الشمالية أو الجنـوبية وأنهم ليسوا شعـوبًا زنجية غير متحضرة كـالأقزام أو البوشمن أو البانتـو أو الهنتوت . لم يدركوا أن العـرب الذين يسكنون هـذه المناطق هم صناع الحضـارة القديمـة التى تقدمت بها البشرية فى مـدارج الرقى والتقدم فالعرب القدماء هم المصريون الفراعنة والبابليون والأشوريون الكلدانيون والعموريون والفينيقيون والكنعانيون والأنباط والتدمريون والآراميون بل هم الحميريون والسبأيون والمعنيون وغيرهم من الأمم والشعوب التى قـدمت الحضارة قبل الإسلام كما أنهم قد غـاب عنهم عندما زرعوا إسرائيل فى قلب الوطن العـربى عمق وصلابة ومقدرة هذه الشعـوب التى قاومت الزمن وصدت الأحداث ، ألم يكن المصريون أصحاب حضارة الفراعنـة هم الذين تعرضوا للاحتلال والسيطرة اليونانية (٣٣٢ - ٣٠ ق.م) ثم الإسكندر والرومان (٣٠ ق.م - ٦٤١م) عشرة قرون متـواصلة خضعت فيهـا مصر لأطول حـركـة استعمارية فى تـاريخ الشعوب لكن هـذه الفترة الطـويلـة التى خضع فيهـا الشعـب المصرى لم تـؤثـر فى الشعب المصرى كى يتحـدث اللغـة اليونانيـة أو اللغة اللاتينية فكل هـذا ذهب أدراج الرياح وعاد الـوجه المصرى العربى الأصيل بعد أن تخلـص على يد أخوة العـروبة مـن كل أثر من هـذه الآثار كما أنـه لا يوجـد بين سكان

الوطن المصرى البالغ عـددهم سـتون مليون اليوم ما يتضح من سحنته أنه ذا أصـــول يونانية أو رومانية فالجميع سحنتهم عربية مصرية أصيلة .

إن البعـد التـاريخى والعمق الحضـارى والأصـالـة الشرقيـة قـد غـابت عن ذهن هـؤلاء الأوربيين الذين جاءوا من شتات الأرض بهذه العناصر اليهودية التى لا يوجد من بينها من هو من أصول سامية ، بل الجميع ينتمـون إلى عناصر آسيوية (خزر) رعويـة كانت تعيش بالقرب من بحـر قزوين وهم شعب الخزر الـذى كان يعيش فى الأورال فى شمال وسط آسيـا وليس لهم أدنى صلة بالساميـة بل أنهم تمسحوا بها ، وحكاية السامية هى خـرافة فى تاريخ اليهود لا سيما بعد أن غـزا الخزر شرق أوربا ثم انسـاحوا فى أوربا بعـد سقوط دولتهم على يـد الروس ، بل إن الساميـة بعيدة أيضًا عن اليهـود ؛ ذلك لأن بعض المؤرخين حاول أن يضفى هـذه الصفة التي ابتكرها اليهود قبل الإسلام ليربطـوا بها بينهم وبين العرب بالاشتراك فى أبوة إبراهيم لهم أجمعين لكى توجب على العرب حسن معاملة النازلين بينهم من اليهود . ويتيسر لليهود ممارسة التجارة فى شبه الجزيرة العربية لا سيما بعد أن طرد اليهود من الأمـاكن التى كانوا يعيشون فيها وهاجروا إلى العـراق ، ولم يكن ذلك يدور فى فكـر هـذه الطوائف ، إن العـرب القـادرين على مواجهـة التحديات التاريخية لم ولن يسمحوا لهم بإقامة دولة على حساب الشعب الفلسطينى .

ثم ألم يدرك هـؤلاء الأوربيون ومن خلفهم الـولايات المتحدة أن هـذه الشعوب العـربية القديمة وفى مقـدمتها الشعب المصرى لم يسترد أرضه فحسب ولكنه استرد معه كرامتـه الوطنية فى حـركة تحرر عـربية من الاحتـلال اليونـانى ثم الرومـانى والبيزنطى ، وكـذلك استرد طاقتـه المحبوسـة والمصادرة والتى استطـاع أن يلتحم بها مع الشعوب العـربية فى بـلاد الشام وشمال أفريقيـا وشبه جزيـرة العرب ، وكيف أن هذه الشعـوب لم تنحدر فى طريق الانهيـار الحضارى ولكنها انطلقت نحو صنع المستقبل والتقدم والنهضة والارتقـاء فى ظل الكيان العربى الواحد لكى تعوض سنوات السيطـرة الطويلة ، ثم إذا كان تاريخ قبل الإسلام لهذه الشعـوب العربية المتحضرة قد غاب عن فكر هؤلاء غـلاة الاستعمار والصهيونية فقد كان أولى بهم ألا يغيب عن ذهنهم أيضًا التـاريخ القريب والحديث ألم تكن هذه الشعـوب العربية قد تعـرضت فى تاريخ العصور القديمـة لأشد أنواع الاستعمار والاستيطان ؛ ليجعل مصر أطـول مستعمرة فى التاريخ ابتداء من الإغريق فى القرن الثـالـث قبل الميلاد عبر البطالمة فالرومان إلى نهايـة بيزنطة فى القرن

السابع الميلادى ذلك بعد أن ورثت روما اليونان ، وهكذا فإن هذه القوى الاستعمارية لم تدرك البعد التاريخى لمصر ولا البعد الاستراتيجى للشخصية المصرية والعربية وكان فناء هذه الشعوب (اليونان والرومان) واسترداد مصر لعافيتها وتاريخها ،ومن ثم كان ذلك من أكبر دوافع ثورات المصريين المشتعلة على الاستعمار البيزنطى الرومانى اليونانى فهل تأتى فى القرن العشرين (١٩١٩ - ١٩٤٨م) إسرائيل لكى تستطيع أن تسيطر على هذه الأقطار . وتكون سببًا فى صراع دموى عنيف وحروب مشتعلة (١٩٤٨- ١٩٥٦- ١٩٦٧ - ١٩٧٠- ١٩٧١ ، ١٩٧٣م) ولم تكن هذه الحروب إلا تعبيرًا عن الروح القومية العربية التى لن تكون اتفاقيات السلام ولا الهرولة فى التسابق فى الصلح مع إسرائيل طريق نهاية الصراع العربى الإسرائيلى ، فالعرب أصحاب التاريخ لن يقبلوا مهما كانت التحديات العالمية بأن تسلب أراضيهم ويأتى من يقيم بها دولة من منطلق القوة والسيادة والاستعلاء ، فهؤلاء يعيشون اليوم والأيام القادمة مأزقًا تاريخيًا لن يفيقوا منه إلا عندما يصطدموا بالواقع العربى وهو زوال إسرائيل ونهايتها بأى شكل من الأشكال سواء سلميًا ، أو إذابة فى الكيان العربى الكبير أو بالطرق العسكرية التى تمكن العالم العربى بالقوة الفلسطينية بأن تكون فلسطين وطنًا عربيًا كما كانت قبل إعلان قيام إسرائيل فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ، بعد أن فرضوا وجودهم وسيطرتهم وضمان البقاء الطويل لهم ولذا فالسيطرة اليهودية تعمل على فرض أسباب الخضوع والخنوع وتثرى كافة مظاهر الفرقة والتناحر والتطاحن وتحاول أن تنزع من المواطن الفلسطينى والعربى أن تنزع عنه كبرياءه وكرامته الوطنية ثم تدفع بالمجتمع كله إلى التخلف لا سيما أنها تسعى إلى تدمير وسحق روح المجتمع وإنزال هزيمة اقتصادية واجتماعية كاملة به ثم كذلك أليس التاريخ الوسيط خير شاهد على قوة الحركة العربية الإسلامية فى وقوفها فى وجه التهديد الصليبى الذى استمر قرنين من الزمان (١٠٩٥ - ١٢٩٠م) ؟ ولا سيما أنه قد وقع على مصر أن تواجه هذا الخطر فكانت معركة حطين عام ١١٨٧م التى قاد فيها صلاح الدين الأيوبى انتصاره الكبير على الصليبيين دحرًا لهم عن أحلامهم واسترداد بيت المقدس من أيدى الصليبيين ، كذلك ألم تكن مصر التى قاتلت أيضًا عام ١٢٤٤م لكى تسترد بيت المقدس من أيدى الصليبيين لآخر مرة وحتى التاريخ الحديث حتى وصلها اللورد اللنبى عام ١٩١٩م ، ألم تكن مصر فى عهد نجم الدين الصالح أيوب هو الذى قاد حركة تحرير القدس عام ١٢٤٤م . كذلك ألم تكن مصر التى حاربت عام ١٢٥٠م معركة المنصورة وتم أسر لويس التاسع وكسر حدة الخطر الصليبى على

يد مصر كذلك ألم تكن مصر ، التى قاتلت المغول فى معـركة عين جالوت عام ١٢٦٠م بقيادة قطز واستطـاعت أن تكسر أكبر خطر تتارى كان يهدد البشـرية فى تاريخها الطـويل كذلك ألم تكن مصر والعروبة مـن حولها هى التى قاتلت عام ١٢٩٠م بقـايا الصليبيين فى عهد الأشرف خليل بن قلاوون وتقضى قضاءً نهائيًا على بقايـا الصليبيين ألم يستوعب قادة أوربا وقادة الحركة الصهيونية دروس التـاريخ العربى ؟ ولم تكن هذه الصفحات التاريخية الخالـدة أمام عبقريتهم وهم يصدرون وعد بلفور بإنشاء وطن قـومى لليهود على حساب الكيان العربى الفلسطينى لا شك أن الذين منحوا هذا الوعد والذين خططوا لاغتصاب فلسطين لم يستوعبوا دروس التاريخ . كذلك ونحن نقدم لهم صورة الصمود والتصدِّى العـربى فى صورة الحركة الجزائرية التحررية التى قدمت مليـون شهيد والتى خضعت لـلاستعمار الفرنسى منـذ (١٨٣١ - ١٩٦١م) مائة وثلاثين عـامًا لم تفلح سيـاسة الفـرنسة والجزائر فـرنسية وراء البحـار أن تنجح فى تحقيق أدنى هدف لها وعاد الـوجه العربى الجزائرى قويًا عربيًـا إسلاميًا . كذلك فإن حركـة التحرر العربى التى سادت العالم العربى فى شتى أقطاره المختلفـة واستطاعوا أن يستردوا استقلالهم من القوى الإيطاليـة والفرنسيـة والإنجليزيـة صحيح إن هذه الأقطـار لم تكن قد استطـاعت أن تستعيد ترتيب أمـورها الـداخلية حتى تتمكن من التفرغ الكـامل لمواجهة التحـدى الصليبى اليهودى المشترك حيث كـان الخطـر الإسرائيلى المباشر إلى عمق الأراضى العـربيـة يكـاد يكون كـامـلاً بالسـيطرة على فلســطين لا سيما أن الفلسطينيين كانـوا أكثر المتضررين ثـم الـدول المجاورة - مصر - سوريـا - الأردن - لبنان . وذلـك لتعرضهـا للنشاط الإسرائيلى على هـذه الجبهات فى الحروب التى كانت تشنهـا إسرائيل بمساعـدة القوى الغربيـة والشرقية على هـذه البلاد . لكن حركة التاريخ لم تتـوقف ولم تنته الأحداث التاريخية ؛ لأن التاريخ ليـس له نهاية كما صور ذلك بعض الكتاب الغربيون فى مقولة نهاية التاريخ بعد انتهاء الحرب الباردة ١٩٩٠م .

إن الكارثـة التى تعرضت لها فلسطين على يد الصهيـونية الإسرائيلية هى سـابقة ليس لها مثيل قط فى تاريخ العـالم الحديث ، بل والعالم الإسلامى ولا العـالم الثالث إنها ليست استعمارًا قديمًا أو جديـدًا فحسب ، ليست هى استعمارًا استيطانيًا أو شعبًا عنصريًـا وحسب ولكنه قبل ذلك استعمار إبادى إحلالى صرف يحل شعبًا محتل مكان شعبًا عريقًا حضاريًا عميقًا تاريخيًا وله بُعد زمنى طـويل لكى يحل محله شعـوب قادمة من اثنتين وتسعين دولـة لكن ذلك الحدث لن يكون نهاية التاريخ بل هو الوقوع فى مأزق التاريخ ؛ لأن بداية البداية الصهيونية العالمية كانت

ولا تزال جزءًا لا يتجزأ عضـويا من الامبريالية العالمية (الولايـات المتحدة والمعسكر الغربى) ومن هنا فـإنه كما انتهت كل الحركات الاستعمارية السابقـة فسوف تنتهى الحركـة الاستعمارية اليهودية ؛ لأنها أعلى مراحل السيطرة فى العالم العربى بل إنها حاليًا (١٩٩٦م فى ظل اتفاقيات السلام مع مصر والأردن ومنظمـة التحريـر الفلسطينية) أعلى مراحل الامبريـالية العـالمية إنها قطعة من الاستعمار الأوروبى الأمـريكى عبر التاريخ ولابد أن تكون لها نهايـة والصهيونية بكل بساطـة هى السرقة ومحاولتها الدائمـة بعد السلام بأن تكـون جزءًا عضويًا فى العـالم العربى أو الشرق العربى ؛ لأنها استهدفت وحققت كل مقومـات وحقائق الدولة التى تسعى إلى التوطين الدائم للبقايا اليهودية من شتى بيئـات العالم ، ولعل استعمار الجزائر سبق القول وتحررها أقرب إلى الذهن الإسرائيلى فى صلابة تاريخ العرب ، لكنها باختلاف الغالب السكنى قد طردت كل السكان الأصليين خـارج وطنهم تمامًا ، إن إسرائيل بهذا كلـه أعلى مراحل الاستعمار الإسرائيلى الاستيطانى ، وهى الاستيطان بالاستئصال والإحلال والاجتثاث والإبادة .

لكن البعد التاريخى والعمق التاريخى قـادر كل القدرة على إيجاد الحلول التى تتواكب مع حركـة دوران التاريخ سـواء سلبيًا أو إيجابيًـا لابد أن يكـون مع الحركة العربيـة التى هى تتمتع بـالعمق التاريخى القـادر على إذابة أو لفظ أو تحجيم أو الهضم الكـامل لهذه الطائفـة الدينيـة اليهوديـة التى لن تدوم لها بقـاء دولة يهوديـة تهويدية متعصبـة تقوم على حشـد وتجميع اليهود واليهود فقط فى كيان سياسى واحد يحظى حاليًا بالاعتراف من جانب بعض الدول العربية دول الطـوق أو غيرها ، فإن ذلك يعـود إلى استراتيجية وضعت فى القـرن التاسع عشر فى ظل تفـرق الصـف العربى وخضـوعه للقـوى الاستعمـارية ، وفى ظل حالات التخلف العلمى وعـدم التطور التكنولوجى ، وسيـادة مفاهيم لا تتلائم فى ظل كون العالم أصبح قريـة أو مدينة واحدة مما يساعد على عودة الحق وسلب إسرائيل ما أخذته بالقوة .

إن المستقبل القـريب أو البعيد سـوف يظهـر مدى صـلابة الجذور العـربيـة وقوة البعـد الحضارى مهما كـانت حـالات السلام أو التعاون الاقتصـادى أو تبادل التمثيل الـدبلومـاسى والعلاقات التجارية والعلاقات الثقافية ومراكز الدراسات الإسرائيلية فى البلدان العربية ، فإن كل هذه الأمور لا تشكل إلا مرحلة وقتية فى حركة التاريخ العربى لن يكتب لها الاستمرارية أو البقاء أمدًا بعيدًا ذلك ؛ لأن حقـائق التاريخ العربى الإسلامى وأبعاد الـرؤية المستقبلية ما هى

إلا إدراك للخطر الإسرائيلى الحالى فى ظل ما يسود الساحة العربية من حالات التردّى والانقسام والمخاوف الخطرية العراقية على بعض الجوانب ، لكن كل ذلك لا يشكل إلا مرحلة تعود بها الأمور إلى أحد ما يكون عندما يشعر العرب مدى جسامة الأخطار التى سيتعرضون لها من جراء اتفاقيات تعقد مع الجانب الإسرائيلى ، وعندما تسود روح الوحدة والتقارب والقيادة القوية التى ستدرك أن هناك حقوقًا عربية ضائعة فى فلسطين منذ عام ١٩٤٨م وأن البعد الزمنى عام ١٩٩٦م أو ٢٥٠٠ أو ٣٠٠٠ ميلادية لا يشكل إحساسًا بالضياع للأرض ، ومن ثم تكون الحركة الاستردادية للديار التى هى قلب العالم العربى لا سيما أن فلسطين ستظل أمد الدهر هى يمين القلب من العالم الإسلامى لا جغرافيًّا فحسب بل دينيًّا أولاً وقبل كل شىء (مؤتمر القمة العربى الحادى والعشرين الأخير (٢١ - ٢٣ يونيو ١٩٩٦) صورة للوحدة العربية .

فإذا كان العالم العربى هو قلب العالم الإسلامى روحيًا وموقعًا فإن فلسطين كمصرهى أرض الزاوية فى العالم الإسلامى طبيعيًّا وبالفعل فإنها تقع فى صرة العالم الإسلامى فتتوسط ما بين الصين شرقًا والأطلسى غربًا ، وما بين وسط آسيا شمالاً وجنوب أفريقيا جنوبًا .

بل لقد كانت القدس وهى مركز العالم كله ، إن القدس مقدسة عند المسلمين فهى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** ﴾ (سورة الإسراء آية ١) والمسجد الأقصى بيت المقدس ، هو أحد مسجدين اثنين اقتصر القرآن الكريم على التصريح باسمهما فالمسجد الأقصى وإليه إسراء الرسول الكريم ﷺ ومنه كان معراجه إلى السموات العلى.

فهل بعد هذا البعد الدينى الإسلامى بقاء لإسرائيل . إننى لم أرد أن أعالج الموضوع معالجة دينية ولكن ركزنا على البعد التاريخى والحضارى كما هذه الخاتمة الدينية لكى تكون إسرائيل خطأ قد وقعت فى مأزق تاريخى سيكون الخروج منه هو عودة الحق إلى أصحابه سلمًا أو حربًا فالتاريخ لا يزيف ، وحركته مستمرة ولن تكون حركته إلا فى المسار الصحيح والخروج من المأزق وعودة فلسطين .

* * *



السلاح النووى الذرى هل يضمن بقاء إسرائيل ؟

الكتاب الذى صدر لشيمون بيريز رئيس وزراء إسرائيل بعنوان : (معارك السلام) اعترف فيه أحد كبار المسئولين الإسرائيليين بأن برنامج إسرائيل النووى قدمته إليها حكومة فرنسا (دى موليه) ثمنًا لدور إسرائيل فى العدوان الثلاثى (الفرنسى الإنجليزى الإسرائيلى) على مصر عام ١٩٥٦م ، وذلك خلال اجتماع عقد فى ضاحية سيفر Sevres بباريس فى أكتوبر ١٩٥٦م وكان اجتماعًا ضم مجموعة من الإسرائيليين والفرنسيين حضر شيمون بيريز الاجتماع هذا بصفته نائبًا لوزير الدفاع الإسرائيلى ، وإن الفرنسيين نظير اشتراك الإسرائيليين فى الهجوم على مصر قدمت صفقة البرنامج النووى إلى إسرائيل وتعاونها فى هذا المجال النووى ، وتم تسليم إسرائيل بمقتضى هذا الاتفاق إقامة مفاعلاً نوويًا فى صحراء النقب فى « ديمونة » هدية لإسرائيل نظير الدور الذى تقوم به إسرائيل فى عملية الغزو المشتركة ، وإن إسرائيل قد تسلمت المفاعل الذرى بمناسبة الحرب العدوانية ضد مصر ، وأن كتاب شيمون بيريز اعترافًا أكيدًا بأن مفاعل ديمونة كان لأغراض عسكرية لصنع قنابل نووية على وجه التحديد . وبذلك يكون رئيس وزراء إسرائيل قد رفع الستار عن ترسانة إسرائيل النووية كان شيمون بيريز وقتها نائب وزير الدفاع الإسرائيلى وهو الذى أشرف بنفسه على بناء المفاعل النووى فى ديمونة ووضع

اللمسات الأولى والأخيرة ومتابعـة كل الإجراءات بشأنه وكان يتابع حركـة العمل . فهو يعرف كل صغيرة وكبيرة وعدد القنابل والرءوس النووية ومن هنا قال فى مؤتمر صانعى السلام فى شرم الشيخ فى ١٣/ ٣/ ١٩٩٦م : « إننى أتحدث إلى المؤتمر من منطلق القـوة » ، فهو محق فيما يقـول فأين عرب السلام والحروب الخمس بمـا تقوم بـه إسرائيل . ويعد هذا التأكيد الإسرائيلى الذى لا يخفى على أحـد فإن الـولايات المتحـدة فى عـام ١٩٦١م فى عهد حكم الـرئيس جمال عبـد الناصر كتبت (انظر كتابنا ، الحضارة الإسلامية وتحديات القرن الحادى والعشرين) وكيف أن إسرائيل كذبت على أمريكا (أمريكا تعلم حقيقة المفاعل الذرى فى ديمونة) بادعاء أنها أبعد ما تكون عن إنتاج سلاح نووى كذلك فإن الـولايات المتحدة مارست أسلوب التمويه على مصر والدول العربية فى ١٥ يـونيو ١٩٦١م بقولهم : إن الخبراء الأمريكيين وعلماء الذرّة قامـوا بزيارة مفاجئة لـديمونة فى صحراء النقب وأنهم تأكـدوا أن المفاعل الذرى هو لأهـداف سلمية فقط والخداع الأمريكى لمصر وللعـرب وامتلاك إسرائيل حـاليًا مـا بين ٢٠٠ إلى ٣٠٠ رأس نووى ، وأن رئيس إسرائيل بن جوريون أكد للأمريكان الذين أقاموا إسرائيل ولا زالوا ملتزمون بسيادتها طـرتها على العالم العـربى ، أن مفـاعل ديمـونة هـو للحصـول على مصـدر طاقـة رخيص اعات الإسرائيليـة ، وأن إسرائيل ليس لديها أية رغبة لإنتاج السلاح النـووى (مراسلات خارجية الولايات المتحدة الأمريكية فى ذلك الوقت ١٩٦١ بين دين راسك وزير خارجية ـا للدكتور محمـود فوزى وزير الخارجية المصريـة) وجاء فى فقرات هـذا الخطاب : « أن يـات المتحدة سوف تستخـدم كل نفوذها لمنع الانتشـار النووى .. وأن الولايـات المتحدة رصت على إبـلاغ الجمهـوريـة العـربية المتحـدة بنتـائج التحقيقـات التى أجـراهـا العلماء ـأمـريكيون بـالكشف عن المفـاعل الذرى فى ديمـونة . وأرجـو أن تبلغـوا الرئيس جمال عبـد الناصر والمسئولين بالحكومة بمضمون رسالتى إليهم » التوقيع (دين راسك) .

وهكذا رغـم التأكيـدات الأمريكيـة لمصر فإن برنـامج إسرائيل النووى أنتج مـا يقرب من ٢٠٠ إلى ٣٠٠ رأس نووى وتـرسانة من السـلاح النووى ترفض إسرائيل الكشف عنهـا . وأنه عودة إلى الوثائق السرية التى نشرتها الخارجية الأمريكية عن الشرق الأوسط (١٩٦١- ١٩٦٢) مركز الوثائق الخاصة بالتسليح النـووى الإسرائيلى وما حدث من تمويه وكذب وخداع إسرائيلى وذلك بأن كشف مسئول بـالخارجية الأمريكية أن حكـومة إسرائيل أبلغت واشنطن بأن مشروع ديمونة هـو مصنع للنسيج (سذاجة العرب) ثم عادت وقالت : إنـه مصنع لإنتاج المعادن ثم

بعد ذلك تأكدت الحكومة الأمريكية بأن مفاعل ديمونة هو ذرى فرنسى ، ولكن إسرائيل ذكرت بأنها ليس لديها أية خطط لإنتاج سلاح نووى وأكدت إسرائيل استعدادها لاستقبال وفد من العلماء الأمريكيين ومن الدول الصديقة لزيارة مفاعل ديمونة (مراسلات ١٩٦١ - ١٩٦٢).

إن سياسة الخداع الأمريكية للمسئولين المصريين أكدت الولايات المتحدة لها أنها تلقت من حكومة فرنسا بأن برنامج ديمونة فى حدود قوة ٢٤ ميجاوات وأن « البلوتويوم » الناتج عن المفاعل سيعاد تصديره إلى فرنسا (سذاجة الحكام العرب) كما أن فرنسا أكدت للولايات المتحدة أنها لن تشارك فى برنامج الإنتاج النووى فى إسرائيل ، بل إن أمريكا تعترف فى هذه الرسائل أن إسرائيل رفضت فتح مفاعل ديمونة أمام التفتيش والضمانات الدولية . بل أكثر من ذلك عندما تأكدت الولايات المتحدة فى التقدم الذرى الإسرائيلى وإنتاجها العديد من القنابل والرءوس الذرية فإنها بدأت هى نفسها فى مساعدة إسرائيل لإنشاء مفاعل للأبحاث الذرية فى ناحال شمال إسرائيل .

ولكن رغم كل هذه الأقوال الأمريكية والتى منها أن حيازة إسرائيل لأسلحة نووية سيكون لها انعكاسات خطيرة بالمنطقة ليس أقلها وضع أسلحة نووية سوفيتية فى الدول العربية المجاورة لإسرائيل لكن أى من هذا الاحتمال لم يحدث وأن مصر حاليًا تشعر بمدى الخطر الذى يهدد أمنها القومى لا سيما وجود هذا المفاعل على بعد ثلاثين كيلومترا من الحدود المصرية وإضافة إلى الترسانة النووية الإسرائيلية ، لا سيما بعد أن أذاع تليفزيون إسرائيل مساء ٢٧/ ٣/ ١٩٩٦ عن أنباء تسرب بعض الإشعاعات الذرية من مفاعل ديمونة إثر حدوث الزلازل فى الأشهر الماضية والذى جعل مصر والأردن وسوريا تدرك مدى خطورة وجود مخزون من الرءوس النووية الإسرائيلية ، فإن مصر لا تهدأ لها بال حتى تستطيع أن تجعل هذه المفاعل الأربع فى إسرائيل تحت إشراف الأمم المتحدة .

لا سيما أن العالم كله لا زال يذكر كيف حدثت الضجة فى الأوساط الدولية عندما خرج مهندس إسرائيلى اسمه « موردخاى فانونو » بعد أن هرب من إسرائيل وكان قد أمضى عشر سنوات عاملاً فنيًا فى مفاعل ديمونة الإسرائيلى ، خرج من إسرائيل منذ عشر سنوات وبالتحديد فى يناير ١٩٨٦م ومعه وثائق ٦٠٠ ستمائة صورة للمفاعل الإسرائيلى ماخينو

رقم ٢٢ الذى تصنع فيه الأسلحة النووية ووقعت هذه الـوثائق فى أيدى علماء بريطانيين قاموا بدراستها . وفى الخامس من أكتوبر عام ١٩٨٦م نشرت صحيفة (الصنداى تايمز) البريطانية أن علماء من أمريكا وبريطـانيا قاموا بدراسة هذه الـوثائق وانتهوا إلى أن إسرائيل تمتلك ما بين (١٠٠ مـائة إلى ٢٠٠ مـائتين سـلاح نـووى) كمـا أنها تمتلك تكنولـوجيـا صنـاعـة القنبلـة (الهيدروجينية) ، كما أنها تمتك تكنولوجيا صناعة القنبلة (النيترونية) التى تفتك بالبشر دون أن تدمِّر المؤسسـات ، والكل يعلم أن الإسرائيلى فانونو تـم خطفـه من قلب لندن ويمكن الاطلاع على قصة المخـابرات الإسرائيلية فى خطف « فانـونو » بواسطة عمـلاء الموساد الإسرائيلى وتمت محاكمته سريًّـا ولا زال محبوسًا حبسًـا انفراديًّا داخـل زنزانة رغم مـرور عشر سنوات على ذلك ولقـد صمتت عنـد ذلك كل منظمات حقـوق الإنسان الأوربيـة والأمـريكيـة عن حـالـة هـذا الإسرائيلى ، ومن هنا فإن إسرائيل هى الدولـة الوحيدة التى تنفرد بامتلاك السـلاح النووى وأنه لذا لا تـوجد تصورات متماسكـة لأنماط استخدام قنـابل أو رءوس نووية فى أوضـاع الاحتكار الإسرائيلى وهى فى ظل القـول بأنها أسلحة ردع طالمـا لا يـوجد سـلاح نووى مضـاد فى المنطقة وأنـه فى ظل حالـة احتكار نـووى لا يمكن الحديث ببساطـة عن استقرار إقليمى يستنـد على أسس استراتيجية .

لـذا فإن إسرائيل تعتبر قوة نـوويـة إقليمية من طـراز خـاص فقد أشـارت تقاريـر ذات مصداقية عـالية منذ عام ١٩٨٦م إلى أن إسرائيل تمتلك مـا لا يقل عن ٢٠٠ رأس نووى وتثير حجم ترسانة إسرائيل النووية قضايا مختلفة منها قضية حد الكفاية فتبعًا لتقديرات الأكاديمى الإسرائيلى (شاى فلدمان) أن امتلاك إسرائيل مـا بين ٣٠ إلى ٤٠ قنبلة نووية استراتيجية ذات قوة تتراوح مـا بين ٢٠ إلى ٦٠ كيلو طن يكفى لتدمير كـافة الأهـداف المعلومة والمصـورة لدى إسرائيل فى كل من مصر وسوريا والأردن والعراق وليبيا والسعـودية بصورة تعيد هذه الدول إلى القرون الوسطى . وبالتالى فإن امتلاك إسرائيل لمـا يتجاوز بكثير حدود الكفاية المتصورة لها تثير قضايا كثيرة أهمها نوايا إسرائيل النوويـة فالردع النهائى لا يحتاج إلا إلى عدة رءوس استراتيجية قليلـة العدد لا سيما أن أسلحـة إسرائيل النوويـة لم تكن بعيدة على الإطـلاق خلال العقـدين الماضيين عن مسألة الاستخـدام سواء فيما يتصل بـالاستعداد للاستخـدام الجاهز أو بالتهـديد بالاستخـدام فهناك تقاريـر تشير منذ أوائل الثمانينات إلى أن إسرائيل قـامت بنشر عناصر من قوتها النوويـة فعليًّا على مسرح العمليات فى النقب والجولان فى كهوف أو عربـات متحركة وأن

هناك قواعد جوية نووية وقواعد صاروخية نووية ومواقع لتخزين الأسلحة التكتيكية فى (تل نوف) وكفار زخريا ، وشمال الجليل بحيث يمكن القول أن الأسلحة النووية الإسرائيلية قد باتت ظاهرة للعيون ، ولم تعد هذه الأسلحة داخل القبو منذ فترة طويلة حيث أصبحت إسرائيل تتصرف على نطاق معين ، وكأنها دولة نووية معلنة وليس مجرد أسلحة نووية وتقدمت أهمية سياسة الغموض النووى (تبعًا لمحللين إسرائيليين ذوى ثقل) إلى مجرد غطاء رسمى لواقع لم تكن إسرائيل تحرص كثيرًا على إخفائه .

ومن جانب آخر تشير مصادر متعددة إلى أن إسرائيل فكَّرت فعلاً فى استخدام قواتها النووية مرتين على الأقل منذ أوائل السبعينات فقد هددت إسرائيل باستخدام السلاح النووى يوم ٧ أو ٨ أكتوبر ١٩٧٣م وذلك عندما اشتدت وطأة الهجوم المصرى وقبل حدوث ثغرة الدفرسوار ليلة ١٤ أكتوبر ١٩٧٣م حيث صدرت إشارات واضحة حول احتمالات الاستخدام النووى ضد القوات المصرية ، كذلك صدرت إشارات واضحة حول الاستخدام النووى خلال حرب الخليج فى يناير ١٩٩١م عندما أصابت صواريخ اسكودا العراقية تل أبيب والمدن الإسرائيلية الأخرى ، وكذلك لا تخلو تصريحات بعض قادة إسرائيل العسكريين تجاه إسرائيل خلال العامين الماضيين (١٩٩٣م) من إيحاءات نووية ، وكذلك عندما تحدث رئيس وزراء إسرائيل القتيل (إسحق رابين) حيث جاءت أقواله مفاجأة بالتهديد بحرب قادمة رغم إصراره على احتفاظ إسرائيل بترسانتها النووية ومن هنا فإن أمر امتلاك إسرائيل للسلاح النووى لم يعد سرًا على أحد فى العالم بأسره .

ومن هنا فإنه ليس من المعقول فى عالم القوة الذرية الإسرائيلية والعلاقات الإسرائيلية الأمريكية أن يطالب أحد العرب بالتخلِّ عن أمنهم وسلامتهم طالما أن إسرائيل تنفرد بامتلاك السلاح النووى وبعد أن افتضح أمرها وصرح به فانونو وكذلك رئيس الوزراء نفسه ولم يعد الأمر الإصرار على عدم الامتلاك وأنها لا تقبل التفتيش على منشآتها النووية من قبل الوكالة الدولية للطاقة الذرية وهذا سيكون كفيلاً بإثبات أن لديها سلاحًا نوويًا لا سيما أن ترك الأمر ملتبسًا فى قضية بخطورة امتلاك إسرائيل لترسانة نووية يتعارض ما هو مطروح حاليًا على الساحة بشأن السلام وأنه يحمل فى طياته معنى أن الحرب لا السلام ما زالت المرجعية السائدة وأن إسرائل ، لا زالت تتخذ الحرب المستندة إلى الأسلحة النووية ملاذًا أخيرًا لها فى حالة فشل مفاوضات فرض السلام بالصورة الإسرائيلية التى تريدها .

وبصـورة أدق تستهدف إسرائيل بعـدم بوحهـا بما تملكـه من أسلحة نـووية جعل فـرض إرادتها على العالم العربى أمرًا تقرره هى دون إبداء العرب أدنى اعتراض وأنه بعد أن بات للعيان أن إسرائيل تمتك هـذه الكميـة الهائلـة من الـرءوس وأنها تسير فى معـاهـدات الصلح وتـوقيع السلام مع الدول العربية رغم عدم الاستقـرار النهائى فى الشرق العربى ، فهل امتلاك السلاح النووى يضمن بقاء إسرائيل على المدى الطويل ؟

ليس هناك أدنى شـك فى أن إسرائيل لا زالت تتخوف من العراق وليبيـا وإيران وأحيـانًا سوريا بل أكثـر من ذلك فإن مخططى السياسة الإسرائيلية يذكرون أن مصر رغم تـوقيع اتفاقية السلام بعد معـاهدة كامب ديفيد ١٩٧٩م فإن الإحسـاس بأن مصر الخطر الأول على إسرائيل لا زال ساريًا فى النفوس الإسرائيلية لإدراكهم مدى صلابة وعمق الشعب المصرى ، إن امتلاك الأسلحة النـووية الآن يضمـن بقاء إسرائيل على المدى الطـويل وهذا مـا سوف نعـرض له فى فصل قادم عن عوامل زوال إسرائيل .

ولكن فليكن معلومًـا لدى القـادة الإسرائيليين وهـم الذين يتيهـون فخرًا بذكـائهم كيف انهار الاتحاد السـوفيتى إلى كيانـات صغيرة وتمزق رغم امتلاكـه للعديـد من الأسلحة المتطـورة وباعتبار أنه ثانى قوة عالمية بل الأولى عسكريًا فهل يضمن الامتلاك الذرى البقاء .

لقد أضاع العرب حقبة تاريخية هامة فى فترة الحرب الباردة والصراع بين القوى الاشتراكية بزعـامة الاتحاد السـوفيتى والقوى الغـربية بـزعامـة الولايـات المتحدة الأمريكيـة فى الفترة من (١٩٤٨ - ١٩٨٩م) ولقـد كـان الأولى بهم استغـلال هـذه الفترة الـزمنيـة التى ظهـرت فيهـا إسرائيل للـوجـود ككيـان غير شرعىّ على أرض عــربيـة فلسطينيـة وذلك قبل سقـوط الاتحاد السوفيتى والعمل على الاستعـانة بـالخبرات العلمية للتكنولـوجية التى تمكن العـرب من إنتاج سـلاح ذرى يتــوازى مع إسرائيل ولا سيما أن العـالم العـربى لا سيما بعــد حـرب (١٩٧٣ - ١٩٨٩م) ستة عشر عامًا قد امتلك أكبر ثروة مالية تتـاح لدولة أو مجموعة دول فى تاريخ العالم إذ قدر دخل العـالم العربى فى تلك الفترة بأكثـر من (٤ تريليون دولار) ثـروة ضخمة هـائلة لم يحسن استخـدامهـا فى الإنتـاج الـذرى لا سيما أن العـديد من الـدول العـربيـة كـانت لـديها الإمكـانيـات العلميـة والخبرات الفنية والعلماء البـارزين فى المجـال النـووى (مصر والجزائر والعراق) ولكن عدم التعـاون العربى قد أتاح الفرصة لإسرائيل أن تتحـرك وتتعاون مع الدول

الغربية فرنسا (مفاعل ديمونة فى صحراء النقب) والولايات المتحدة الأمريكية (مفاعل ناحال فى شمال إسرائيل) كل هذا استطاع إنتاج أكثر من ٢٠٠ رأس نووى أو ٣٠٠ ثلاثمائة رأس والعرب فى ظل هذه السيادة لم يعقلوا شيئًا .

صحيح أن مصر فى عهد عبد الناصر (١٩٥٨ - ١٩٦١م) حاولت التحرُّك للدخول فى المجال النووى بإنشاء (مفاعل إنشاص) وإرسال وفود علمية إلى الدول التى ضمن عضوية النادى الذرى وقامت مصر بإرسال وفد إلى الصين فى ظل رئاسة (شواين لاى) رئيس وزراء الصين وتقابل الوفد المصرى معه لكن كان رد رئيس وزراء الصين الاعتماد على النفس ، ولم يتح للعلماء المصريين فرصة التعاون مع علماء الذرة الصينيين ، وتقديم أدنى مساعدة ثم كان تدخل الولايات المتحدة المباشر لدى القيادة المصرية بعدم المضى قدمًا فى تطوير المفاعل الذرى المصرى فى إنشاص وبذلك ضاعت فرصة أخرى من مصر كما لم تقم الدول العربية بتقديم الأموال اللازمة لمساعدة مصر فى التطور والتقدم العلمى الذرى لا سيما بعد تجربة إطلاق صاروخ الظافر والقاهر ودور العلماء الألمان فى ذلك المجال والرسائل الناسفة من جانب إسرائيل لهؤلاء العلماء وأسرهم .

كذلك لعبت إسرائيل دورًا فى تعطيل العمل فى المجال الذرِّى المصرى بما كانت تقوم به من تهديد العلماء الألمان الذين استعانت بهم مصر بإرسال الرسائل والطرود الناسفة والحوادث الكثيرة التى حدثت من تأثير انفجار هذه الطرود والرسائل وكذلك تهديد أبناء العلماء وزوجاتهم فى ألمانيا بالخطف وأعمال العصابات كل هذا كان عاملاً معطلاً فى سبيل تقدم العرب فى هذا المجال الذى حازت فيه إسرائيل مجال السبق ، كذلك فإن فرنسا عندما قامت بمساعدة العراق فى إنشاء المفاعل الذرى العراقى بالقرب من بغداد فإن الطائرات الإسرائيلية قامت عام ١٩٨٠م بضرب المفاعل وهو فى مرحلة الإنشاء وذلك بإعطاء رسومات هذا الموقع لإسرائيل (فرنسا تحصل على المال من العراق وتمد إسرائيل بالخرائط) وذلك بعد أن قامت الطائرات الإسرائيلية باختراق المجال الجوى الأردنى والسعودى وصولاً إلى العراق ثم العودة سالمة دون أن يشعر بها أحد .

كذلك فإن أثناء حرب الخليج الأولى (١٩٧٩ - ١٩٨٧م) فإن القدرات العراقية أخذت طريقها للتطور العلمى ، وحادثة اغتيال الدكتور يحيى المشد عالم الذرة المصرى الذى كان

يعمل لـدى العـراق فى بـاريس خير شـاهد على التـدخل الإسرائيلى فى شئـون العـالم العـربى للحيلـولة دون إحـرازه أدنى تقـدم فى هذا المجـال ، ولقـد كانت حـرب الخليج الثـانية وغـزو الكويت (١٩٩٠ - ١٩٩١م) نكسة كبرى على البرنامج العراقى وما تم من قيام الأمم المتحدة بتدمير كل الأنشطة العـراقية وإرسال مراقبى الأمم المتحـدة للتفتيش على كل شىء فى العراق وهكذا أضـاع العرب حقبـة تاريخيـة هامة دون تحقيق أدنى تقـدم مما تـرك المجال واسعًـا أمام إسرائيل ليكون لها ثقل السبق والعمل منفـردة فى المنطقة لكى تكون لها السيـادة وفرض الشروط التى تحقق لها إمكانية التفرد بامتلاك هذا السلاح .

بل أكثر من ذلك فإن إسرائيل قـد دأبت منذ ثلاث سنوات لإثارة العـالم الغربى وبصفة خاصـة الولايـات المتحدة ودول غـرب أوربا بما تـدعيه من قيـام إيران بإنشـاء مفاعل ذرى فى منطقة « خورشهر » بمساعدة روسيا الاتحادية وهو المشروع الذى كانت قد بدأته إيران من عهد الشاه رضـا بهلوى بمسـاعدة من ألمـانيا ثم توقف المشروع بعـد الثورة الإيـرانية بقيـادة آية الله خومينى عام ١٩٧٩م ثم رأت الحكـومة الإيرانية المضى فى هـذا المشروع فى العهد الحالى بقيادة «رفسنجانى» وتبـذل الولايـات المتحدة بقيادة « بل كلينتـون » جهدًا خارقًـا لدى روسيـا لعدم المضى فى التعاون مع إيران فى هذا المجال ولكن روسيـا ماضية فى التعاون مع إيران ولا سيما أن التقارير تشير إلى أن إيـران قد يتاح لها إنتاج بعض القنابل البدائيـة فى خلال بضع سنوات ثم نعرج على باكستـان وهى التى وضعت يديها على كل مقومات إنتاج القنبلـة الذرية التى يطلق عليها الغرب القنبلة الإسلامية .

إن إسرائيل تتـوجس خفيـة من أى إنتـاج ذرِّى عـربى أو إسـلامى ؛ لأنها تـرى فى ذلك تهديـدًا لها ولكيانها الـدخيل ، لكن الأمور لـن تسير حسب رغبة إسرائيل والـولايات المتحـدة الأمريكيـة ذلك لأن الحاضر والمستقبل يحمل بين طياته أمور كثيرة فإنـه لن يمضى زمن طويل قد يكون بين عشرة أعوام أو عشرين عامًا حتـى يتاح لأى من الدول العربية (ليبيا - الجزائر - العـراق - مصر - سوريـا) إلا وتكـون قـد وضعت يديها على إنتـاج سـلاح يستطيع أن يجعل التوازن قائمًا بين العرب وإسرائيل .

ثم إنه حتى فى عدم قـدرة أى من الدول العربية السابق الإشارة إليهـا إنتاج سلاح نووى فى خلال عشرة أو عشريـن عامًـا فإن أى من الدول الإسـلامية الأخـرى (باكستـان - إيران - إندونيســيا - مالــيزيا - تركيا) تكون قـادرة على الإنتاج الـذرِّى مما يجعل الأمور تسير فى غير

ما تشتهى إسرائيل من بقائها منفردة فى منطقة الشرق العربى أو الشرق الإسلامى بامتلاك السلاح النووى ، إن إسرائيل تدرك تمام الإدراك خطر امتلاك أى من الدول العربية أو الدول الإسلامية للسلاح النووى ، ومن هنا وفقًا لما أذاعته وكالات الأنباء من تل أبيب فإن صحيفة ها أرتس الإسرائيلية قد ذكرت أن إسرائيل تخطط للحصول على اعتراف أمريكى مكتوب لأول مرة لحاجتها إلى الاحتفاظ برادع استراتيجى - أى بأسلحة نووية - حتى فى حالة التوصل إلى السلام الشامل مع جيرانها العرب وقد قال « زائيق ستيف » المحرر العسكرى لصحيفة ها أرتس والمعروف بصلاته الوثيقة بوزارة الدفاع الإسرائيلية أن الجانب الإسرائيلى قد وضع نصًا بهذا المعنى فى مشروع الاتفاق الدفاعى المشترك مع الولايات المتحدة الذى سيوقعه الرئيس الأمريكى بيل كلينتون وشيمون بيريز رئيس الوزراء الإسرائيلى فى واشنطن فى أواخر شهر أبريل ١٩٩٦م ، وأضاف المحرر العسكرى « زئيف ستيف » أن إسرائيل تقترح إدراج هذا الاعتراف فى فصل سرِّى للاتفاق الدفاعى الذى سوف يعرف باسم ميثاق التعاون الاستراتيجى والأمن المتبادل لا سيما أن الولايات المتحدة سوف تقدم لإسرائيل مظلة واقية حقيقية لأمن إسرائيل وسيكون ذلك أغلى هدية لبيريز والحكومة العمالية الإسرائيلية وسوف تقدم واشنطن أقوى ما تملكه من تكنولوجيا حديثة مع المعلومات السرية جدًا للمخابرات العسكرية الأمريكية إضافة إلى تحالف عسكرى حقيقى تعترف فيه أمريكا بالقوة النووية الإسرائيلية وإقامة محطة أرضية أمريكية فى إسرائيل للتجسس بالأقمار الصناعية الأمريكية ويعلق المراقبون العسكريون على أن هذه الاتفاقيات الاستراتيجية بين إسرائيل والولايات المتحدة سو ف تجعل إسرائيل الولاية الإحدى والخمسين (٥١) للولايات المتحدة الأمريكية .

ومن كل هذا نلحظ أنه كيف ترك العرب فرصة امتلاك إسرائيل لهذه الكميات من القنابل الذرية وكيف خدع الأمريكان مصر والعرب بقولها: إن إسرائيل تبنى مصنع للمعادن أو المنسوجات فى ديمونة أو أنه يستخدم للطاقة الشمسية حتى فوجئ العالم باعترافات الخبير الإسرائيلى فانونو وكذلك اعتراف شيمون بيريز رئيس وزراء إسرائيل فى كتاب (معارك السلام) بامتلاك إسرائيل للسلاح النووى وكيف أن إسرائيل سوف تعقد فى أبريل القادم (١٩٩٦م) اتفاقًا أمنيًا مع الولايات المتحدة تسمح منه الولايات المتحدة بامتلاك إسرائيل للسلاح الذرِّى فى ظل اتفاقيات السلام الشامل مع العرب .

ونقول إن امتلاك إحدى الـدول العربية أو الإسلامية للسلاح النـووى قد لا يشكل خطرًا مباشرًا على وجـود إسرائيل أو قد يكون العـامل الفاصل فى نهايـة الكيان الإسرائيلى من الأرض العربية ولكن ربما قد يساعد على أن يكون عامـل قوى فى يد العرب أو إحدى الدول الإسلامية لكى تحد من أطماع إسرائيل كقـوة فى المنطقـة ويحاول أن يجعلها فى حجمهـا الطبيعى ويحد من طموحـاتها للسيطرة على المنطقة العـربية لما تملك من قـدرات نووية ؛ لأن التـوازن بين العرب وإسرائيل فى السـلاح النووى هـذا يكون لـه أبعـادًا أخرى مستقبليـة ذلك لأن العرب والعـالم الإسلامى الـذى يمتلك السلاح النـووى سواء إيران أو بـاكستان أو إندونيسيـا أو ماليـزيا لن تستطيع أى من هذه القوى إزاحـة أو إزالة إسرائيل فى ظل وجود الولايات المتحـدة الأمريكية والدول الغربية كقوة أولى مسيطرة على مقاليد الأمور فى العالم إذ أن الارتباط الأمنى والعسكرى والدفاعى بين الولايات المتحدة وإسرائيـل سوف يكون عامل ردع مباشر للعرب والمسلمين فى محاولة إزالة إسرائيـل لا سيما وقد سبق أن قال بروز تيتـو رئيس يوغوسلافيـا وأحد أقطاب دول عدم الانحيـاز أن إزالة إسرائيل أو إلقائهـا فى البحر يقتضى إلقـاء أو إزالة الولايـات المتحدة الأمريكيـة لكن إسرائيل سوف يتم إزالتها على مـراحل لا سيما أن العالم العربى سـوف يتطور ولن يكون السـلاح النووى قـادرًا على حماية وجود إسرائيل ذلـك ؛ لأن الاتحاد السوفيتى كأكبر قوة مضادة للـولايات المتحدة قد انتهى دون طلقة واحـدة وتفسخ المعسكر الاشتراكى ولم يعد لها وجود على الساحة العالمية كقوة كبرى ثانية تناوئ المعسكر الرأسمالى الغربى ، لكن إسرائيل فى ظل الـوقـاية الأمـريكيـة والمظلة التكنولوجيـة المتطـورة لن تستطيع أن تحفظ أمن وكيـان إسرائيل ؛ لأن الشعب الفلسطينى ومن خلفـه العـالم العـربى والإسـلامى يـدرك أن القـدس إسـلاميـة وأرض فلسطين عـربيـة من النهـر إلى البحـر أى من نهر الأردن إلى البحـر الأبيض المتوسط تكـون فلسطين رغم السـلاح النـووى فـالفلسطينيـون قـادرون لا محالـة بما لهم من إمكانيات للعمل على إعادة الأرض إلى أصحـابها الشرعيين ولن يحمى السلاح النووى إسرائيل من أن تسقط تحت عجـلات التاريخ الـذى وقع فيه غـلاة الصهيونيين ومن دعمهم من قـادة الغـرب ؛ لأنهم لم يقـرأوا التـاريخ وإذا كـانوا قد قـرأوه فإنهم لم يفهمـوه وإن كـانوا قـد فهموه فإنهم لم يستفيدوا من التجارب التاريخية الخاصـة وذلك طبقًا لمـا جاء فى التوراة (بأنهم شـعب لا يفهمون) .

فلن تكون القنابل الـذرية درعًا واقيًا ضـد إرادة الشـعب الفلسطينى إلا أن يعيش اليهود ى ظل دولـة فلسطـــين عـربيـة تجمع المســلمين والمسيحيين واليهـــود فى ظـل كيـان واحـد .يمقراطى دولة علمانية حديثة لا تكون فيها كيان لليهودية كعقيدة تقام عليها دولة مغتصبة من ـعب فلسطين .

لا سيما إن هناك إحصائيات تقول إنه خلال أقل من ٥٠ عامًا ستكون هناك حوالى ١٠٠ .ولة تمتلك أسلحة نـووية بما فى ذلك دول فقيرة ، ولا شك أن من بين هذه المـائة دولة لابد أن كون هنـاك دولة عـربية متعـددة بل دول إسلاميـة أيضًا وأن ذلك سيمثّـل خطرًا شـديدًا على لكيان اليهـودى وعلى استقرارها السيـاسىّ فى الشرق العربى بل على استقرار العـالم وأن هناك دد قليلا من الـدول التى لديها إرادة سياسية وشرعت فى امتلاك أسلحة نـووية (ليبيا - إيران - العراق - سـوريا - مصر - بـاكستان) بل أن هناك دول عـربية أو غير عـربية تستطيع شراء ـذه الأسلحة من الدول النووية الموجودة حاليًا ، لا سيما أن كوريا الشمالية متطلعة إلى بيع هذه لأسلحة بعد أن ضربت رقمًا قياسيًّا فى بيع الصواريخ النووية طويلة المدى .

إن المرحلة القادمة بل العقـد الأول من القرن الحادى والعشرين سوف يسفر عن تغيرات عديدة فى الساحـة العالمية ولا شك سوف تبرز قوى أخرى صـاعدة سيكون لها دور أكبر وأهم ى صنع القـرار السيـاسىّ فى الشرق العـربى ولن تكـون لإسرائيل القـدرة على الحمايـة فى ظل ـسـلاح النووى ؛ لأنـه لن يوفـر لها هذا السـلاح الوجـود فى ظل الخصم العربى الـذى يصل عداده إلى ٣٠٠ مليون نسمة .

* * *



الولايات المتحدة الأمريكية والتوازن العالمى ..

نحن نعلم علم اليقين أن الولايات المتحدة الأمريكية تقود حاليًا المسيرة العالمية منفردة
هى التى تتربّع على عرش القوى العظمى الوحيدة فى العالم بعد اختفاء الدب السوفيتى
ن ذلك لن يدوم ولن يطول هذا الانفراد ولكن لمرحلة تاريخية قد تطول إلى عشرة أعوام أو
ين عامًا ولن تطول أكثر من ذلك بل ربما قد تقل إلى ربع قرن (٢٥ عاما)، ولكن الولايات
حدة تدرك ذلك فإن هذا التفرد لن يدوم طويلا، ومن هنا فإنها تعمل دون توقف على
يرها عسكريا بل إنها تتقدم لتكون على مشارف ثورة حقيقية فى عالم تكنولوجيا الحرب
تيكات المعارك وأنها تعمل على امتلاك إمكانيات ومصادر عسكرية أمريكية جديدة بل
انيات فائقة القدرة والتطور والتقدُّم إلى الحد الذى يمكن الحكم على تكنولوجيا حرب
يج الثانية عام ١٩٩١م، بأنها حرب بدائية مقارنة بما تصل إليه أمريكا حاليًا. وقد نقلت
حيفة (لوس أنجيلوس تايمز) عن خبير عسكرى بجامعة (خون هوبكنز) قوله: إن
روب القرن الحادى والعشرين ستكون مختلفة تمامًا عن حروب اليوم حيث سيمتد ميدان
ركة لمساحة ٣٠٠ ميل إضافة أن القتال فى الميدان سوف يكون ليلا ونهارًا أو فى ظل الأحوال
ية السيئة وأن الحروب لن تكون لأيام قليلة وليس شهورًا أو سنوات كما كان يحدث فى

الماضى ، وقد ذكر أحد خبراء حروب المستقبل فى البنتاجون أنه لن يتم الاكتفاء فى المستقبل بالوصول إلى التفوق الجوى فى ميدان المعركة ولكن سيتم ضمان السيادة فى المعلومات بتدبر أنظمة الرقابة والرادار التابعة للعدو وإصابتها بالتشويش وقد أوضحت الصحيفة (لوس أنجيلوس تايمز) قولها : إن التغييرات فى حروب المستقبل قد تم تطويرها فى مختبرات قتالية تابعة للجيش وأن بعض نوعيات التكنولوجيا الجديدة أصبحت جاهزة بالفعل للاستخدام لكن معظمها سيكون جاهزًا قبل نهاية هذا القرن أو على الأكثر فى عام ٢٠٢٠م.

ورغم هذة المقدمة والدباجة عن الولايات المتحدة الأمريكية إلا أننا نقول : إن الولايات المتحدة الأمريكية تواجه العديد من التحديات الداخلية والخارجية السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى لاشك سوف تؤثر على خط نجاحها فى قيادة العالم ذلك ؛ لأنه إذا سارت الولايات المتحدة فى تنمية الاتجاه العسكرى لكى تكون لها السيادة الأولى على العالم والتوسع فى تكاليف الإنفاق العسكرى فإن ذلك سوف يؤدى فى النهاية إلى حالة من الإفلاس والديون وهبوط المستوى الاقتصادى ذلك ، لأن الاتحاد السوفيتى عندما إنجرف فى الصراع العسكرى مع الولايات المتحدة واتجه إلى الإنفاق المتزايد على أبحاث الفضاء وسفن الفضاء والإنتاج الحربى كالصواريخ والقنابل والمعدات المتطورة فإن الحال الذى وصل اليه الاتحاد السوفيتى عام ١٩٨٩ عندما تصدعت هذه الدولة الكبرى نظرا للإفلاس الاقتصادى وهبوط مستوى المعيشة وعدم الاهتمام بمصالح الشعب على حساب الإنفاق العسكرى والأبحاث التكنولوجية المتقدمة وبذلك انهارت هذه القوى الكبرى الثانية فى العالم وبات علماء الذرة والصواريخ والفضاء ومراكز الأبحاث يعيشون فى مستوى اقتصادىّ متدنى مما دفعهم لبيع أنفسهم فى الأسواق العالمية لمن يدفع وهاجر كثير من العلماء إلى أوربا والولايات المتحدة ودول الشرق كإسرائيل وإيران والعراق وليبيا .

إضافة إلى أن السياسة المالية الأمريكية الخاطئة سوف تؤدى إلى زوال الطبقة الوسطى وفقدان الاحترام الدولى لا سيما أن ديون أمريكا حاليا تصل إلى أربعة تريليون دولار هذا فى عام ١٩٩٢ أما فى عام ١٩٩٥ فإن ديون أمريكا قد وصلت إلى ٦,٢ تريليون دولار وأن الدولار سوف يفقد قيمته على المدى البعيد بحلول عام ٢٠٠٠ حيث ستكون ديون أمريكا ٢٢ تريليون وأن فوائد هذه الديون لكل من اليابان وألمانيا والسعودية وغيرها من الدول الدائنة يصل إلى

٦١٩ مليار دولار وأن الولايات المتحدة فى المدى البعيد ٢٠١٠ سوف تفقد آليات السيطرة على ديونها وفوائدها وتفاقم العجز فى الموازنة العامة وآثارها الاقتصادية والمادية بل أن إنهاك الولايات المتحدة فى مواجهة الأزمات الخارجية (الشرق الأوسط ، البوسنة والهرسك ، الصين ، تايوان ، كوريا الشمالية ، العراق ، إيران) سوف يكلِّفها الكثير من الأموال مما يساعد على زيادة التضخم والركود وتبدأ الطبقة الوسطى بالزوال وفقدان السمعة العالمية والاحترام الدوليين والخروج من نطاق المنافسة التجارية والاقتصادية وقد بدأ ذلك بخسارة بعض المعارك الخارجية أمام اليابان وألمانيا وذلك مما يفقد الولايات المتحدة قدراتها الاقتصادية . لا سيما أن التحرك فى دول جنوب شرق آسيا قد بدأ يأخذ بعدا آخر يشكل أكبر خطر عليها فى المستقبل القريب ، ذلك ؛ لأن إنتاج هذه الدول يشكل ٢٤٪ من الإنتاج العالمى يضاف إليه إنتاج الهند ١٢٪ من الإنتاج العالمى يكون ٣٦٪ من الإنتاج العالمى فى الهند والصين واليابان وتايوان وهونج كونج وكوريا الجنوبية وتايلند وماليزيا وإندونيسيا والفلبين وفيتنام وقيام وظهور هذه القوة الاقتصادية الكبرى مما يعنى تعادل إنتاج ٢٤٪ مع إنتاج كل من الولايات المتحدة الأمريكية وكندا والمكسيك (النافتا) ٢٤٪ ولكن مع نهاية عام ٢٠٠٠ سوف يكون إنتاج هذه الدول ٣٣٪ من الإنتاج العالمى مما دفع دول أوربا الخمسة عشر للتوجه إلى بانكوك عاصمة تايلاند لعقد مؤتمر الدول الخمسة والعشرين التى تضم عشرة دول آسيوية لمناقشة مستقبل التجارة العالمية والإحساس بقوة هذه الدول الآسيوية الكبرى يفقد أمريكا القدرة على التحكم فى حركة الصادرات والواردات العالمية وعدم القدرة على فرض العقوبات الاقتصادية .

والذى ينظر الى المدى القريب يدرك أن أبناء اليابان كانوا وراء كل هذه التحركات الاقتصادية والتقدم الاقتصادى الهائل فى البلدان الآسيوية ، النمور وغيرها الفلبين وبورما وفيتنام وذلك ؛ لأن اليابان لا تنسى للولايات المتحدة استخدامها القنابل الذرية فى ضرب هيروشيما وناجازاكى عام ١٩٤٥ فى الحرب العالمية الثانية بل إنها لم تكتف بذلك بل قامت بإزلال الامبراطور اليابانى رمز الشمس والقوة للشعب اليابانى عند توقيع معاهدة الاستسلام للقائد الأمريكى كل ذلك كان دافع قوى لكى تتحرك اليابان كقوه اقتصادية كبرى عالمية قادرة على إنتزاع زمام المبادرة من الولايات المتحدة لأن التحرك اليابانى فى دول النمور وغيرها من جنوب شرق آسيا قد دفع بها مليارات الدولارات فى هذه الدول ، فنجد مثلا فى خلال ست سنوات ١٩٨٦ - ١٩٩٢ كانت الشركات اليابانية تستثمر ٤٧ مليار دولار فى آسيا ذلك ؛ لأن

اليـابان كـانت وراء النجـاح الاقتصادى المتكـرر فى آسيـا ، إضـافة إلى أن كثيراً من الشركـات اليابانية نقلت مصانعها إلى الأسواق الأمـريكية والأوروبية التى تبيع فيها منتجاتها كذلك كان انتقال الشركات اليابانية الأخـرى إلى دول النمور وكذلك اتجهت بعض الشركات إلى بقية بلاد النمور الأخرى لكى تخلق التوازن مع الولايات المتحدة بل تجاوزتها ومن هنا نحن نشهد التطور العلمى والتكنـولـوجى القـادم من دول النمور واليـابـان والصين فى شكل تهديـدًا خطيرًا على الاقتصاد الأمـريكى الذى لا بد أن يواجـه العديد من المشـاكل على المدى القريب لا سيما أن الصين تتجه إلى ضم هونج كونج فى مايو ١٩٩٧ وكـذلك جزيرة مكاو البرتغالية وأيضا تحاول ضم تايوان (٢٢ مليـون صينى تايوانى) بأى شكل من الأشكال سواء سلما أو حربًـا مما يدفع بالصين بالتعاون مع دول (الأسيان) إلى تحدِّى القوى الاقتصادية الأمريكية (النافتا)بالاشتراك مع المكسيك وكندا ، ومن هنا فالواضح جليا أمام العين أن أمريكا لن تكون القوى الاقتصادية الأولى بـالتعاون مع بـاقى دول (النـافتـا) أو مع دول غرب أوربـا ولا بـد أن تعترف الولايـات المتحدة أن النمو الاقتصادى السريع فى آسيا هو التحدِّى الأكبر لوجودها وكيانها كقوى عالمية أولى ذلك ؛ لأن هذا التطور سـوف يؤدى إلى أزمة تجارية مستعصيـة لها . لا سيما أن العديد من الـدراسات التى أشـارت إلى قـوة اليابـان والصين وبقية دول آسيـا أشـارت إلى تراجع الـدور الأمـريكى اقتصـاديـا بل عسكـريا على المدى البعيـد (ربع قـرن ٢٥ سنـة) ذلك لأن القـوه الآسيوية هى التحدى الحقيقى القادم فى القرن الحادى والعشرين ولكن الخطر الأكبر يأتى من الصين القوة العـالمية الكبرى ١,٢٥٠ مليـار ومائتين وخمسين مليون نسمـة القوة الاقتصـادية الصاعدة والتى تحاول أن تتقـارب مع اليابان على حساب التقارب اليـابانى الأمريكى ومن ثم فإن قوة آسيـا لابد أن تضع نهايـة للولايات المتحـدة لاسيما أن الصين تشهد مـرحلة من التغير الشامل فى المستقبل القـريب فى الوقت الـذى تحقق فيه طفرات اقتصـادية قويـة تدفع بـالآلة الأمريكية المتطـورة إلى عـدم القـدرة فى المنافســة مع اليابان والصـين والنمور الآسـيوية ومن هنا تسعى الولايات المتحدة إلى التحالف مع اليابان والتعامل معها فى المرحلة القادمة كحلفين لا خصمين ولما كان التقـدم الاقتصادى الصينى عامـلا حاسما فى وقف القوة الأمـريكية ؛ فإن ذلك سوف يشكل نزعة قومية كجزء من سياسـة الدولة فسوف تنمو القوة العسكرية للصين مما يدفع الولايات المتحدة إلى التودد لليابان لكن اليـابان بـالحس الأسيوى ترى أن إهانة الولايات المتحدة لـلامبراطور اليـابانى درسًـا قاسيًـا لن ينساه المواطن اليـابانى الـذى يحس بالكـراهية

الشديدة للـذين استذلوا رمزه وإمبراطوره ومن هنـا لن يكون التقارب اليابـانى الأمريكى بقدر التعامل مع الصين من منطلق المصـالح الآسيوية ، بل أكثر من ذلك فإن سيـاسة بكين تحرص على تجنب التحالف مـع اليابان فى المرحلـة المالية ؛ لأنها سـوف تظل ملتزمة بـوضع مستقل فى الشئون الدوليـة معتمدة فى ذلك على قوتها الاقتصادية والعسكـرية بل إنها تحرص على التعامل مع الولايات المتحدة واليـابان بشىء من الريبة وانعدام الثقة ، لكن السياسـة الصينية السابقة كانت تفضل التعامل مع الولات المتحدة على حساب كل من اليابان وروسيا لكن توازن القوى فى المنطقة يستدعى التقارب مع اليابان والـروس لا سيما بعد تدخل الولايات المتحدة فى الأزمة القائمة حاليًا بين الصين وتايوان (مـارس ١٩٩٦) إن الصين تدرك مدى قوة نفوذها فى مناطق مثل كوريا وتايوان وشبه الجزيرة الصينية .

إن التطور الاقتصادى والصناعى والعلمى والتكنولوجى والعسكرى فى جنوب شرق آسيا بالتحرُّك والتعاون من اليابان والصين ودول النمـور السبع يضاف إليها مستقبلا الفلبين وبورما وفيتنام لتكون دول النمور العشر هـو الخطر الحقيقى الذى يعيد للعالم توازنـه ويجعل الولايات المتحـدة مهما بلغت من تطور عســكرى وعلمى وتكنـولوجى متطـور جـدًا ومتقدم جـدًا فإن التـوازن قـادم لامحالة ولـن يطـول به الزمن إذ لا بد أن يحدث حتمًـا وحقيقـة فى مدى عشـرة أو عشرين عامًا على أكثـر تقدير ويومها لن تكـون الولايات المتحدة صاحبة القـرار الوحيد فى إدارة كفة الأمور فى العالم .

ذلك لأن التطور الآسيـوى قادر على جعل الـولايات المتحدة تتراجـع عن الانفراد ولكن التوازن العالمى سنة طبيعية فى الكون ولذلك فإن التوازن العالمى سوف يدفع بالولايات المتحدة لا أقول إلى الصف الخلفى فى المسيرة العالمية ولكن ربما تكون القوه الثـانية عالميا وربما الثالثة ؛ لأن قوة الصين مستقبلا ستكـون هى القادرة على قيادة المسيرة تليها اليابـان بالتحالف مع دول النمور وبـذلك فإن الحماية الأمريكيـة لإسرائيل (الولايـة ٥١ الأمريكية) لن تكـون صاحب الدور الفعـال فى الشرق العربـى لأن الاعتماد على البترول كمصدر للطاقـة سوف يقـل وسوف تكون هنـاك بدائل متعـددة ولكن يكون الاعتماد على إسرائيل لتحقيـق المصالح الأمـريكية فى المنطقة وسوف يجد العالم العربى فى القوه الآسيوية خير سند له يحاول التقارب معها والاستفادة من أخطاء الماضى وعدم القدرة على التعـامل مع الاتحاد السوفيتى لتحقيق الأهداف والمصالح

العـربية لأجل تحقيق الهدف الأكبر لها وهـو إعادة الحق الشرعى للشعب الفلسطينى فى أرضـه التى سلبها العـدو الإسرائيلى بمساعـدة الولايات المتحـدة والتحالف الغـربى وبذلك يستغل العـرب التطـور على المدى الطويـل ولا سيما أن تعمل الدول العـربيـة على التعـامل مع القـوة الصينية فى مجال الأمن القومى العربى الذى تسعى إلى مزيد من الفهم للاستراتيجية العسكرية العالمية فى ذلك الوقت لاسيمـا فى الربع الأول من القـرن الحـادى والعشـرين وكيفية حصولها على الأسلحة الصينيـة المتطــوِّرة التى تضمن الكيان العـربى وجوده فى ظل تـوسع الصين فى مبيعات الأسلحة ؛ لأن هذه القضايا تحتاج إلى تنسيق شامل بين العرب والصين وشرق آسيا .

هذا عن البعد الاقتصـادى الذى سوف تتردى فيه الولايات المتحـدة بتوسعها فى الإنفاق العسكرى الذى سـوف يتطور أكثر فى المقابل فى الصين واليابان ودول النمـور وذلك هو البعد الخارجى الذى يفقد الولايات المتحدة قيـادتها بل وربما توازنها فى الكيان العالمى كدولة عظمى ثالثة وليس ثانية لكن النهاية التى انتهى إليها الاتحاد السوفيتى قد دفعت دوله إلى الانحدار إلى مصاف الدول غير المتقدمة كما دفعت أكبر دولة (روسيا الاتحادية) إلى أن لا تقف اقتصاديا فى الدول السبع المتطـورة اقتصاديا وعلميـا وهكذا سوف يكون حـال الولايات المتحـدة مع نهاية الربع الأول من القرن الحادى والعشرين (٢٠٢٥ م) .

وهـذا عن البعد الاقتصـادى والتحـدى الـذى سيواجـه الـولايات المتحـدة على المدى القـريب أو البعيـد من دول جنـوب شرق آسيـا ومن حيث ظهـرت العـديـد من الـدراسـات والبحوث التى تـدرس هذه الظاهـرة وذلك التحدى ومنها كتاب أمـريكا (الولايـات المتحدة الأمريكيـة) واليابـان وآسيا . والـذى بدأت تتجـه أمريكـا إلى هذا الجزء من العـالم بعد إنهاء الحرب الباردة .

وهناك أيضا البعد الـداخلى للولايات المتحدة فإننا نقول : إن اكتشـاف أمريكا قد تم فى عـام ١٤٩٢ وأن الهجرة قـد تدفقت أولا من البرتغـال وأسبانيـا ودول غرب أوربـا والولايـات المتحدة الأمـريكية ويشكل سكانها البالغ عـددهم أكثر من ٢٦٠ مليون نسمـة من جنسيات مختلفة يشكل منهم ٤٠ مليون من أصل أيرلندى فقط إضافة إلى سبعة ملايين زنجى وأكثر من ثمانية مليون مسلم وأكثـر من ثمانية مليون يهودى وكذلك الطوائف الآسيـوية التى قدمت من دول جنـوب شرق آسيـا وكذلك المكسيك ودول البحـر الكـاريبى وأمـريكـا الجنوبيـة ، هـذه

الجنسيات المتعـددة التى يتكون منهـا المجتمع الأمريكى يعيش فيـه جو من المتنـاقضات التى سيطـر فيها الجنس الأبيض الأوربى والسـلافى والـروسى والألمـانى على مقـاليـد الأمور يـدفع بـالحقد والكـراهية للعنـاصر الـزنجية التى تعيش فى الأحيـاء الفقيرة المحـرومة من الخدمـات والتفرقة بين البيض والسود فى العديد من المجالات يوحى بظهور حالة من الكراهية والانقسام والتفـاوت فى المستوى الاجتماعى ممـا يشكل خطـرًا اجتماعيًّـا يهدد الكيان الـواحـد للولايـات المتحدة الأمريكية إضافة إلى الولايـات المتحدة الأمريكية تتكون من خمسين ولاية (٥٠ ولاية) فى شكل وحدة فيـدرالية قد تم تـوحيدها بقـوة السلاح عام ١٨٥٦م عنـدما قامت الـولايات الشمالية بضم الولايـات الجنوبية فى عهد جـورج واشنطن وكذلك توجد متنـاقضات بين هذه الولايات ؛ لأنها لا تشكل جميعًـا مستوى متقارب فى الدخل القـومى والإنتاج المحلى ومتوسط دخل الفـرد إضـافـة إلى تحرر الـزنوج أخيرًا فى شكل قـوة لابـد أن يكـون لها تأثيرهـا على مجرى الأحداث لا سيما الأحداث الأخيرة التى قـادها الزعيم المسلم (فاراقان) وقيـادته لمسيرة مليون شخص من الزنـوج وقيامه بـزيارة الدول العـربية التى تأخـذ موقفًا مضـادًا لسياسة الـولايات المتحدة حيث زار ليبيا وإيران والعراق وسوريا وأن ظهور هذا الشعور الإسلامى الزنجى سوف يؤدى إلى ظهـور قوة لها تأثيرهـا المستقبلى فى السياسـة الأمريكيـة ، لكن الذى ينظـر من زاوية الأحـداث القريبـة وكيف تفسَّـخ الاتحاد السـوفيتى المكون من أكثـر من خمسة عشرة دولـة إلى كيانات صغيرة ودول متعددة ٣ دول فى بحر البلطيق وسـت دول فى جمهوريات آسيا الوسطى . إضافة إلى جـورجيا ، أبخازيا ، أرمينيا ، روسيـا الاتحادية ، أوكرانيا ، روسيـا البيضاء وغيرها من الكيانات الصغيرة .

هـذا التفكك ربما يأخـذ قيـاسـا على الولايـات المتحـدة الخمسين التى تـرى على المدى القريب أو البعيد قد تحدث بعض المناقضات التى ربمـا قد تسفر عن انشقاق فى هـذا الاتحاد لا سيما أن نظام الولايات المتحدة هو نظام فيدرالى .

وبذلك فإن احتمالات المستقبل لن تكـون أبدًا فى صالح الـولايات المتحدة ربما إحـرازها للعديد من الانتصـارات العلمية الباهرة ، كـالوصول إلى القمر وهبوط أرمسترونج منذ ٢٧ عام (١٩٦٩) على سطحـه وبناء مسـاكن على سطح القمر منـذ ٣١ ينايـر ١٩٨٦م والوصـول إلى المريخ فى عهد الرئيس السـابق جورج بوش وكذلك إعلان حرب الكواكـب منذ عهد الرئيس الأسبق ريجان وكذلك التقدم الهائل فى سفن الفضاء وإرسال مكوك الفضاءوحشد هذه السفن

بـالعديـد من الـرِّجال والأقمار الصنـاعيـة لـلأبحاث العلميـة والتجسس وتقـدم المعلومـات والإلكترونات وغيرهـا من الأمور المتطورة جدًا فى مجال أبحـاث الكمبيوتر وكـذلك الاستشعار من البعـد والقـدرة على اكتشـاف مـا فى بـاطن الأرض ومـراقبـة تحرك كل شىء على الأرض ، وكذلك التقدم الهائل فى علم الهندسة الـوراثية وعلم استنسـاخ الأجنة وكذلك غيره الكثير من المجـالات التى لا يتسع المجال هنـا لحصرهـا وكل هذه الأمـور المتطـورة علميا وتكنـولوجيـا وهندسيًّـا وصناعيًّـا لن تشفع للولايـات المتحدة بأن تقعد بمفـردها لقيـادة العالم منفـردة بعد القضاء على المعسكـر الاشتراكى الشيوعى ، بل لابد من ظهـور قوة متوازنـة تتمثل فى آسيا بل وربما سيكون ما حـدث من تفكك الاتحاد السوفيتى سوف يؤدى إلى تفكك الـولايات المتحدة المكـونة مـن خمسين ولاية ربما إلى عـدة دول ممـا يفقـد هذا الكيـان المتقـدم علميـا وحضاريـا وتكنولـوجيا إلى عدة كيانـات لاسيما أن الدرس قائم قريبًـا من الولايات المتحدة الأمـريكية فى الشمال حيث كندا وما تسعى إليه ولاية كويبيك الفرنسية فى محاولة الاستقلال عن كندا الناطقة باللغـة الإنجليزية وما يحدث أيضـا فى الدولة الثـالثة المكسيك المنضمة إلى التافتـا حيث ثورة العناصر البدائيـة من الهنود الحمر وثورتهم ضد الحكم بـاعتبار أنهم أهل البلاد الأصليين ، فإن هـذه الأحداث التى تـدور على الجنوب منهـا وعلى الشمال أيضا قـد تدفع بإحـدى الولايـات الأمريكية والتى لاتتوافر لها العناصر البيضـاء إلى الاندفاع إلى إعلان استقلالها عن الكيان الأم (خمسين ولاية) وبذلك فلن تكون الولايات المتحدة فى ظل حالات التمزق السياسى والانهيار الاقتصادى بقادرة على الانفراد بتوجيه السياسـة العالمية دون أدنى تنافس أو معارض ، وبذلك تفقـد إسرائيل جهودهـا كقوة فى الشرق العـربى لاسيما أن الارتبـاط بين الكيان الـدخيل وبين الولايـات المتحدة هو ارتبـاط عضوى مصيرى لكن الأحـداث المستقبلية سوف تظهـر لامحالة ظهور قـوه عالمية تعيـد التوازن العالمى إلى حالتـه الطبيعية مثلما كان قبل انتهـاء الحرب الباردة وتفكك الاتحاد السوفيتى ومن هنا سوف تكون هناك سياسـة أمريكية جديدة تجاه العالم العربى والإسلامى تنطلق من رؤية مخالفة عما كان عليـه الحال فى أواخر القرن العشرين من تحيز كامل لإسرائيل على حسـاب الحق العربى الفلسطينـى لاسيما أن أمريكـا تتعامـل مع العالم العـربى والإسلامى بنـاء على نصيحة ريتشـارد نيكسون رئيس الولايـات المتحدة الأمـريكية الأسبق فى كتابه (مابعد السلام) والذى دعا فيه أمريكا إلى معاملة العالم العربى والإسلامى ليس كوحدة واحدة ولكن التعامل معه كوحدات سياسيـة مستقلة تشكل مجموعة من الدول لكل دولة منها

مصالحهـا ومواقفها وبـاعتبار أنها ستمر فى رحلة السـلام بحالة من التـوتر السياسى وهـذا ما حدث فعلاً فى مـؤتمر مدريد ١٩٩١ وما تقـوم به إسرائيل فى التعامل مع العرب بـالصلح دولة دولة مصر أولاً ثم منظمـة التحرير الفلسطينية ثم الأردن ثم بعد ذلك ســـوريا وأخــيرًا لبنان باعتبار أن هـذه هى دول الطـــوق ولكن رغـم كل ما يحدث فإن الولايـات المتحدة الأمريكية التى دفعت العرب دفعاً إلى عقد اتفاقيات السلام بعد حرب العراق عام (١٩٩٠ - ١٩٩١م) إلى التعامل مع إسرائيل ولكـن كل هذا لابد يكـون نهاية المطاف فإن هنـاك العديـد من الدول العربيـة القريبة منها لن تقبل التعـامل مع إسرائيل كأمر واقع مفروض على العـرب بل أن هذه الدول التى تـذكرها إسرائيل بالاسم (ليبـا - إيران - العراق) ربما ستكون نقطـة انطلاق على المدى القريب أو البعيد بعد انهيار تفرد الولايات المتحدة بقيادة العالم والقدرة على التعامل مع العراق القادم .

إن الولايـات المتحدة الأمـريكية ودول غـرب أوربا لن تظـل القوة الـرائدة والسائدة على الساحة العالمية ذلك ، لأن هناك العديد من الدراسات الأوربية وكذلك الأمريكية ومنها تلك الدراســة المطولة بعنـوان : « الحرب الباردة القادمـة » للكاتب الأمريكى (أوين هـاريس) قد أزاحت الستار عن بعض ما كان يتخفى به فكـر صمائيل هانتجتون فى مقاله صراع الحضارات أو الصـدام بين الحضارات . ذلك لأن القـرن القادم الحادى والعشرين سـوف يشهد تحديـات بالغة الخطورة تواجه الحضارة الغـربية وذلك نتيجة صعود دور آسيا المتعاظم (٣٣٪ من الناتج العـالمى) إلى أعلى دراجات سلم القـوى الاقتصاديـة والسياسـة والعسكريـة وذلك فى إثر مـا حققته من تفوق اقتصادى كان لليابـان فضل السبق فيه ثم الصين ودول النمور الآسيوية التى قفـزت باقتصـادها فى فترة زمنيـة قصيرة والآن جاء دور الصين الـذى سوف ينهى لامحالـة دور الولايات المتحدة .

ومعنى هذا أن التفـوق الاقتصادى الذى كـان بمثابة العمـود الفقرى للحضارة الغـربية سينتقل بقوة إلى الجانب الآسيوى فى وقت تتعرض فيه اقتصاديًا دول الغرب للتراجع وللأزمات بينما الولايات المتحدة مرشحة للتراجع فى قدرتها على المنافسة ؛ لأن قوى جديدة آسيوية تصعد للزعامة والقيادة وهى قوى تعرف الحق العربى السليب من فلسطين ودور العرب الحضارى فى العالم ولاسيما أن بعض هـذه الدول (ماليـزيا - وأندونسيا) دول إسـلامية تكن مشاعر الأخوة

الإسلامية لما يجرى فى العالم العربى وسلب إسرائيل لحق الشعب الفلسطينى فى دياره كذلك فإن الدور الآسيوى يحاول أن يرفض لغة التخاطب الأمريكية باعتبار أن دوره قادم وأن الآسياويين لهم القيم الحضارية التى لاتتفق مع القيم الحضارية الغربية وأنهم أصحاب حضارات قديمة وعريقة وأن الصحوة الآسيوية تهدد بإنهاء عصر السياسة الأمريكية وأن الدور الأمريكى فى طريقه إلى الأفول وأن أمريكا مشغولة بالدراسات المستقبلية وذلك منذ أن صدر كتاب البروفيسور الأمريكى (بول كنيدى) بعنوان « صعود وهبوط القوى العظمى » وكذلك فإن القرن الحادى والعشرين سوف يشهد نهاية الغرب ذلك ؛ لأن مراكز صناعة القرار السياسى فى الغرب مشغولة بأن دور الغرب فى سنوات الحرب الباردة مع الاتحاد السوفيتى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية لن يلعب أى دور يذكر وأن جانبى الأطلنطى (أوربا وأمريكا) ربما قد يحدث بينهما تصادم لاسيما أن توجه كل منهما بعيدا عن الآخر (مؤتمر بانكوك فى عاصمة تايلاند) الذى ضم خمسة وعشرين دولة منها عشر دول آسيوية وخمسة عشر أوربية ، أوربا تبحث عن مصالحها . إن أمريكا لامحالة لم ولن تعد فى القرن القادم الدولة التى تملك وحدها القدرة على صنع القرار وإدارة الأزمات الدولية مثلما كان الحال فى الحرب الباردة الأولى ، لكن القوة الآسيوية سوف تلعب هذا الدور .

وهنا يأتى الدور على العالم العربى لاستغلال العلاقة الوطيدة مع هذه الدول الآسيوية استفادة من أخطاء الماضى فى التعامل بقوة مع الاتحاد السوفيتى إنه عندما يفقد الغرب (أوربا وأمريكا) قيادة العالم وعدم نجاح إسرائيل فى استقطاب القوى الآسيوية كلها لصفها فإن ذلك سوف يعدل التوازن فى جانب الصف العربى لاستغلال الادارة النشطة للدور العربى حيث أن مقدرات القدرة الغربية لن يكون لصالح إسرائيل لكن النشاط الإسرائيلى المكثف حاليا فى أندونسيا والصين وتعويض ما فقدته فى الماضى فى أربع سنوات (١٩٩١ - ١٩٩٦) والدور يأتى على نشاط الجانب العربى .

إن الولايات المتحدة الأمريكية سوف تتحول من دور وضع أنفها فى كل شىء فى العالم وتقرير المصير كما حدث فى (هايتى ،بناما ، كوبا ، كوريا الشمالية ، الشرق الأوسط ، الصومال ، الخليج ، البوسنة والهرسك) لتجد نفسها فى القرن القادم تدافع عن نفسها لاسيما سوف يحدث تباعد بين أوربا وأمريكا بحثاً عن صياغة الهوية الأوربية ليس من ناحية

الاطلنطى ولكن من ناحية البحر الأبيض المتوسط ، إن تقلص قدرات أمريكا العسكرية والاقتصادية فى المستقبل سوف لايجعلها قادرة على التدخُّل العسكرى الشامل فى المناطق الساخنة أو إدارة أزمات دولية كبرى بإمكانياتها المحدودة وحدها .

ولكن يأتى الدور أين نحن كعالم عربى من كل هذه الأحداث وهل نستطيع أن نوظف مايحدث لصالح القضايا العربية وفى مقدمتها الوطن السليب فلسطين . ذلك لأن فقدان القدرة لدى الولايات المتحدة الأمريكية لقيادتها للمسيرة العالمية منفردة وانتقال الأمر إلى القوى الآسيوية ، فإن ذلك لابد أن يستدعى من العالم العربى تحركا واسعا فى اتجاه هذه الدول ومحاولة توثيق عرى الصداقة والمعاملات المتصلة المتواصلة فى شتى المجالات وتكثيف أسس التعاون مع هذه المناطق واستغلال نقط الخلاف لصالح القضايا العربية لاسيما أن دولة كاليابان مثلا التى تعرضت خلال الحرب العالمية الثانية للقنابل النووية الأمريكية باعتبار أن الولايات المتحدة أول دولة تستعمل القنابل النووية فى العالم . وقد ترك ذلك شرخًا عميقًا فى النفسية اليابانية لازالت تحس به الأجيال المعاصرة وتكن بغضًا وكرهًا شديدين للأمريكان بغض النظر عن التحرك الحكومى فى اتجاه لمحاولة إيجاد سبل التعاون وتحالف بين الدولتين ولكن ذلك لن يكون إلا مرحليًا .

إن الشعب اليابانى يدرك مدى الكراهية للولايات المتحدة ومن هنا يكون مقطع هيروشيما ، ونجازاكى فى أسماء أبناء الشعب وعدم العمل على تأجير القواعد العسكرية اليابانية فى أوكيناوا والقيام بالثورة ومحاولة اقتحام القواعد الأمريكية فى أوكيناوا وحاكم المدينة يتحدى قرار الحكومة بتجديد عقود الإيجار وحاول المتظاهرون اليابانيون اقتحام أسوار القواعد الأمريكية فى جزيرة أوكيناوا كما شهدت طوكيوا العاصمة عدة مظاهرات تطالب بإنهاء الوجود العسكرى الأمريكى فى جزيرة أوكيناوا شارك فيها خمسون ألف يابانى . وتأتى المواجهة المتزايدة فى الذكرى رقم ٥١ لاحتلال القوات الأمريكية لجزيرة أوكيناوا خلال الحرب العالمية الثانية ، إن الشعور اليابانى القومى سوف يشكل فى المستقبل حجر عثره أمام نهج الحكومة اليابانية أى تقارب مع الولايات المتحدة الأمريكية ولابد أن يكون تقارب مع الصين وهذا ما تخشاه أشد خشية الولايات المتحدة .

أما التقـارب الصينى اليابـانى سوف يعجل بإنهاء دور الولايـات المتحدة والأيـام سوف تبشر بذلك ؛ لأن الشرق هو الشرق ولـن ينسى الشعب اليابانى ضرب بلاده بـالسلاح النووى ولابد أن يستعيد مجده العسكرى والاقتصادى الذى ينهى وجود أمريكا كقوة أولى .

إن احتلال الحلفاء لليابان أثناء الحرب العالميـة هو الذى دفع اليابان للتحرك الاقتصادى السريع وتحقيق طفـرة اقتصادية قـوية ويصل هـذا النشاط إلى الـدول الآسيويـة المجاورة التى أطلق عليهـا أخيرًا دول النمور ومن هنـا ، فإنه تـوجد فجـوة هائلـة فى العلاقـات بين اليابـان والولايات المتحدة وسوف تتسع هذه الفجوة مع القرن الحادى والعشرين عندما تفقد الولايات المتحدة قدرتها على إدارة دفة الأمور فى العالم .

ومن هنـا فإن الخلاف بين اليـابـان وأمـريكـا مع دخـول القـرن الحادى والعشرين يعنى الطلاق الـذى لارجعة فيه بين الطـرفين ومن هنا فإن ذلك الطلاق سـوف ينعكس على الوضع السارى فى الشرق العـربى أو الشرق الإسلامى سلبًا أو إيجابًـا بقدر مايتحـرك العرب فى الاتجاه الصحيح استغلالاً للمواقف المتناقضة بين أمريكا ودول جنوب شرق آسيا مع سد الطريق على إسرائيل التى تتحـرك بسرعـة تجاه هـذه الأقطار ولاسيما أن إسرائيـل ترسم سيـاسـة نشيطـة فى علاقاتها مع اليابان والصين وأندونيسيا وكوريا الجنوبية وغيرها من دول النمور .

ومن هنـا فإن نشـاط التحـرُّك العربى على المدى القصير والبعيـد سـوف يجعل كل هـذه الطاقات مـع هذه الدول الآسيوية فى صـالح قضية تصفية إسرائيل سلمًا أو حـربا والقدرة على استغلال الظروف المتاحة مثلما كان فى فترة ١٩٦٠م بين مصر وهذه الأقطار .

كما أنـه لن يمـر نصف قـرن وعلى أقصى تقـدير قـرن كـامل حتى تكـون بـوادر تفكك المجتمع الأمركى قـد بدأت تؤتى أثـرها المباشر فى تسليم الـولايات المتحدة القيادة الانفـرادية للعالم أو وجـود شريك قد يستطيع أن يكـون له رأى قوى فى قيـادة المسير العالميـة ذلك ؛ لأنه يعيش فى الولايات المتحدة الأمريكية حاليـا ٢٠٥٠ أقلية جنسية من سلالات وأعراق وأصول مختلفة منها الأفارقـة السود الزنوج والآسيويون من جنـوب شرق آسيا والشرق الأوسط (العرب والأتـراك واليهود) والأسبـان ودول البحـر الكاريبى وأمـريكـا الجنـوبية والـوسطى والأرمن ، والـروس واليـابـانيـون ، والكـوريـون والصينيـون وأصحـاب الأصل الأوروبى الـلاتينى والأنجلوسكونى (٤٠ مليون من أصول أيرلنـدية) بالإضافة إلى المواطنين الأمريكيين أصحاب

البلد الأصليين (الهنود الحمر) وكذلك الذين ينتمون إلى أصل مكسيكى يعيشون الآن فى(لوس أنجيلوس) أكثر من وجودهم فى أى مدينة أخرى من العالم باستثناء مدينة (مكسيكو سيتى) ومن هنا فإن هذه الأقليات العرقية فى الولايات المتحدة تمثل ٥٠٪ من مجموع المجتمع الأمريكى وهذه الأقليات تهدد هذا المجتمع فى تحديد هويته الأمر الذى يؤدى مستقبلا إلى حدوث نوع من التفتت والنفاق السياسى وهذا يهدد بانهيار المجتمع الأمريكى كما حدث للمجتمع السوفيتى الذى تحلل إلى أكثر من أربعة عشر دولة وهذا الكيان السياسى المكون من إحدى وخمسين ولاية لن يدوم طويلاً .

ولقد كتب المؤلِّف الأمريكى (آرثر سلاستنجر) فى كتاب له بعنوان (تفكك أمريكا) وهو تخوف موجود لدى الأمريكيين وهذه الدراسة تتناقض مع الدعوة التى تدعو إلى انصهار هذه الأقليات (١٣٠ مليون نسمة) فى بوتقة المجتمع الأمريكى وإذابتها ليكون المجتمع الأمريكى يجمع الأمريكيين لاسيما أن أغلب الأمريكيين هم من المهاجرين الذين عانوا كثيرا بمجرد وصولهم إلى الأرض الجديدة فقد عانوا ألم العنصرية والتمزق الأسرى والغربة ، ذلك لأن هذه الأقليات تبحث عن الهوية والجذور ومن هنا سيكون التفسخ وانهيار المجتمع الأمريكى كما انهار المجتمع والاتحاد السوفيتى شيئًا متوقعًا بل محسوبًا كذلك فإن عملية هضم هذه الأقليات فى الولايات المتحدة تكاد تتوقف لاعتبارات أكثر تتعلق بمشكلة التمييز العنصرى وموجات الهجرة الجديدة المشروعة وغير المشروعة مع تباطؤ فى التنمية وزيادة فى المطالب وهذه المشكلة لاتظهر للكثيرين بجلاء وهو أن جزءًا كبيرًا من هوية المجتمع الأمريكى كانت راجعة إلى قدرة هذا المجتمع على استيعاب وهضم عناصر بشرية من أصول مختلفة وكانت هذه العملية المجددة للشباب والمنشطة تجعل من الولايات المتحدة وعاء صهر ومزج من طراز فريد ولكن للأسف انتهت هذه العملية وظهر التناقض بين الأقليات .

وكذلك فإن المشاهد لحركة السياسة الأمريكية الحالية يدرك أن الولايات المتحدة الأمريكية تبدو مرتبكة مقيدة فى مساحة حركتها ، عصبية فى تصرفاتها ، كأنها غير واثقة من الأرضية التى تقف عليها مما زاد فى تخبط القرار السياسى الأمريكى بعد أن فقد بؤرة التركيز التى أعطته هدفًا محدودًا بعد انهيار الاتحاد السوفيتى ذلك ؛ لأن اختفاء العدو الشيوعى أحدث خللا فى التوازن العالمى ، كذلك فإن الولايات المتحدة مستنزفة فى مسئوليات الفترة التى قادت

فيهــا النظــام العــالمى الســابــق فقــد كــانت الطــرف الأكبر فى حــربين عــالميتين الأولى (١٩١٤-١٩١٩م) والثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) ثم أنها كانت الـوحيد الذى وقع عليه العبء الأكبر فى الحرب الباردة مما كلفها الكثير وأيضًا فإن الولايات المتحدة هى الآن أكبر دولة مدينة فى العالم فحجم دينها الداخلى والخارجى يتصاعد بسرعة خارقة من ٨٥٠ مليون دولار فى أوائل الثمانينات من هذا القـرن ١٩٨٠ إلى ٤ تريليون فى ١٩٩٢م وأن فوائد الديون سـوف تزيد عن حجم الناتج الإجمالى للولايات المتحدة .

كـذلك فإنه بسبب الحروب الساخنة والبـاردة فإن الإنتـاج العسكرى الأمـريكى أصبح يمثل مساحة تـزيد عما هو ضرورى للبلاد وزيـادة عن الإنتاج العسكرى على مساحـة خريطة الإنتاج الأمـريكى الأخرى مما أثـر على البنية التحتية أو عمليات الإحـلال والتجديد ممـا ترتب عليـه مشاكل اقتصـادية واجتمــاعية يعانى منهـا الشعب الأمريكى ومنهـا مجـال الخدمـات الصحية والتعليم والضمان الاجتمـاعى والسياسى ، وقد أدى إنهاء الحروب إلى وجود هذا الكم الهائل من الســلاح الذى بدأت تريد به أمـريكا افتعال العديد من الحروب الإقليمية فى قارات العالم المختلفـة ومن هنا فقـد أصبح هـذا الســلاح عبئـا على الأسواق الخارجيــة فى مناخ دولى جـديد كمــا أن المستثمـرين التقليديين تعـد ثـرواتهم إثر الحروب (حـرب الخليج الأولى بين العراق وإيران ثمانية أعوام ، وحرب الخليج الثانية واحتلال العراق للكويت واستنزاف قدرات دول الخليج الماليـة) ومن ثم فلم يعـد فى أيـدى العـرب الكثير من الأمـوال يـدفعـونها لشراء السلاح الأمريكى .

ولقد أدت الأوضاع الاقتصــادية والاجتماعية فى الولايات المتحـدى إلى انخفاض مستوى دخل الفرد فى السنـوات العشرة الأخيرة من ٢٨ ألف دولار سنويًـا إلى ٢١ألف دولار والمواطن اليابانى مابين ٤٠ ألف دولار إلى ٥٠ألف دولار سنويًا .

ومن هنا فإن هذه العوامل والأسباب التى عرضنا لبعض منها وليس جميعها فإن الولايات المتحـدة وهى تعبر إلى القرن الحادى والعشرين تـدخل هذا القـرن وهى غير واثقة من قـدراتها على إدارة دفة الأمور فى العـالم ، لاسيما أن روسيا الاتحادية تحاول أن تلملم نفسها وتكـون عاملا ضاغطا فى بـدايات القرن الحادى والعشرين ، كذلك اليابـان معجزة النصف الأخير من القرن العشرين تدخل القرن الحادى والعشرين برؤية يابـانية بأن يكون هذا القرن قرن آسيا إن لم يكن

قرن اليـابان ، يضـاف إلى ذلك قوة الصين الصـاعدة القـوية المدركـة لحركة التاريـخ والتقدم والحلم بأن تكون قوة كبرى أولى وليس ثـانية أو ثالثة لاسيما أن حجم النـاتج السنوى قد يصل إلى ١٢٪ واليـابـان ١٣٪ إلى الحد الـذى يسـاوى إن لم يكن يـزيـد عن حجم النـاتج القـومى الأمـريكى ، كـذا هنـاك قـوى أخـرى فى آسيـا (دول الأسبـان السبع ومن ثم العشر النمـور) وكذلك الهند ولهذه الأسباب فإن الولايات المتحـدة تحاول ، أن تعوق إمكانية أى لقاء أو تعاون استراتيجى بين الصين واليابان وتعمل على بذر بذور الشقاق وعدم التقارب وهذه بالفعل هى الاستراتيجية الأمريكية فى الشرق العربى ، (نجاح مؤتمر القمة الحادى والعشرين الذى عقد فى القاهرة فى الفترة مابين ٢١ - ٢٣ يونيو ١٩٩٦م) وضم وفود إحدى وعشرين دولة وما تمخض عنه من قرارات قوية بإذن الله ستكون فاعلة وفعالة بل مؤثرة إلى المدى البعيد .

كل هذا سـوف يعجل بإزالة إسرائيل مهمـا كانت الضـغوط العنيفـة والقوية والقـاسية التى تمارسها الـولايات المتحـدة الأمريكيـة على الدول العـربية لكى تقبل بسلام أمـر واقع مع إسرائيل تظن أنه يكفل أمن الشرق الأوسط ويـؤكد سيطرة أمريكية على العـالم العربى بجميع موارده وإمكـاناتـه وطاقـاته ومن هنا فـإننا سوف نشـاهد إن طـال العمر كيف أن الـولايات المتحـدة الأمريكية وهى نفس القـوة التى ســادت القرن العشـرين ووصلت فى العقد الأخـير (١٩٩٠ - ٢٠٠٠) إلى أعـلى القمم وقيـادة دفة العـالم الجديـد لن تكـون هـكذا فى القـرن الحـادى والعشرين .

ونقـول : إنه إذا كـان يوم ٩ نوفمـبر ١٩٨٩م يوم سـقوط حـائط برلين غير الشرعى الذى كان يفصل ألمانيـا الشرقية عن الغـربية سـوف يـدخل التاريخ باعتبـاره اليـوم الذى بـدأ فيه تدفق واندفاع هـدير الطوفان الناشىء عن ذوبان جليد الحرب الباردة وقـد جرف هذا الطوفان أمـامه حطـامًـا وركامًـا كثيرًا من الماضى (١٩٤٥ - ١٩٨٩م) ، كـذلك فإن الفاصـل الـذى يفصل بين القدس الشرقية العـربية الإسلامية والقدس الغربيـة التى سلبتها إسرائيل من أهلها الشرعيين سوف يسقط هـذا الجدار بزوال إسرائيل سـواء اعترف بنيامين نتانيـاهو رئيس وزراء إسرائيل الجديـد (١٩٩٦ - ٢٠٠٠م) بحق الفلسطينيين فى إقـامـة دولتهم الفلسطينيـة وعـاصمتهم القـدس أم لم يعـترف فإن حـركة التـاريخ لن تدور عكـس طبيعة الأحـداث ومجريات الأيام .

ولقـد أعلن العقيد معمـر القذافى رئيس الجمهـورية العـربية الليبيـة فى المؤتمر الصحفى الذى عقـده عقب انتهاء مؤتمر القمة الحادى والعشريـن الذى عقد فى القاهـرة فى الفترة مابين ٥-٧ صفر ١٤١٧هـ الموافق ٢١-٢٣ يونيـو ١٩٩٦م فى نهاية المؤتمر حيث أعلـن قائلا : إن كوبـا قد اعتمـدت فى كل شىء على الاتحاد السوفيتى سنـوات طويلـة ومن ثم بعد ذلـك فقد أصبحت كـوبـا فى العـراء بعـد تفكك الاتحاد السـوفيتى ، ثـم لن يـدوم طـويـلا حتى تختفى الولايـات المتحدة ويصبح الإسرائيليون فى العراء أيضـا وأكد الزعيم معمر القـذافى أن جنوب أفـريقيـا وحل مشكلتهـا هى الحل الأمثـل للمشكلـة الفلسطينيـة بمعنى ضرورة تطبيق نظـام تعـايش سلمى بين العـرب واليهـود فى ظل الـدولة الفلسطينيـة العلمانيـة التى تجمع العـرب مسلمين ومسيحيين ويهود فى دولة فلسطين وليس إسرائيل .

كذلك فإن مشكـلات التفسخ الأسرى والفرديـة المطلقة ونقص التمـاسك الاجتمـاعى هى ظـواهر منتشــرة فى كل الولايـات المتحــدة الأمريكيـة وأوروبا . لكن تعـرض الولايـات المتحدة للأخطـار يكـون أكثر إزاء المشـكلة العنصـرية ذلك ؛ لأن أمريكا منـذ نقلت الأفارقة داخـل سفن العبيد فإنها كانت قـد بدأت دون أن تعى ذلك ومن هنا فإن ذلك يجعل العنصرية من أصعب المشكـلات لأمريكا نفسهـا ، وكذلك فإن الـولايات المتحـدة سوف تنهـار وحدة ولاياتها الإحدى والخمسـين كمـا انهار الاتحاد السوفيتى بدوله الأربعة عشرة على يد الصهيونى العريق (الكسندر باكو فليف) الذى كان أقـوى القادة وهو أستاذ جورباتشوف ويلتسين فهو قائد تفكك الاتحاد السوفيتى والداعى لحل الحزب الشيوعى عام ١٩٩١م كما قال هو فى سيرته الذاتية ومن هنا فانهيار الولايات المتحدة أمر ليس ببعيد .

* * *



أضع هذا الفصل فى هذه الدراسة أمام الرؤساء العرب وصانعى القرار فى العالم العربى ونحن على أبواب قرن جديد هو القر ن الحادى والعشرين إذ أن ذلك القرن يقتضى من القادة العرب أن يمارسوا جهدًا مضاعفًا ومتطورًا فى تعاملهم فيما بينهم وبين شعوبهم ومع القوى العالمية وذلك لبناء جسور جديدة منطلقين من إدراك الوضع الشاذ فى العالم العربى بقيام الكيان الإسرائيلى على حساب الحق العربى الفلسطينى ؛ وذلك لأن إسرائيل قامت فى المنطقة العربية لكى تبقى لا لكى تُزال لمجرد حرب أو عدة حروب ولكن إسرائيل تبقى لمرحلة قد تطول أو تقصر لكنها فى النهاية لا محالة زائلة من الوجود مهما طال بها الزمن فهى لن تبقى قرنًا من الزمن بعد أن مضى عليها نصف قرن (١٩٤٨ - ١٩٩٦م) بل لن تدوم قرنين ، أو ثلاثة قرون وبأقصى حد خمسة قرون ثم تزول نهائيًا بل أبديًا ولكن يكن فى الاعتبار أن الذين أعطوا إسرائيل وعد بلفور عام ١٩١٧م هم الذين سهلوا لها باب الهجرة إلى فلسطين وأعلنوا انسحابهم من فلسطين فى ١٥ مايو ١٩٤٧م وسلموا فلسطين لها وأعلنت قيام إسرائيل فى ١٥ مايو ١٩٤٨م فالإنجليز أعطوا الوعد وسهلوا الهجرة وأقاموا الدولة وفرنسا أمدت إسرائيل بالمفاعل الذرى فى صحراء النقب فى ديمونة والذى أنتج ٢٠٠ أو ٣٠٠ رأس نووى وفرنسا ،

وبريطـانيا والولايات المتحـدة الأمريكية هم الـذين أمدوا إسرائيل بكل أنواع السـلاح والمـال والغذاء ومن هنـا يجب أن يكون معلومًـا أن إسرائيل باقية بقاء قـوة وكيان هذه الـدول (الغرب وأمريكـا) أقول ذلك ليس من بـاب التسليم بالأمـر الواقع أو الاعتراف بـالقوة ولكن تقـديرًا للمسئولية فإن إسرائيل هى الولاية رقم ٥١ فى مجموع الولايات المتحدة الأمريكية ولن يتم إزالة إسرائيل وإعادة الحق العـربى لأصحابه الشرعيين إلا من خـلال إعادة التوازن العـالمى وظهور قوة عـالمية آسيويـة قادرة على كبح جماح الولايـات المتحدة الأمريكيـة ومن يسير فى ركابها من دول الغرب الأوروبى ، ومن هنا فـلا بد أن نقول : إن الرئيس السادات عندمـا أعلن إثر حرب ١٠ رمضان ١٣٩٣هـ / ٦ أكتوبـر ١٩٧٣م أنه ليس بقادر على الـدخول فى قتـال مباشر مع أمريكا لا سيما بعد تصويـر الطائرات الأمريكية لمنطقة الثغرة فى الدفرسـوار مما ساعد إسرائيل على الهجوم على الضفـة الشرقية للقناة مسـاء ١٤ أكتوبـر ١٩٧٣م ومن هنا فالسـادات لا يلام على قيامه بحـركة السلام ؛ لأن السلام هنـا سلام حكومات وليس سـلام شعوب والحاكم ربما يرى مـا لا يراه الشعب من رؤيـة سياسيـة قد تحقق مصـالح مرحليـة تساعـد على تحقيق ما لم يتحقق بـالحرب ومن هنا فـإن الرئيس السـادات عنـدما ذهب إلى القـدس من أجل صـالح السلام فإن ذلك لم يكن إلا تكتيكًا مرحليًا ؛ لأن مـا لم يستطع العرب الحصول عليه بالحرب فلا بد أن يكـون الحصول عليه بـالسلم والسلام ومن هنـا فإن رحلة الرئيس السـادات إلى القدس التى قال عنها الرئيس كارتر : إنها تمثل هبوط أول إنسان أمريكى على سطح القمر . فقد ذهب إلى القـدس وصلى فى المسجـد الأقصى صـلاة العيـد ، قـال لليهـود فى عقـر دارهم داخل الكنيسيت الإسرائيلى (البرلمان) وكـــان معظم أعضـــاؤه مـن الصقـــور المتشـــددين ومنهم جولـدمائير رئيسة وزراء إسرائيل السـابقة ومنـاحم بيجين رئيس الوزراء الذى عقـد السادات معه اتفاقيـة السلام فى ٢٦ مارس ١٩٧٩م . وإسحق شامير رئيس الـوزراء السابق وكان زعيم حزب الليكـود ، وموسى ديان وزيـر الدفاع فى حـرب السادس من أكتوبـر ١٩٧٣م وحرب ٥ يونيو ١٩٦٧م وكـذلك عيزرا وايزمان رئيس دولة إسرائيل الحالى . وأريل شـارون قائد الثغرة فى الدفرسوار والعبور إلى شرق القناة فى حرب ١٩٧٣ وغيرهـم الكثير من زعماء إسرائيل قال لهم فى قوة وتحد وبكل صراحة « إن عليكم أن تستوعبوا جيدًا درس المواجهة بيننا وبينكم فلن يجديكم التوسع شيئًـا ، لأن أرضنا لا تقبل المساومة .. إن التراب الـوطنى والقومى يعتبر لدينا فى منـزلة الوادى المقـدس طوى الـذى كلم فيه الله موسى عليـه السلام ولا يملك أى منـا أن يتنازل عن

شبر واحد منه ، إن الانسحاب الكامل من الأراضى العربية المحتلة بعد ١٩٦٧م أمر بديهى لا يقبل الجدال ولا رجاء فيه . ولن يستقيم أو يبنى سلام مع احتلال أرض الغير » .

ومن هنا فلا بد أن يكون دائمًا لدى الرأى العام العربى والقادة العرب ورجال صنع القرار أن ما ينطبق على مصر ينطبق على عرب فلسطين فإنه لن يستقيم سلام مع احتلال أرض الغير وهل فلسطين ليست إلا أرض الغير، إن حيفا ويافا وعكا وأشدود وعسقلان وأم الرشراش واللد والرملة وغيرها من المدن وكذلك صحراء النقب وغيرها من الأماكن ما هى إلا أرض عربية فلسطينية محتلة يقتضى الأمر من الجانب العربى الفلسطينى تحريرها بأية وسيلة أو طريقة وأن دولة فلسطين من النهر إلى البحر أى من نهر الأردن إلى البحر الأبيض المتوسط ومن هنا فإن السلام لن يكون إلا مرحلة وقتية يعبر بها العرب الممر الضيق فى ظل الظروف الدولية السائدة إلى حيث يمكن فى فترات زمنية قادمة تحقيق ما كان يسعى إليه العرب سلمًا وليس حربًا .

إن المعاهدات و المواثيق والاتفاقيات والتبادل الدبلوماسى والعلاقات الاقتصادية والثقافية ليست نصوصًا مقدسة لا تمس ولا تتغير ، بل إن الأيام كفيلة بتغيير كل شىء ومن هنا فإن دول سوريا ولبنان وغيرهما من الدول العربية فى اتفاقيات سلام مرحلى مع إسرائيل لن يكون إلا فى ظل حالة العجز والتردى العربى التى يعيشها العالم العربى هذه الأيام وأنه لا طريق أمام العرب إلا إجادة فن الحوار والسلام وإن لم يكن بين كل الأطراف العربية ؛ لأنه كما تدرك إسرائيل فإن بعض الدول العربية لن توقع سلامًا مع إسرائيل مهما كانت الضغوط الأمريكية أو الغربية .

وهكذا فإن العالم العربى يجب أن يدرك أن ما يجرى على الساحة حاليًا ليس إلا مرحلة لا سيما أن إسرائيل تدرك أن العرب لن يسلموا بوجودها أبد الدهر ومن ذلك قول مناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل الأسبق فى حديث جرى داخل إحدى القاعات المغلقة فى القدس (إننى أريد سلامًا ولكن أريده سلامًا حقيقيًا !!) هكذا يدرك رئيس وزراء إسرائيل الذى وقع السادات معه اتفاقية كامب ديفيد أن السلام لن يكون حقيقيًا ؛ لأنهم يدركون أنهم مغتصبون للديار والأراضى وقال بيجين : إن إنهاء حالة الحرب بمعنى دقيق ينهى العمليات العسكرية ليس سلامًا ؛ لأن القتال يمكن أن يندلع فى أى وقت ، وقال إننا عندما وقعنا الهدنة

عام ١٩٤٩م مع العرب كنا نتصور أنها بمثابة إنهاء حالة حرب وأنها تمهيد للسلام ولكن ذلك لم يحدث ، وهكذا فإنه بعد ثلاثين عامًا ١٩٧٩م لم يحدث إلا توقيع اتفاق مع مصر (كامب ديفيد) وفى عام ١٩٩٣م أى بعد ما يقرب من ربع قرن تم توقيع الصلح مع الفلسطينيين والأردن ولكن رغم مضى ما يقرب من خمسين عامًا لا زال السلام بعيدًا عن سوريا ولبنان وبقية الدول العربية ولكن السلام الشامل لن يتحقق فى الشرق العربى فى أى حال من الأحوال حتى مع نهاية القرن العشرين ؛ لأن الطبيعة العربية تدرك أن الحق لا يضيع لا سيما أن الجانب الفلسطينى (حماس والجهاد) ترى أنه لا سلام مع إسرائيل إلا بقيام دولة عربية فلسطينية ديمقراطية تضم العرب المسلمين والمسيحيين واليهود فى نطاق هذه الدولة اليهودية الإسرائيلية ما هى إلا دولة عنصرية دينية وأن النهج الديمقراطى العالمى لا يتيح قيام دولة مغتصبة للحق العربى وتقوم على أساس دينى .

هذا ما يجب أن يدركه العرب فى المرحلة القادمة فى ظل المتغيرات الدولية التى سوف تتغير فيها الأطر والأساليب والنظم الحاكمة فى العالم ، إن حركة التاريخ سوف تشهد فى العالم العربى تغيرات بالغة الأهمية ؛ لأن الزمن كفيل بتصحيح الأخطاء التى وقع فيها بعض الحكام عندما لم يدركوا مغزى الحركة التاريخية لصالح الحقوق المشروعة ولصالح الشعوب العربية ونقول : إن العالم العربى الذى يشكل سكانه (مائتين وسبعون مليون نسمة) يقف خلفه عالمًا إسلاميًا يمثل(مليار ومائتين وخمسين مليون نسمة) سوف يدركون فى المرحلة المستقبلية أن عليهم أن يتحركوا فى إطار الكيان العربى الواحد وليس عدة كيانات تزيد عن اثنين وعشرين كيانًا عربيًا ، وأكثر من ثلاثة وخمسين كيانًا إسلاميًا ، لأن المتغيرات سوف تكون سريعة وحاسمة تقتضى أن يكون العرب قادرين على تحمل مسئولياتهم التاريخية قبل عودة فلسطين إلى أصحابها ؛ لأنهم سوف يكونوا الرأس المتحرك فى خوض غمار التحرك السلمى أو العسكرى من أجل عودة بقايا الأرض المحتلة قبل عام ١٩٦٧م .

وعلى هذا فإن العرب فى المرحلة القادمة مطالبون أولاً بالنظر إلى جامعة الدول العربية ؛ لأن الميثاق الذى وضع عام ١٩٤٥م لم يعد يلبى مطالب العرب الحقيقية مع نهاية القرن العشرين والدلوف بسرعة إلى القرن الحادى والعشرين أمام الهدف الأكبر وهو إصلاح أخطاء الماضى التى مكنت إسرائيل من أن تحقق لها كيان غير مشروع على أرض فلسطين ومن هنا

فلا بد أن يكون اسم (الجامعة العربية) بدلاًمن (جامعة الدول العربية) ؛ لأن الاسم الأول لا يحدد اسم الدول ومن ثم فإن قبول الاتحاد بين الدول يكون شيئًا مشروعًا حيث أن الميثاق الحالى ينص على المحافظة على الكيان الدولى لدول الجامعة واحترامها وعدم المساس بها وهذا البند يحول دون الوحدة كذلك فلا بد من تدعيم أواصر التعاون الاقتصادى فى شكل إظهار السوق العربية المشتركة مثلاً لوقف نشاط ما يطلق عليه اسم الشرق أوسطية الذى تريد أن تكون منه إسرائيل عضوًا فعلا بل فاعلاً . ما به كذلك تدعيم التعاون القومى الاقتصادى والمالى والعمل على حذو ما قامت به السوق الأوربية المشتركة التى ظهرت إلى حيز التنفيذ فى أشكال سياسية واقتصادية ومالية وعلمية وفنية وثقافية مختلفة لا يتسع المجال هنا للحديث عنها بالتفصيل ولكن يكفى للدلالة على تحرك العالم الأوربى ، وتوقف العالم العربى . أوربا وإصدار عملة نقدية واحدة وكذلك برلمان أوربى منذ عدة سنوات ، قارن بين العالم العربى الذى يواجهه تحديات بالغة الخطورة فى المرحلة القادمة .

لقد سبق أن كتبت مقالاً منذ عام ١٩٨٩ - ١٩٩٦م (سبع سنوات) فى مجلة البلاغ الكويتية بعنوان (هل يتوحد العالم العربى قبل نهاية القرن العشرين) قلت فيه بالحرف الواحد : « إنه إذا انتهى القرن العشرين وها هو يعلن الرحيل قريبًا جدًا دون أن تظهر فى العالم العربى أربعة كيانات كبرى كمقدمة للوحدة العربية فإن العرب لن يكون لهم كيان أو وجود فعلى فى ظل السرعة الهائلة فى المعلومات ووسائل الاتصال ووسائل العلم الحديثة المتطورة يومًا بعد يوم » . ولقد ناديت بأن تكون هذه الهياكل الوحدوية فى شكل وحدة تضم مصر وليبيا والسودان يضاف إليهم الصومال وجيبوتى .

ووحدة تضم تونس والجزائر والمغرب وموريتانيا ، ووحدة تضم العراق وسوريا وفلسطين ولبنان والأردن ، ووحدة تضم الجزيرة العربيةالسعودية واليمن وعمان وقطر والإمارات والبحرين والكويت . هذا هو الشكل الطبيعى الذى يجب أن تقوم عليه وحدة مرحلية تمهيدًا لوحدة أشمل ، وذلك لأن الاتحادات الثلاثة العربية التى ظهرت على سطح الأحداث السياسية منذ بضعة سنوات لم تحدد الهدف المنشود وهى الاتحاد العربى الذى كان يضم قبل إعلان حله كل من (مصر والعراق والأردن واليمن) واتحاد مجلس التعاون الخليجى الذى يضم دول الخليج الست (السعودية ، الكويت ، الإمارات ، البحرين ، قطر ، عمان) كذلك مجلس

التعاون المغـاربى الذى يضم (ليبيا ، تونـس ، الجزائر ، المغرب ، موريتانيـا) . أى أن كل هذه الاتحادات لم تعـد كافيـة لكى تلبى مطالب الشعـوب العـربية بل إنها ولـدت ميتة ولم يعـد لها مفعـول إن الولايـات المتحدة الأمـريكية ودول الغـرب يهمهـا بالـدرجة الأولى أن يبقى العـالم العربى بوضعه الحالى ضعيفًا ممزقًا متخاصمًا متحـاربًا متنافرًا بل متناحرًا ؛ لأنها تقف حاليًا دون محاولة المصالحة العربية وتعارض أى تقارب عـربى مثلما حدث عام ١٩٩٤ عندما عقد اجتماع ضم الرئيس محمـد حسنى مبارك والرئيس السورى حافظ الأسـد والملك فهد بن عبد العـزيز وصل إلى حد احتجاج إسرائيل على هذا الاجتماع وذلك فى مدينة الإسكندرية .

إن العالم العربى لابـد أن يمتلك إرادته بنفسه ويستطيع أن يوجه سيـاسته بنفسه ، فليس ما يحدث على الساحـة العربية حاليًا إلا مـرارة فى حلق الشعوب العربية فـالحصار الاقتصادى حول العراق منذ خمس سنوات ؛ وكذلك ليبيا والتمـزق السياسى فى الصومال وحالة التردى فى العلاقـات الأخوية العـربية لا تبشر بـالخير لا سيما أن إسرائيل والولايات المتحـدة يسعيان إلى زيادة اشتعـال النار بين الأقطـار العربيـة فى محاولة لكى تثبت أمريكـا أقدامهـا بقوة وفـاعلية وإسرائيل تحقق طوحاتها دون أدنى معارضة .

إن تكثيف الوجـود العسكرى فى دول الخليج وعقـد اتفاقيـات عسكرية مـع بعض دوله (الكويت ، قطر ، الإمارات) لا تخدم التقارب العربى على المدى القريب وذلك بحجة أخطار عراقية تهـدد هـذه الكيانات وكذلك أخطـار إيـرانية عسـكرية بعد قيام إيران بـاحتلال جزر أبو مـوسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى التـابعة لـلإمارات العـربية وكذلك خلـق متاعب تـواجه قطـر فى صراعها مع البحـرين من أجل الجزر الصغيرة (أم الـذيل) التى تطالـب قطـر بأحقيتهـا فى هذه الجزر ، وكـذلك فتح باب جـديـد أمام اليمن الـذى لم يفرغ من صراعـه مع السعـودية على مشكلـة الحدود (جيزان ونجـران) وكذلـك توحيـد اليمن الجنوبيـة حتى يتم الإيعاز إلى إريتريـا الدولـة الصغيرة التى حصلت على استقلالها عـام ١٩٩٢م لتقوم بـاحتلال جزيرة حنيش الكبرى فى مدخل البحر الأحمر فى مضيق باب المندب .

إن المشاكل العربية كبيرة جدًا جدًا ولا يتسع المجـال للحديث عنها هنا بالتفصيل وكلها تهدف إلى إلهاء العـالم العـربى عن التقـارب فيما بينه وخلق المشـاكل التى لم تكن مـوجـودة فى السابق (حلايب وشـلاتين وأبو رماد) ونزاع السـودان مع مصر بشأن هذه الأراضى المصرية ،

خلق متاعب لليبيا فى إقليم أوزو الذى تم تسليمه إلى تشاد ، الصراع الصحراوى بين جبهة الصحراء والمغرب . وغيرها مثل مشكلة جنوب السودان التى تدور رحى حربها منذ أكثر من خمسة عشر عامًا . كل هذه المشاكل لابد من وجود حلول فورية لها .

إن العرب مطالبون وهم يستقبلون القرن القادم والتحدى الإسرائيلى الذى يتّخذ السلام مرحليًا لتحقيق أهدافه الكبرى فى السيطرة الاقتصادية لاسيا بعد تراجع صراع الأيدلوجيا كعامل محرك للسياسة لتصعيد مكانتها وعامل الاقتصاد فى عصر أصبح فيه التفوق الاقتصادى هو مقياس القوة والمكانة قبل التفوق العسكرى (العالم العربى حاليًا مثقل بالديون) بعد أن كان يمتلك أكبر ثروة فى تاريخ البشرية (٤٠ تريليون دولار) ومن هنا فلا يمكن أن يكون للعالم العربى وجود على الساحة العالمية إلا من خلال قوة سياسية واحدة تدعمها قوة اقتصادية ذلك ؛ لأن الفترة الزمنية القادمة (ربع قرن) من تاريخ العالم سوف تكون فترة بناء عالم جديد مختلف عن القرن العشرين لأنه سوف تظهر فيه ملامح لاتكون إلا لمن يمتلك المقومات التى تسمح له بأن يكون له مكان فى هذا العالم الجديد (العرب ٢٧٠ مليون نسمة بها يملكون ثروة نفطية احتياطية ضخمة) قوة بشرية وقدرات عالمية وتكنولوجية لو أتيح لها التكامل لأصبح ذلك يشكل كيانًا قادرًا على إثبات ذاته وتحقيق أهدافه فى ظل القوة العربية ، وليس فى ظل المظلة الخارجية سواء أكانت إسرائيلية ، أو أمريكية ، ذلك لأن من يمتلك هذه المقومات هو القادر على أن يأخذ مكانه فى هذا المجال .

لابد من تملك مفتاح الدخول فى عصر لايسمح إلا بالقوى القادر علميا واقتصاديا ؛ لأن الوجود لايكون من خلال دول منفردة (إلى متى يظل العرب اثنين وعشرين دولة) وإنما من خلال تكتلات تتكامل اقتصاديا (السوق العربية المشتركة) وتكون بينها روابط وصلات ثقافية « وحدة اللغة والدين » والجنس والسلالة ، الحضارة العربية الإسلامية) وتلتقى حول سمات مشتركة تمكنها من أن تتعاون مع بعضها البعض من أجل تحقيق الهدف الأسمى فى الوجود والمحافظة على الثوابت التاريخية فى ظل من يحاول أن يهيمن على المنطقة

لقد قال « شيمون بيريز » (رئيس الوزراء السابق) فى لقاء مع قادة كوريا الجنوبية إن إسرائيل تمتلك الأدمغة (العقول) والعرب المال والأيدى العاملة وهنا يكون تكامل السوق الشرق الأوسطية .

فهل يسمح قـادة العـرب بتحقيق حلم شيمـون بيريز ؟ إن العـالم العـربى وهـو يواجـه مصادر التهديد الاقتصـادى والعسكرى (قنابل ذرية مع إسرائيل ٢٠٠ رأس أو ٣٠٠ رأس) ومطالبة الولايات المتحدة فى ظل اتفـاقية التحالف العسكرى مع إسرائيل بالسماح لها بإمتلاك قنابل ذريـة ، ماذا على العـرب أن يفعلوا ؟! إن أمـانة الحكم ومسئولية القيـادة وحكم التاريخ وما سوف تكون عليه الأجيال القادمة يقتضى أن يكون هناك (تعاونًا فعالًا بين قادة هذه الأمة الإثنين والعشرين دولة « حرام يـاقادة » الشعوب تدرك مدى خطر إسرائيل فى المرحلـة القادمة ولابد من مـواجهة هـذا الخطر بل كسره وإبـادته لأنـه لاوجود لعـالم عربى واحـد فى ظل كيان إسرائيل قـوى إن سرائيل يجب أن تكون فى ظل كيـان عربى دولـه بلاسيـادة . شعب يعيش فى ظل دولة عربية فلسطينية من النهر إلى البحر ، إن محاولة ربط الماضى العربى والعودة إلى القيم العربية الأصيلة مع ربط الأصالة با لمعـاصرة والأخذ بكل مايمكن الأخذ به من أساليب علمية متطورة هو السبيل إلى مواجهة التحدى[1] . إن العامل الدينى الإسـلامى المتحضر البعيد عن الإرهاب والتطرف لابد أن يكون عنوان الهاوية العـربية فى ظل التحديات الإسرائيلية الأمريكية فى القرن القادم إن العـالم العربى يجب أن يعيد حسابـاته الحالية للانطلاق إلى المرحلـة القادمة ولابد أن تكـون له صياغـاته الاستراتيجية المتكـاملة ولابـد من استجماع العناصر التى تشكل الكيان العربى وأن تكون هذه الاستراتيجية تتمشى مع متطلبات العصر القادم لأن لكل عصر شعـاره أو المفهوم الأسـاسى الذى يحكم حـركته ولايستطيع أحـد أن يتحرك فى اتجاه معـاكس لحركـة التـاريخ فإن التاريـخ حلقات وفترات وإذا كـانت الفترة الحاليـة (١٩٤٨ - ١٩٧٩م) وهى أضعف فترات التاريخ العـربى فلابـد من علاج الأسباب وإيجاد وسـائل العلاج فى ظل عالم عربى واحد وليس العديد من الدول إن التسلح والتطور العسكرى والأخذ بكل الأساليب التى تمكن العالم العـربى بأن يكون متوازنًـا مع إسرائيل لابد أن يوضع فى الحسـاب لأن السلام لايعنى الاسترخاء العسكرى .

إن سياسة توازن القوى بعيدًا عن الدول الإسلامية التى تشكل خطرًا على إسرائيل سياسة خاطئة والقـول أن تكون عربية صرفة لأن العـرب هم الذين وقع عليهم عبء الحروب الخمس السـابقة (١٩٤٨ - ١٩٥٦- ١٩٦٧ - ٧٠ - ١٩٧١ « الاستنـزاف » ١٩٧٣م) أم أن العـرب

---

(١) انظر عبد الفتاح مقلـد الغنيمى ـ الحضارة الإسلامية وتحديات القـرن الحادى والعشرين ـ مكتبة مدولى ، القاهرة، ١٩٩٥.

يريدون أن يكون مصيرهم السقوط كما سقط الدب الروسى أو أن يكون سقوطها مدويًا إنهم لازالوا يشكلون كيانات تعيش فى ظل التخلُّف العلمى والأمية القراءة والكتابة و الأمية الصحيةوالكمبيوتر وأبحاث الفضاء والصواريخ والذرة وعلم الهندسة الوراثية ومراكز الاستشعار من البعد وغزو الفضاء ، والأقمار الصناعية والوصول إلى المجالات التى لابد أن تكون إسرائيل قد حققت نفس النجاحات بها ومن هنا كان شيمون بيريز (يجلس فى اجتماع مؤتمر صانعى السلام مارس ١٩٩٦ بشرم الشيخ) كأنه الأسد أو النمر المتحفز .

إن العالم العربى بجميع نظمه السياسية المختلفة سواء النظام الوراثى الملكى أو الإماراتى (الأمير) أو السلطنة أو النظام العسكرى أو الجمهورى ، لابد أن يأخذ بالتطور الديمقراطى الذى يضع مشاركة الشعوب فى إدارة دفة الحكم بما تقتضيه ضرورة ومتطلبات العصر بالشورى وأهل الرأى وليس بالقرار الفردى (العراق وحرب الكويت) ولا بد من إعطاء مساحة واسعة من الديمقراطية الحقيقية التى تسمح للهيئات التشريعية أو القضائية أن تعترض على الحاكم وتقول له بالحرف الواحد (كلا بل تولى أنت ومع السلامة) لأن العصر الجديد لابد أن يكون انتصار للديمقراطية ووزير خارجية إسرائيل (يهود يارك) يصرح بأن إسرائيل فيلًا محاطة بالأحراش وهل هذه الأحراش فى تصوره الخاطىء إلا نخبة العرب فلابد أن يسمح النظام العربى بشكل واسع للديمقراطية والمعارضة البناءة والفعالية التى تدرك مصلحة الشعوب وليس مصلحة الوصول للحكم بأن تمارس دورها (إن القرن القادم لامكان فيه للاستبداد السياسى أو التخلف العلمى أو الكيان الصغير) ؛ لأن مواجهة إسرائيل التى فشل العرب فى إنهاء وجودها عسكرياً ويريدون أن تكون نهايتها سلميًا كما سقط الاتحاد السوفيتى لابد أن يكون لذلك حساباته الدقيقة والعلمية والموضوعية التى تحقق الهدف المنشود .

إن سقوط الأنظمة الشمولية فى الاتحاد السوفيتى وشرق أوربا كان انهيار لبناء ضخم لاتحمله أعمدة إنه سقوط لمارد عملاق لاتحمله أسس قوية من الديمقراطية ومن ثم فإن النظم العربية بكافة أشكالها لابد أن تسمح بمزيد من الديمقراطية ، أقول تسمح لأن الشعوب العربية لازالت نسبة الأمية بها بشكل عام وليس قطر دون آخر تزيد عن ٦٥٪ ومن هنا فإن الديمقراطية يجب أن تكون عطاء من الحاكم بدلًا من أن تكون هبة من الشعب فى حالة الشعوب المتقدمة المتعلمة المتحضرة المتطورة .

إن شعار الديمقراطية هو الذى سـوف يدفع العرب فى طريق مواكبة العصر والقدرة على التحـدى وإضعاف الكيـان الإسرائيلى مهمـا ملك من قـوة عسكريـة واقتصـادية لكن فتح النوافذ هو الطـريق إلى السيطرة على إسرائيل وكيفية تحقيق الهدف الأكبر هو إقامـة دولة عربية فلسطينيـة على كل التراب الفلسطينى سلمًا أو حربًـا إنـه لابد أن يتـوج العرب رأسهم بشعـار الديمقـراطية (لاسيما فى دول الخليج) إن سقـوط حائط برلين وانهيـار الكتلة الشرقيـة فى أوربا والاتحاد السوفيتى كان انتصار للـديقراطية . فهل تكون الديمقراطية العـربية انتصارًا نهائيا بل ساحقًا على إسرائيل .

إن العالم العربى فى ظل التطور الديمقراطى الحقيقى وليس الشكلى لابد أن يربط خططه المستقبلية بالعصر الجديد (التحدى الإسرائيلى) ولابد أن يحكم قدراته وتطلعاته بحكـم حركة التاريخ والتطور الإنسانى وإلا فإن هـذه الأنظمة لن تكون إلا مجرد جيوب سوف تنتهى فى فترة زمنية معينـة ، إن الاتساع الديمقـراطى هو الضمان لبقـاء الأنظمة وشرعيتها وقبـول شعوبها بها مهما كانت وراثية أو جمهورية .

لست أريد أن أقول أن تقوقع هذه الأنظمـة فى مجالها الحالى وما تتصوره خاطئًا لن يمكنها من إيقاف حركة التاريخ ؛ لأن الشعوب العربية تتطور وتتعلـم وتتحضر وتشاهد بعد أن أصبح العالم قـرية واحـدة ووسائل الاتصالات لن تكـون إلا مبشرة لعصر الديمقـراطية العـربية التى لاأريد أن أخـوض بالتفصيل فى دراسة نظم الحكم العـربية الحالية ومـا هو عليه حكـامها من رؤساء وأمـراء وملوك ، لأن ذلك ليـس هو مجال للبحث ولكن غمـزة بسيطة هـو السماح بقدر أوسع فى شكل الأنظمة الحاكمة وإفساح المجال للعناصر الشابة القادرة المتعلمة أكاديميًا على تحمل المسئولية التـاريخية ؛ لأن الذين أفسحوا المجال لمنظمة التحـرير الفلسطينية لكى تجد لها رأس وقدم فى غزة والضفة الغربية وجعل إسرائيل تقبل بوجود المنظمة هـم الشباب الفلسطينى المتعلم ، أطفال الحجارة وليس قنابل شيمون بيريز الذرية .

إن العالم العـربى لابد أن يقيم حسـاباتـه على ما يخدم المصـالح الحيوية والأمـن القومى لمجميع وليس لمصر أو سوريـا أو ليبيا أو السعوديـة فقط ؛ لأن الأمن القومى اليمنى (جـزيرة حنيش الكبرى) تمسك برقبـة الأمن العربى مجتمعة ، أى الأمن القومى العـربى لابد أن يشكل ى ظل حسـابات القوة الآسيوية القادمة وليس فى ظل انفراد الولايات المتحدة أو غرب أوربا

(أوربا الموحدة) وأن الأنظمة العربية الديمقراطية العصرية الحديثة لابد أن تجيد أداء أدوارها فى مواجهة إسرائيل فى شكل استقرار عربى متعاون متوحد (إقليم عربى) وليس إقليم قطرى لأن لعبة الصراع مع إسرائيل رغم أنها لازالت تقوم أساسًا وستظل لفترة قادمة صراعًا عسكريًا وإن كانت إسرائيل تحاول أن تلبسه الثوب الاقتصادى متخفية وراء القنابل الذرية ولابد من إدراك قواعد اللعبة التى تريد إسرائيل أن تلعبها فى الشرق العربى أو الشرق الإسلامى (تركيا – إيران – باكستان – دول وسط آسيا السوفيتية سابقًا) ، إن الأنظمة الحاكمة فى العالم العربى إذا لم تأخذ بالديمقراطية على نطاق واسع فإنه سيحكم عليها فى المرحلة القادمة وفى ظل القرن القادم والنظام العالمى الجديد (آسيا القيادة) سوف يصاب بفقدان الشرعية والاستمرار والقدرة على البقاء فى ظل ثورة (المعلومات والإلكترونات والفضاء) ؛ ذلك لأن الديمقراطية قد أصبحت مرتبطة بالإستقرار وذلك لأن الحكومات العربية الديمقراطية هى بالتحديد القادرة على البقاء والاستقرار فى المنطقة العربية وأن هذا من المبادئ الأساسية الذى سوف تتحرك فيه الدول العربية الديمقراطية هى الأساس وليس الهرولة أو الإسراع فى التعامل مع إسرائيل وطلب الحماية من أمريكا و إقامة العلاقات مع إسرائيل والدعوات العلنية لرئيس وزراء إسرائيل بزيارة قطر وعمان . إن قوة السلاح الأمريكى أو الإسرائيلى لن تضمن مهما كانت بقاء الحكومات دون التحول إلى النهج الديمقراطى الحقيقى وليس الشكلى أو الصورى أو الرمزى أو غيره من الظواهر الخارجية .

إن وجود نظم غير ديمقراطية فى المنطقة العربية فى المرحلة القادمة سوف يساعد على بقاء إسرائيل فترة زمنية أطول وسوف يجعلها قادرة على التحكم فى رقاب الحاكم قبل رقاب الشعوب (لاحظ فرض الحصار على قطاع غزة بالضفة الغربية) بعد تفجيرات حماس فى تل أبيب والقدس وعسقلان ، إن العدو الإسرائيلى ذكى جدًا وماكر ومخادع وكيف استطاع فى ظل احتلال هذه المناطق (غزة والضفة) ١٩٦٧ - ١٩٩٣م أن يجعلها معتمدة عليه نهائيًا فى كل شىء (كيف كانت تعيش الضفة وغزة قبل احتلال ١٩٦٧م إن السوق الشرق أوسطية صورة معبرة للحصار الاقتصادى على فلسطين) الهيمنة الاقتصادية الإسرائيلية مستقبلاً كالهيمنة على الضفة أو غزة ، إن التصور العربى للأحداث المستقبلية يجب أن يضع فى حسابه رصد خط عام للمسار الإسرائيلى فى كل حركة مع العالم العربى منفردًا بدوله الصغيرة ولا سيما دول الخليج مصدر الثروة المالية والطاقة النفطية .

إن شيمـون بيريز رئيس وزراء إسرائيل (١٩٩٦) يـريد أن يكـون الشرق الأوسط (آسف الشرق العـربى أو الشرق الإسـلامى) ؛ لأنى أكـره لفظ الشرق الأوسط ؛ لأنـه يـربط إسرائيل بالكيـان العربى أو الإسـلامى ، كما رآه فى كتابـه (الشرق الأوسط) خريطة جغـرافية جـديدة للمنطقة يأكل فيـا شعب إسرائيل العسل والمن والسلوى (هكـذا قال بيل كلينتون فى خطـابه أثناء توقيع ياسر عرفات وإسحـاق رابين هذه الكلمات فى واشنطن) وأن تكون كل الإمكانيات العربيـة مسخرة لخدمة وإرادة الشعب الإسرائيلى (تنبهـوا وتيقظوا ياحكـام العرب وأين أنتم) (الشعوب هى الضحية) وأن تكون المنطقة العربية أكبر سوق لإسرائيل تصدر إليها سلعًا وتعيد إليها تصدير ما استوردته لتبقى لها دائرة الاحتكار (فكر وطريقة يهودية منذ القدم لاحظ وجود وزير سيـاحةيهودى فى تشكيل حكومة المغـرب ووزير يهودى فى الوزارة التركية) إنها تـريد أن تكـون لها الكلمـة العليـا على مقـدَّرات وثروات الشعب العـربى البشريـة والأيـدى العـاملـة الرخيصة فى مصر والسودان ودول المغرب ، وطبيعية (البترول والمعادن وغيرها من مصادر المياه وتكون هى رابطة أو مركز أو حلقـة الاتصال مع الاتحاد الأوروبى ودول شرق آسيا ودول النافتا (الولايات المتحدة والمكسيك وكندا) .

إن شيمون بيريـز بكل صلافـة وغرور وكبرياء وعنجهيـة يطالب الـدول العربيـة المنتجة للبترول أن تساهم بنسبة ١٪ من دخلهـا للتطوير الإقليمى وهذا فى رأيـه لن يكون له تأثير على سعر النفط ولكنـه سيساعـد على خلاص تلك الـدول من التهديدات التـى تشكل خطرًا على الاستقرار ، أى يـريد كحسبـة بسيطة أن يأخـذ من دول البترول (أربعة وستـون مليار وثمانمائة مليـون دولار سنويًـا) أموال عـربيـة ولهذا تسرع إسرائيل فى عملية تطبيع العـلاقـات العربيـة الإسرائيلية ، فهل يدرك حكام الخليج هذه اللعبة (شيمـون بيريز سيزور قريبًا عمان وقطر) قام فعلًا بالزيارة وذلك للعمل على إلغاء المقـاطعة العربية لإسرائيل فى أسرع وقت ممكن ، (التقاء رئيس وزراء إسرائيل مع وفـد رجـال الأعمال المصريين ومطالبـاتهم أن تصل البضـائع والسلع الإسرائيلية إلى دول الخليج عن طريق المستوردين المصريين) أفيقوا ياعرب عامة .

إن تضـارب وتعارض المصـالح العربيـة سوف تعطى الفـرصة لإسرائيل لكى تأخـذ كل ماترجوه لأن اختلاف الرؤية الموضوعيـة العلمية لدى حكام العرب سوف يساعد إسرائيل على تحقيق الهدف ، إن ما ينبغى أن تكون عليه السياسة العربية (٢٢ سياسة) لابد أن يدرك أخطار

المستقبل والاستفادة من أخطاء الماضى (الولايات المتحدة الأمريكية تدفع نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية الكويتى فى محادثات جدة بالسعودية عام ١٩٩٠م) للتشدد مع نائب رئيس الوزراء العراقى فى المباحثات ويتم فض الاجتماع الذى كانت ترعاه السعودية ، وتدفع صدام حسين للاعتداء على الكويت « سفيرة الولايات المتحدة تعطى الضوء الأخضر لصدام » وهكذا يقع العرب فى أفدح مأزق تاريخي (عدوان عربى على دولة عربية) .

إن هناك علامات مضيئة أو قطع من الأحجار التى يمكن العالم العربى أن يرجم بها السور العربى المنهار لكى يعيد بناء العالم العربى من جديد وفى ثوب جديد وعلاقات جديدة ، إن العالم العربى لامكان له فى ظل الكيانات الحالية أو السياسات الحالية أو الخطط الحالية فلابد من اجتياز عنق الزجاجة والوصول إلى المصالحة العربية رغم موقف الكويت وموقف الولايات المتحدة وموقف إسرائيل من جمع الشمل العربى ، أيها الحكام ما أقسى حكم التاريخ فأنتم ذاهبون راحلون ، لكن الشعوب باقية فالحكم على البطل صلاح الدين الأيوبى ليس الحكم على أخيه العادل بن نجم الدين أيوب ، فصلاح الدين يعيد القدس من الصليبيين فى أكتوبر١١٨٧م وأخيه العادل يسلمها لفريدريك إمبراطور ألمانيا فى عام ١١٢٩م وهذا هو حكم التاريخ ، يا من تجلسون على كراسى الحكم إن الوضع السياسى والاقتصادى الذى يعيش فيه العالم العربى فى تلك الحقبة من نهاية القرن العشرين لايبشر بخير غير أن الجميع ينزلق إلى هاوية وإن لم نستدرك المواقف ونكون قادرين على تحمل المسئولية تجاه إسرائيل سلماً ودون حرب لن تحقق قيام دولتها من النيل إلى الفرات بل ستكون دولتها من المحيط الأطلسى إلى الخليج العربى (إسرائيل الكبرى) فى القرن الحادى والعشرين .

ولكن دعنا نتحدث بصراحة وهو هل القوى المعادية (إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية) وهى تعارض مصالحة العرب بعضهم على بعض لبث الفرقة وتملى إراداتها على بعض حكام العالم الذين ليس أمامهم إلى الطاعة والولاء تترك هؤلاء يتخذون خطوات فعالة نحو الوحدة أم أن الأمور تسير فى الاتجاه العكسى أى نرى العالم العربى الذى يتكون من اثنين وعشرين دولة قد صار أكثر من أربعين دولة ، لاسيما وأننا نشهد حاليًا العراق وقد تم ترك الجزء الشمالى منطقة الأكراد تحت الحماية الدولية والجزء الجنوبى الشيعى تحت الحكم الذاتى وكذلك مايدور فى جنوب السودان ومحاولة فصله عن الشمال وكذلك مايجرى على الساحة الجزائرية

من عنف وإحياء النعرة البربرية إلا مغازية ولكن بالنظرة الموضوعية ندرك أن كل هذه المخططات فى حالة اليقظة العربية لا يمكن أن تحقق أهدافها رغم كتابات بعض العرب بإلحاح عن الأقليات فى العالم العربى ولكن الوحدة سوف تجد طريقها الفعلى اقتصاديًا أو سياسيًا أو عسكريًا لاسيما الوحدة الثقافية قائمة فى ظل التقدم التكنولوجى الهائل الذى يجتاح العالم فى ظل ثورة المعلومات ولاشك أن العالم العربى يدرك ضرورة ضمان بقائه فى ظل وحدة تحميه إن العرب فى ظل حماية أنفسهم من مصادر التهديد وعدم التفتت إلى مجموعات صغيرة فلابد من الوحدة بعيدًا عن التشرذم أو التبعثر ذلك لأن الدولة الإقليمية العربية الصغيرة لايمكن لها كيانها الصغير القدرة على مواجهة التحديات بمفردها والقدرة على الوقوف فى مواجهة مصادر التهديد مثلما تكون فى شكل وحدة متكاملة وأنه لابد من إدراك الدور المستقل الذى لابد أن تلعبه القوى العربية كقوة إقليمية تواجه تحديات المرحلة المقبلة فى ظل النظام الدولى الجديد بما تفرزه من أشكال جديدة من مصادر التهديد التى وضعت لنفسها هدف زعزعة السلام والاستقرار الإقليمى العربى فى ظل إمتلاك السلاح الذرى (إسرائيل) بإعتبار أنها لاتستطيع أن تعيش إلا فى ظل مناخ زعزعة المنطقة وخلق الخلافات والتحكم فى المقادير .

إن للمرحلة المستقبلية القادمة لابد أن يجد العرب فيها فرصتهم فى حركة متحدة لرحلة المستقبل لاسيما أنها تملك خاصية المبادرة بل أنها لابد أن تتطور وتنمو بقدراتها المتاحة والذاتية بما يعيد تشكيل الأوضاع الإقليمية فى المنطقة التى تنتمى إليا بالصورة التى تضع كتلتها العربية الإقليمية فى المكانة التى تستحقها إقليميًا وعالميًا ولكن العرب وهم يواجهون قوة الغد العالمية لابد عليهم أن يكونوا ضمن منظومة إقليمية قوية فعالة وليس عليهم الجلوس فى مقاعد المتفرجيين .

إن إسرائيل تخطط بعلم وذكاء وتكنولوجيا متطورة لكى تكون لها مركز الصدارة على مسرح الأحداث فى الشرق العربى أو الإسلامى وتريد من العرب أن يكونوا متفرجين على الأحداث التى تجرى ولكن مصر بقوة الإرادة والمحور وقطب الدائرة لابد أن تكون قادرة على مواجهة التحدى إن الجولة القادمة إذا لم يستطع أن يكسبها العرب تحركاً نشطًا سياسيًّا واقتصاديًّا فإن ذلك لن يكون فى صالحهم لا سيما أن التحرك الإسرائيلى فى اتجاه آسيا وأفريقيا

نشيطًا جدًا إذ نجد أنه بعد توقيع اتفاقية الحكم الذاتي فى واشنطن فى سبتمبر ١٩٩٣م يتحرك رئيس وزرائها الأسبق إسحق رابين من واشنطن مباشرة لزيارة المغرب ثم إلى إندونيسيا أكبر بلد إسلامى ثم رحلة إلى اليابان والصين ونيجيريا وذلك لدفع أسس التعاون الجديد بينها وبين إسرائيل بعد معاهدات السلام مع العرب ، إن إسرائيل تتحرك بانتهازية لا مثيل لها لمواجهة التحركات العربية البطيئة . ولكن داخليًا فإنه فى ظل الصراع العربى الإسرائيلى كانت تفرض حالة تاريخية من الصراع والصدام والتوتر فى المنطقة العربية على مدى نحو نصف قرن وفى ظل حالة الحرب قامت نظم وترسخت مبادئ وشاعت شعارات وسادت منظومة سياسية فكرية وعسكرية واقتصادية فرضت علينا فى العالم العربى قواعد صارمة مبررها الوحيد هو الحرب المقدسة ضد الكيان الإسرائيلى الصهيونى وفى ظل ذلك اكتسبت النظم العربية الحاكمة شرعيتها الأساسية وقبلت الشعوب منها الحكم الاستبدادى والدكتاتورية السافرة والفساد السياسى وكبت الآراء المعارضة ومصادرة الحقوق وقهر الحريات وسلب الأموال وتهريب الثروات باسم الهدف المقدس (فلسطين) وحشد كل القوى لتحرير فلسطين ولايكون ذلك لا بالديمقراطية الكاملة الصحيحة غير المذوقة شكلاً ذلك ؛ لأن هدف العدو هو تفتت المنطقة العربية بديلاً عن مشروع الوحدة العربية الذى لابد أن يسعى إليه العرب سعيًا قويًا علميًا بعد أن كان شعارًا فى الستينات من هذا القرن ذلك ؛ لأن التفتيت يعنى تقسيم الأمة العربية إلى أمم وشعوب وتقسيم الدول العربية إلى دويلات صغيرة وفق أسس عرقية ودينية وطائفية وأنه فى ظل هذه التداعيات التى يخطط لها أعداء الوطن العربى لشل حركته حتى لا يستطيع أن يتحرك فى الاتجاه الصحيح باعتبار أن العمل العربى الجماعى هو السبيل الوحيد للخروج من المأزق الذى تحاول القوى المعادية وضعها فيه ذلك ؛ لأن العالم يتحرك ولن تتوقف حركته المتسارعة نحو التكتل والتقدم وإقامة الكيانات الكبرى ولفظ الكيانات الهشة الصغيرة الاستبداية التى تمزقها الفرقة لتلقى بها فى زوايا النسيان ومن ثم فلا بد أن حركة الوطن العربى المصابة بالجمود أن تتحرك بسرعة ، ذلك العالم كله يسير بنشاط كبير نحو الوحدة والتكتل ومن ثم فإنه يجب على كل دولة من دول العالم العربى لابد أن تقرر فيها كل دولة وضعها المستقبلى مع بداية القرن الحادى والعشرين .

ومن هنا لابد أن يكون العرب قد حققوا بعض النجاح فى أن يصيغوا رؤية سياسية قومية واضحة نابعة من أصول عربية لكى تقودنا إلى الطريق الصحيح ومن هنا فإن الاقتراب من القضايا العربية المستقبلية لا يمكن دراساتها بأسلوب القفز فوق المشكلات المعقدة بل العمل على حلها ثم تجاوزها خطوة بعد خطوة وصولاً إلى تحقيق الأمن الشامل للوطن العربى ؛ لأن فى ذلك الضمان الوحيد لاستقرار الوجود القومى لهذا الوطن ، لذا فإن عدم الاتفاق بين الدول العربية حتى الآن على وجود حد أدنى من التفاهم القومى بين الدول العربية لكى يمثل خطًا استراتيجيًا ليعكس مخاطر جسيمة قد تقضى على آمال الشعوب العربية ومتطلعاتها القطرية والقومية على المدى البعيد والمدى المتوسط .

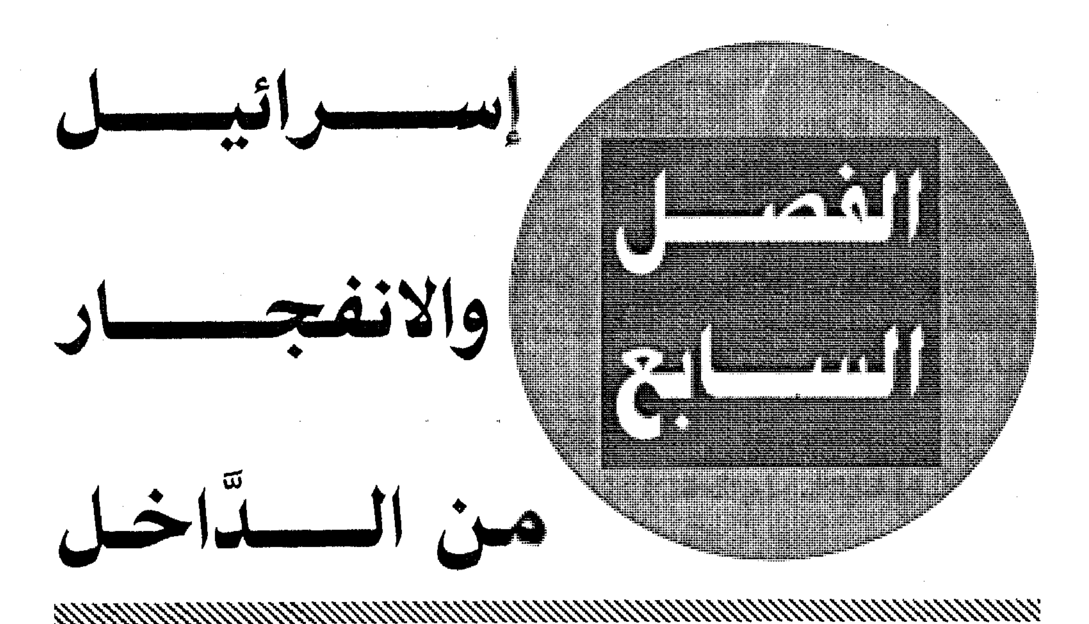
لذا فنحن نطالب فى هذه الدراسة بالعمل على عدم إضاعة مزيد من الوقت وعلينا أن نتذكر دائمًا أننا فى الماضى القريب قدمنا تجربة رائدة فى التعاون والتضامن القومى وذلك إبان حرب أكتوبر ١٩٧٣م . حيث تحول العرب إلى قوة عالمية فاعلة ومؤثرة . إن هناك بلا أدنى شك مأزقًا تاريخيًا تعيش فيه كل الدول العربية ، وإن كان بدرجات مختلفة إلا أن النتائج فى النهاية تؤثر على أمن الأمة العربية ومستقبلها فى ظل التطبيع العربى الذى لابد أن يواجه بعمل عربى جماعى ؛ ذلك لأن إسرائيل فى ظل الوضع العالمى الذى يسعى إلى التكتل (تكتل إقليمى أوربى ، وتكتل إقليمى أمريكى) وغيرها من التكتلات الأخرى ومن هنا فإن إسرائيل وجدت نفسها مضطرة لأن تجد لها مكانًا مستديًا كإقليم وهو الشرق العربى ، والشرق الإسلامى ، آسف الشرق الأوسط . ومن هنا هرولت إسرائيل فى طلب السلام بعد أن فقدت علاقاتها العضوية ، وقطعت شرايين بقائها وحياتها مع القوى التى أنشأتها فى البداية وهو التكتل الغربى المسيحى الذى انقسم على نفسه ومن هنا فإن إسرائيل لا تبحث عن سلام ، ولكنها تبحث عن تكتل تكون لها فيه البقاء الدائم إن الكيان الذى هو إسرائيل والذى انفصل عن التكتل الذى أنشأه فإنه لا يستطيع أن يستمر كيانًا بمفرده فى المنطقة العربية ولذا سعى إلى السلام وإلى إقامة نظام أو تكتل إقليمى بالاستقرار بين دوله .

فهل تستطيع إسرائيل الانصهار فى هذا النظام أم سوف توضع أمامها العراقيل ، المستقبل كفيل بتفسير ذلك إن المرحلة القادمة لابد أن تطرح فكرًا عربيًا بأنه لا مشكلة مع اليهود الذين يريدون السلام ولكن المشكلة مع المشروع الذى ينفى الوطن العربى الإسلامى الثابت فى فكر

الأمة العربية وهو أن فلسطين عربية وأن الصراع القديم قد تم حسمه من خلال الفكر العربى الإسلامى الداعى إلى الحفاظ على هوية الشخصية العربية والأراضى العربية ، إن مراحل التاريخ الماضية استدعت من العرب الوحدة والتكامل والتقارب لأجل تحقيق الهدف فى الحفاظ على الكيان ومن هنا فإن السلام إذا كان يحقق للعرب عودة كل التراب الفلسطينى من النهر إلى البحر على المدى الطويل فلابد من أن يكون سلامًا دون استرخاء عسكرى بل إن السلام لابد أن تدعمه القوة العسكرية المتطورة المتقدمة القادرة على الردع والدفاع والصد والحفاظ على الكرامة العربية فى ظل تحديات حرب النجوم والحرب الإلكترونية وثورة المعلومات والكمبيوتر .

فهل يدرك العرب أخطار المستقبل ومواجهة التحدى الإسرائيلى سلمًا وحربًا ؛ لأن السلام مع إسرائيل ليس الاسترخاء والتقارب بل العمل بقوة لبناء المستقبل .

* * *



إسرائيل والانفجار من الدّاخل

إنه يجب أن يكون معلومًا لدى القارئ الكريم أن شعب إسرائيل الذى يعيش على الأرض المغتصبة للشعب الفلسطينى لا يمت بأدنى صلة للجنس السامى وأن ٩٥٪ من سكانها الحاليين ينتمون للجنس الشنكازى الغربى ، وأن اليهود اليوم على مستوى العالم وليس إسرائيل إنما هم أقارب الأوربيين والأمريكيين بل هم فى الأعم والأغلب بعض وجزء منهم وشريحة لحمًا ودمًا وإن اختلف الدين ، ومن هنا فإن اليهود فى أوربا وأمريكا ليسوا كما يدعون غرباء أو أجانب دخلاء يعيشون فى المنفى وتحت رحمة أصحاب البيت وإنما هم من صميم جنس الشعب الذين يعيشون معهم وأنهم أصحاب البيت شكلاً وسلالة لا يفرقهم عنهم سوى الدين هذا أوربى مسيحى وذاك أوربى يهودى وليس لهم أدنى صلة بالسامية أما أين يمكن أن يكون اليهود غرباء أو دخلاء بلا جذور فذلك فى فلسطين والأرض العربية حيث لا يمكن لوجودهم إلا أن يكون استعمارًا واغتصابًا بالقهر والابتزاز وغير هذه الأقوال ، فإن ذلك لويًا لحقائق التاريخ والأنثروبولوجيا والأركيولوجيا وغيرها من أنواع الدراسات التى تثبت أنهم عضو غريب عن الوطن العربى الإسلامى وفلسطين كما أنه يكن معلومًا لدى القارئ الكريم أن اليهود الذين يعيشون اليوم ١٩٩٦م على أرض فلسطين هم يتشكلون من اثنين

وخمسين جنسية أى أنهم قادمون من اثنين وخمسين دولة فى آسيا وأوربا وأمريكا وأفريقيا بل ومن استراليـا أيضًا وانطـلاقًا من هـذا فإنه يسقط أى ادعـاء سياسى بـاطل بأن أرض فلسطين هى أرض الميعاد لهم . وأن التاريخ والأنثروبولوجيا تبـدد أى أساس جنسى فهم قد يزعمونه فى هذا الصـدد ، فإن اليهود ليسـوا جنسًا أو شعبًـا أو أيـة قوميـة بل هم طـائفة دينيـة شأنها شأن كل الطوائف الدينية يتألفون من شعوب وقوميات وأمم مختلفة وليس لهم أدنى صلة أو رابطة عرقية أو سلاليـة أو تاريخية بفلسطين إنما هم غزو أجنبى غـريب أراد بالقوة أن يسيطـر على بقعة من العالم العـربى فى ظل ضعف الصف العربى ومساندة القـوة الأجنبية الغربية والشرقيـة له لكى يتمكن من الأرض والديار ويطرد أهلها .

والذى ينظـر إلى ســكان إسـرائيل طبقا لإحصـائيات نهـاية عـام ١٩٩٣م يدرك حقيقة ما نقـوله ؛ ذلك لأن تعداد إسرائيل فى ذلك العـام يبلغ أربعة ملايين وثـلاثمائة وخمس وثلاثين ألف وثلاثمائة نسمة (٣٠٠ , ٣٣٥ , ٤) وذلك غير العـرب المقيمين بها والذين يصل تعدادهم إلى ما يقرب من مليون مواطن . وتوزيع هذه الأعداد كما جاء فى سجلاتهم هم كالآتى :

٠٠ , ١٧٪ من سكان إسرائيل الحالى من أصل آسيوى .
٨٠ , ٢٣٪ يهود مواليد إسرائيل (الصابرا) ويعودون إلى أصول آسيوية وأوربية .
٣٠ , ١٦٪ يهود سوفييت .
٩٠ , ٣٩٪ يهود من أصل أمريكى وأوربى .
٣٠ , ١٩٪ يهود من أصل أفريقى (الفلاشا وغيرهم) .
٠٠ , ٢٨٪ يهود من الدول العربية منهم :
٨٠ , ٩ ٪ يهو د عرب آسيويين .
٧٠ , ١٧٪ يهود من أصل عربى أفريقى (دول شمال أفريقيا) .

هكذا تقـول إحصائيات اليهـود أنفسهم ، لكن إحصائيات الأمم المتحـدة عام ١٩٩٤م تـذكر أن سكـان إسرائيل يبلغ تعدادهم ٦٧٢ , ٥ خمسـة ملايين وستمائة واثنين وسبعـون ألف نسمة بما فيهم مليـون عربى إسرائيلى مسيحى ، ومسلم ؛ لأنهم عاشوا فى إسرائيل بعـد احتلال ١٩٤٨م ومن هنا منحـوا الجنسية اليهـودية الإسرائيلية . ولقـد استطاعت الصهيـونية أن تخدع العالم بقولها أنها تريد غزو وطنها السابق لكى يقيموا كيانًا يهوديًا لكن مكونات هذا الشعب كما جاء فى إحصائيـاتهم تتشكل من الشعوب البولندية والـرومانية والروسية والأوكرانيـة واللتوانية والفالسية بل من أجنـاس الهنود الحمر . إن شعب إسرائيل به عناصر يهودية سـلالتها تعود إلى

الهنود الحمر وأن كل الشعوب هـذه تنحدر من قبائل الخزر Khazar التى كانت تسكن بالقرب من بحر قزوين وجبال الأورال وفى منطقة شمال غرب آسيا وهم سلالة شعب وثنى كانت تعيش مع القبائل المغولية والشراكسة قبل القرن الأول الميلادى وقد اضطر هذا الشعب الذى اعتنق ملكه (بولان Bulan) الديانة اليهودية ومن ثم تبعته رعيته ثم تقهقرت هـذه الشعوب سالكة الطريق شمال بحر قزوين وهى تحمل الديانة اليهودية إلى شرق أوربا وغربها .

هذه الشعوب وربما كان هؤلاء الغزاة اليهود قد جلبوا معهم إلى شرق أوربا من وطنهم الآسيوى طابع الحرب التى كانت تتميز بها شعوب القبائل المغولية فإنهم سرعان ما سيطروا على شرق أوربا حتى أنه لم يكد يأتى القرن السابع الميلادى حتى كانوا قد احتلوا منطقة تقع بين جبال الأورال شرقًا ووسط أوربا غربًا وشمال البحر الأسود جنوبًا وقد استقر الخزر فى هذه المنطقة ثم أصبح الدين اليهودى دينًا رسميًا لشعب الخزر وهكذا صارت مملكة الخزر الوثنية يهودية مع نهاية القرن التاسع الميلادى ومن ثم قام المبشرون والتجار من هذا الشعب وأسرى الحرب والمبشرون من اليهود إلى نقل هذا الدين إلى شعوب مختلفة من العالم مع حركة التجارة التى حذقها اليهود وصار اليهود ينتمون إلى كل الأجناس المعروفة وفى كل جنس كانت توجد أقلية يهودية اعتنقت اليهودية ؛ لذا كان تكوين إسرائيل الحالى من اثنين وخمسين جنسية .

وهكذا فإن غالبية اليهود من الوجهة العلمية فى عالم الأجناس شعب غير سامى ينتمى إلى السلالة التركية المغولية التى كانت تسكن أواسط آسيا ولا يوجد أدنى صلة بين هؤلاء الخزر وبين القبائل السامية التى كانت تعيش فى فلسطين تحت اسم « العبرانيين » أحفاد يعقوب ابن إبراهيم عم إسحاق أو يوسف بن يعقوب أو قوم موسى عليه السلام الذين عاشوا فى الأرض المقدسة وليس لهم أدنى صلة بالممالك اليهودية التى كانت قديمًا فى الأراضى العربية وكذلك حدثت عدة تغييرات سياسية استدعت توزيع شعب الخزر الذى تزايدت أعداده إلى العديد من الدول فكان أن انضم إلى روسيا وغالسيا وليتوانيا وبولندا ورومانيا والنمسا والمجر وكان هـذا الشعب يعيش فى تلك المناطق قبل أن تعرف هذه البلاد التقسيم السياسى وتسمى دول شرق أوربا بوضعها الحالى وقبل أن تهاجر هذه الشعوب إلى فلسطين وأن حركة إقامة دولة فى فلسطين تسمى دولة إسرائيل هى المحاولة الحديثة التى جاءت وجمعت شتات الخزر المبعثرين فى أنحاء العالم ومن جنسيات مختلفة فى دول شرق وغرب أوربا وإسكانهم فى فلسطين ، ومن هنا تسقط كل دعوى قرابة دم بين العرب واليهود ذلك ؛ لأن أحفاد إسحق

أبو اليهود قد ذابوا فى دماء غريبة ووصل الـذوبان إلى حد الإحلال حتى أننا نواجه فى فلسطين حاليًا قوم غرباء لا علاقـة لهم بإسحق أو يعقوب أو موسى أو أحفاده بل شعوبًا ليس لها صلة بهذه الأسماء القديمة .

والخلاصة الموضوعية العلمية الأكاديمية التاريخية الأنثربولوجية الأركيولوجية هى أن يهود إسرائيل وبقية يهود العـالم مختلطون اختلاطًا يبعـدهم عن أى أصول إسرائيلية قـديمة وأن يهود اليـوم ليسوا من بنى إسرائيل وأن الحاليين شيءوأولئك شـيء آخر أنثـربولـوجيًا ولا رابطـة بين الطرفين إلا فى الدين فقط .

ويذكر الدكتـور العلامة « جمال حمدان » فى كتابه (اليهود أنثربولـوجيًا) والذى طبع عام ١٩٦٧م ثم أعيد طبعـه ١٩٩٦م قد توصل إلى أن ٩٥٪ من اليهـود الذين يعيشون اليـوم ليسوا من يهود بنى إسرائيل التواره إنما هم أجـانب مختلفون وأنهم فعـلاً أوربيون من سلالـة السلاف والآريـون وهذا يصـدق على يهود الأشكنازم فى أوربـا وعلى امتـدادهم الأمريكى الـذى زاد فى اختلاطه فى البوتقة الأمريكية أكثر منـه على أية مجموعة أخرى حتى اليهود مع ملاحظة أن يهود الأشكنازيم هم السـواد الأعظم من يهود العالم . ومن هنـا فإن الحقيقة الثابتـة والمؤكدة أن يهود إسرائيل اليوم ليسوا على أدنى قرابة أو صلة أو رابطة من أى الروابط سوى الدين فقط هو الذى يجمعهم وأن خطأ غير مشروع أن يتحـدث أى من كتـاب اليهـود أو مـؤرخيهم أو الأوربيين أو الأمـريكيين عن جنس يسمى اليهـود كما أنه من الخطأ الحديث عـن جنس يسمى الأمريكـان والاثنـان ينتمـون إلى أصـول مختلفة ومختلطـة من شتى بقـاع الأرض . ذلك لأن اليهـود كـانـوا يتزوجون من غير اليهوديات من سكان البلاد التى أقاموا بها وأن المجتمعات اليهودية أصبحت تشبه السكـان المحليين فى كثير من الخصائص وبهذه الطريقـة أصبح يهود أفريقيـا وشرق أوربا وأسبانيا والبرتغال وغيرها من الأقطـار الأخرى مختلفين بوضوح عن بعضهم البعض لا سيما أن العنصر الحديث به من الأدلة والأحداث الثانية التى تؤكد التزواج والتحول فمع الهجرة إلى بلاد العالم الجديد (أمـريكا) تحول كثير من الهنود الحمر والـزنوج فى أمريكا الـوسطى والجنوبية إلى الديانـة اليهودية وصاروا يهودًا ولا علاقـة لهم جنسًا ودمًا باليهود أصـلا ومع ظهور العلمانية فى أوربا توسعت العلاقات غير الشرعيـة وزادت بصورة كبيرة حركة تحول اليهود إلى المسيحية وفى روسيا أيضًا تحول كثيرًا من اليهود إلى المسيحية ولقد كانت النازية فى العصر الحديث قد أثبتت أن الكثير من الألمـان المسيحيين تجرى فى عروقهم دمـاء يهودية ومن هنا ذاب اليهود فى الـديانة المسيحية .

وهكذا صارت اليهودية تجمع شتات الأجناس ، فهناك اليهود السود (الفلاشا) فى الحبشة وجنوب الصحراء الكبرى واليهود الملونين فى الهند ، بل اليهود الصفر فى التركستان والصين واليهود الشقر فى أوربا من كل الأنواع والألوان يوجد اليهود البيض والسمر والسود والعيون المغولية فى يهود أواسط آسيا والسفارديم والأشكنازيم واليهود الشرقيين وهكذا يتكون المجتمع اليهودى فى المجموعات الرئيسية الثلاث (الأشكناز والسفارديم والشرقيين) فالأشكناز يشملون يهود غرب ووسط أوربا بالإضافة إلى خلاياهم الجديدة التى انشطرت فى العالم الجديد بقاراته (أمريكا الشمالية والوسطى والجنوبية) ثم جنوب أفريقيا واستراليا ويشمل اليهود السفارديم يهود البلقان والشرق الأدنى ، أما اليهود الشرقيين فهم يهود العالم العربى ثم القوقاز وإيران والتركستان الروسية وكذلك الهند والصين .

إن الحديث عن شتات اليهود وتكويناتهم السلالية والجنسية والعرفية قد يبعدنا عن رأس الموضوع وهو إسرائيل والانفجار من الداخل ولكن أردنا بهذا العرض فى الصفحات السابقة أن نعطى القارئ الكريم فكرة عن شتات اليهود والأجناس المختلفة التى يتكون منها شعب إسرائيل اليوم وما هى المتناقضات التى تعيش فيها هذه الجموع وما هى الأسباب والعوامل والتفاعلات التى ستؤدى إلى انفجار إسرائيل من الداخل وبعوامل داخلية بحتة دون النظر إلى العوامل الخارجية لا سيما أن هذا الخليط رغم مرور نصف قرن على إنشاء دولة إسرائيل لا زال يعيش صراعات وانقسامات سوف تؤدى به إلى تمزيق دولته لا سيما أنه يرتفع شعار فى كل إسرائيل هو أن إسرائيل هى دولة الأشكناز فقط ومن هذا الشعار الذى يجعل الأقلية ٣٩,٩٪ الأوربية الأمريكية تتحكم فى الأغلبية ، وإن كان اليهود الروس يحاولون أن يلعبوا دورًا ليكون لهم كيان فى توجيه السياسة الإسرائيلية . لا سيما أن إسرائيل تتحرك كغزوة مقدسة تفرض نفسها من طرف واحد كأنها حرب دينية تبعث بذلك شبيهة صليبيات جديدة فى العالم العربى والإسلامى بل أن الصهيونيات أسوأ من صليبيات جديدة فما كانت الصليبيات فى العصور الوسطى إلا استعمارًا استقلاليًا تخفى وراء الصليب إن الصهيونيات التى تتخفى وراء النجمة السداسية بحث عن الذات على حساب الشعب الفلسطينى ، استهدفت اقتلاع وتصفية الشعب الأصلى تصفية جديدة تعمل على تهويد الأرض وتغيير طبيعتها ومعالمها إلى الأبد ، وتجعل من داود صاحب النجمة السداسية جالوت الجبار وهكذا صار يطلق عليها جالوت .

لكن نستدرك القول : أن الانفجار فى الداخل سوف يأتى فى ظل اتفاقيات السلام ؛ ذلك لأن الإحساس بالخطر السابق قد دفع إسرائيل للدخول فى أربع أو خمس حروب مع

العرب وكانت هذه الحروب تجمع الشعب الاسرائيلي الـذى جاء من شتات الأرض لكى يدافع عن الكيـان المغتصب بـاعتبـار أنه ضمان الأمـن لهم فى ظل العيشة الـذليلـة فى كنف الـدول المختلفة ، لكن عندمـا لا يكون هناك صراع خارجى فإن الصراع سـوف يتجه للداخل لا سيما أن الشعوب المختلفة غير متجانسـة سلوكيًّا أو اجتماعيًّا أو ثقافيًّا أو فكـريًّا بل القيمة هى التى تجمع الجميع لأن الاختلاف سـوف يشتد عندمـا لا تكون هناك محاولات للغـزو العسكرى على أية من الجبهات ومـا حدث من قيام « ايجال عامير » الشـاب اليهودى الشرقى الذى من جيل الصـابرا الـذين ولدوا فى إسرائيل ، بـاغتيـال إسحاق رابين رئيس وزراء إسرائيل دليل حيـوى وقوى على بدايـة تفسخ المجتمع الإسرائيلى وحدوث انشقاق بين الاتجاهات الفكـرية المختلفة ذلك لأنه رأى أن السـلام سـيكون هو العقـاب الحقيـقى لإسحق رابين ولقـد ذكر قاتل رابين (ايجال عـامير) أن قتل رئيس الوزراء السـابق كان ضروريًّـا لـوقف ما يعتبره سيـاسة سلميـة إسرائيلية تنطوى على كارثة محققة سوف تؤدى بطريق غير مباشر إلى تدمير إسرائيل .

كذلك فـإن الصراع بين « بنيامين ناتنيـاهو » زعيم حـزب الليكود يـرى فى التعصُّب ضد حزب العمال صورة سـوف تؤدى إلى توسيع فجوة الخلاف لا سيما أن حزب الليكود كـان يدعو إلى التطرف والعمل على قتل رابين ونجاح حزب الليكود بزعامـة ناتنياهو وسياسة التطرف التى يتبعها سوف تكون لها عواقب وخيمة على بقاء إسرائيل طويلاً .

إنها صورة سوف تتكـرر فى ظل السلام بل إن هذه الأجناس التى تـرى أنها محرومة من أن تنال حقوقها مثل الأشكنازى الغربيين الذين يتصدرون قيادة إسرائيل دون غيرهم من الأجناس ستزيـد من الحقد والكراهية لهذه القيـادة لا سيما أنها تنظر إلى بقية الشعب الإسرائيلى وخـاصة القادمين من أفريقيا كشعوب من الدرجة الثالثة .

إن إسرائيل دولـة الأشكناز فقط فهم الأعلـون وأصحـاب السيادة والقيـادة ليس مهمًّا أن يكون غيرهـم مواطنين من الـدرجة الثانية والثالثة ، إن المهم ألا يكـون غير الأشكناز فى الدرجة الأولى المحجوزة للأشكناز وحدهم ولقـد كان من الممكن أن تكون إسرائيل درجة أولى شكناز والثانيـة للشرقيين لكن كان من الممكن أن ينضم الأثيـوبيون (الفلاشـا) إلى صفوف الـدرجة الثانية التى تشكل يهود الشرق عامـة لكنهم وجدوا أنفسهم فى قاع المجتمع ولا كيان لهم ؛ لأن يهود الشرق ينظـرون إلى يهود الفلاشـا القادمين من أثيـوبيا نظـرة الأشكناز إليهم بينما ينظـر إلى العـرب الذين يحملـون جنسية إسرائيليـة على أنهم نفـايات وقـذرات المجتمع الإسرائيلى ، هم الخدم والأرقاء فى نظر السادة .

لقد ظهرت الطبيعة الأشكنازية لإسرائيل تتأكد من جديد بعد أن ظهرت بوادر السلام وأنه لم يعد المجال العسكرى يشكل الأهمية الأولى لإسرائيل ،ولقد كان قدوم اليهود السوفييت ويهود أثيوبيا وهى آخر هجرتين لإسرائيل حيث بدأ اليهود الروس يحتلون مكانتهم كصدارة المجتمع الإسرائيلى ، لأنهم أوربيون بحصولهم على ٧ مقاعد فى الكنسيت فى الانتخابات الأخيرة ١٩٩٦ بينما الفلاشا فهم فى الدرك الأسفل من المجتمع .

وهكذا بين الصعود والهبوط تزداد الفوارق الاجتماعية فى إسرائيل وتبدو المشكلة الطائفية « لاحظ ٥٢ جنسية يعيشون حاليًا فى إسرائيل وتصور كيف سيكون الصراع القادم والتمزق وانهيار المجتمع الإسرائيلى » لا سيما أن اليهود الفلاشا الأثيوبيون سوف يقفون ضد بقية الطوائف ويهود الشرق والعرب الإسرائيليين سوف تزداد عداواتهم وتتصاعد ضد الصعود المتمكن لليهود الروس واتساع قاعدة الأشكناز (٩ , ٣٩ + ٣ , ١٦ روس = ٢ , ٥٦٪ من مجموع سكان إسرائيل يهود شكناز أوربيون وأمريكيون ويهود سوفييت) وأنه فى تنظيمه جنسية وتشكيله من بقاع الأرض بهذه الصورة تبدو الصورة المستقبلية للمجتمع الإسرائيلى أنه يتجه إلى معالم غير واضحة وأنه سوف يسير ليجد نفسه فى مفترق طرق حاد .فالدين اليهودى لن يكون رابطة قومية متينة لا سيما أن إسرائيل قد قامت على أساس الأمة اليهودية ترفع شعار الدين والتوراة والأرض الموعودة والعودة إلى الديار القديمة .

والذى ينظر إلى صراع الجنسيات والقوميات اليهودية بهذه الصورة ويرى أبعاد هذه المشكلة وبروزها بهذا المستوى الشديد المتناقض يجد أن المجتمع أو التجمع لشتات اليهود غير قادر على معالجة مشاكله الداخلية وعدم القدرة على التصالح مع نفسه رغم خطوات التصالح مع الدول العربية والفلسطينيين ، ولكن الذى يتفحص هذه الهجرات والتشكيلات اليهودية التى مضى على أقدمها فى إسرائيل أقل من نصف المواليد الجدد وغيرهم من شتات الأرض يدرك تمام الإدراك مسألة المواطنة الإسرائيلية المتجانسة مازالت غير ثابتة فى العلاقات بين طوائف وجماعات التجمع اليهودى فى إسرائيل وأن الوضع فى عمقه يشير إلى أن الأمور تأخذ بعدًا مغايرًا عما كان عليه الوضع فى السابق عندما كانت إسرائيل تتعرض لخطر الحرب لا سيما حرب يوم الغفران السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣م .

ورغم سنوات هذه الدولة القصير فإن الكاتب الإسرائيلى (دان كيسلو) يعلق على انفجار اليهود الأثيوبيين كمقدمة للانفجار والانهيار الأكبر للدولة الإسرائيلية على المدى

المتـوسط أو البعيـد « إن ما حـدث سـوف يحدث أقـوى منه فى المستقبل » إن الثقـافـة ليست فولكلور فقط بل أيضًا وبالأساسى التوافق والتكيف مع المستوى الحضارى والتكنولوجى وثمة ثقافات مختلفـة ومتصارعة ومتباينـة بل متضادة « لأنه حين تأتى مجموعـة كبيرة من الأشخاص من واقع ثقـافى على مستوى الظلام الأفـريقى إلى واقع ثقـافى بمستوى أوربى فذلـك يؤدى إلى صدمـة ثقافية وإحباط وربما انفجـار واضطرابات » ويصف (دان كيسلـو) أنه من الممكن أن تحول دون الصـدام والصراع والتحـارب بين الفئات الثقـافيـة المختلفـة فى المجتمع الإسرائيلى والتى تتكون من (اثنين وخمسين ثقـافة) إذا منحنـا كل طائفة من هـذه الطوائف الإمكـانيات لكى تتطور فى بيئتها الطبيعية (لاحظ جتيو يهودى داخل إسرائيل اثنين وخمسين جتيو) تشكل منها الدولة اليهـودية لا سيما أن توجد فوارق جسيمة وجنسية ولا يـوجد أدنى تماسك بيولوجى بين هذه العناصر .

إنه رغم مرور ما يقرب من نصف قـرن فإن الاختلاط أو تخليط اليهود فى فلسطين لم يتأكد النجاح ولا زالت العـزلة والتبـاعد والتناقض صـورة عامـة عن مكونـات هذا الشعب ؛ لأنهم لازالوا يعيشون حياة العزلة فى الجيتـو التى كانوا يعيشون بها فى أوطانهم قبل جلبهم إلى إسرائيل ولا زال العداء بين الطوائف صـورة سائدة دائمة وتوجـد عوامل مضادة لـلاختلاط والزواج إذ كيف يتزوج يهودى فلاشا من يهودية من أصل أوربى أو أمريكى .

إن الثقافات المختلفة إذا أخـذنا بفكرة (صمائيل هانتجتون) فى مقـاله الذى نشر فى مجلة الشئـون الخارجية التى تصـدرها جـامعـة هارفـارد وبعنوان (صراع الحضـارات) فإن الصراع الحضارى والثقافى بين هذه الطوائف والقوميات المختلف فى إسرائيل سوف تظهر على السطح لا محالة وسوف تعيش دورة من الانهيار والتمزق مهما تكن اللغة عبرية لكن اختلاف الثقافات والفوارق الاجتماعية والسلالية والجنسية وغيرهـا من العوامل الأخرى سوف تقدم نهاية إسرائيل ليس على المدى الطويل الذى ربما سيكون خمسة قـرون (٥٠٠ عام) لكن ربما تكون نتائج هذه الخلافات خلال (القرن الحادى والعشرين) وربما بعد ذلك بقليل ، إن إسرائيل تعيش فى أزمة عميقـة فى عدم القـدرة على حل المشاكل الاجتماعيـة التى تترتب على الأجناس المختلفـة ذات الطباع والعادات والتقاليـد والثقافات المختلفة ليس اليهودى اليمنى كاليهـودى الأمريكى إنه ليس خـافيًـا على أحـد إن المجتمع الإسرائيلى تسـوده حـالة الفـوارق العنصريـة والتمايـز بين الأجناس فيما يواجهه يهود الفـلاشا من اضطهاد وعنصرية يواجه بدرجـات مختلفة يهود مغاربة ويمنيون وعـراقيون ومصريون وغيرهـم من الأجنـاس الشرقية هجـرتهم اليهودية الصهيـونية إلى

فلسطين ومطلوب من المؤسسات العـربية أن تمضى فى متابعة أحوالهم انطلاقًـا من كونهم جزء ينتمى لحضـارتنا العـربية الإسـلامية وأن نعـرض حالتهم ونعرف العـالم بمـا يتعرضـون له من تفرقة عنصرية يمارسها الأشكناز اليهـود الغربيون على اليهود الشرقيين السفارديم وصولاً إلى أن يطرح الحل الفلسطينى لبناء دولة فلسطينية ديمقراطيـة للمسألة اليهودية الشرقية التى حاولت أوساط الحضـارة الغربية الأوربية الأمـريكية أن تعاملهم معـاملة غير إنسانية ، إن شعـار دولة عربيـة فلسطينية يعيش فيها المسلمون والنصـارى واليهود كأخوة فى المسـاواة بين أبناء الشعب العربى الفلسطينى .

إن الهجرة إلى إسرائيل لم تعد تجذب اليهود من الأقطار المختلفة فالهجرة فى طريقها إلى أن تتوقف بل إن الهجرة تتم حاليًا من إسرائيل إلى أوربا وأمريكـا . إن الذى يتذكر أو يطالع حركة الأحداث خلال الأسبـوع الثالث من يناير ١٩٩٦ عنـدما قام « عزرا وايـزمان » . رئيس الكيان الإسرائيلى بزيـارة ألمانيا . فإنه دعى يهود ألمانيـا إلى الهجرة من وطنهم ألمانيـا إلى إسرائيل وأبدى أسفه من بقـائهم فى بلد حدثت فيه مـذابح (الهولوكسيات) أثناء الحكم النـازى لألمانيا . وقد سارع رئيس تنظم اليهود الألمان بـالرد عليه مبينًا له ، « إن أبناء اليهـود يعيشون فى وطنهم ألمانيا ولايـوجد مـايعكر صفـوهم مما يـدعوهم إلى الهجـرة إلى إسرائيل » وهذا دليل قـوى على نقص الهجرة إلى إسرائيل وعدم رغبة يهود الخارج فى الذهاب إلى إسرائيل .

أنه لم يكن قـول رئيس أبناء الجالية اليهـودية فى ألمانيـا هو الذى قـال ذلك فقط بل نجد رئيسـه اتحاد الجاليات اليهـودية الإيطـالية التى طـالبت فى نهاية ينـاير ١٩٩٦م ، أمـام اجتماع المؤتمر اليهودى العـالمى بضرورة إلغاء قانـون العودة إلى إسرائيل ليهود الشتـات وقالت (تليث فعليا زيفى) إن فكرة إسرائيل المحاصرة (فيلاً وسـط أحراش) وضرورة قيام اليهود الموجودين فى أنحاء العالم بمسـاعدتها وهى فكرة قديمة يجب أن تنتهى ، وهذا دليل آخـر على عدم اقتناع يهود العـالم بقيـام دولـة إسرائيل وأن الهجـرة إليهـا ليست واجب يهودى ؛ لأن قيـامهـا لم يكن ضروريًا . وهكـذا سـوف يتم تفـريغ إسرائيل من الداخل لكى تنهار الـدولة اليهـودية قبل أن تمضى على قيامها قرن أو بضع قرن (لاحظ ١٩٤٨ - ١٩٩٦م) .

لقد طـالبت العديـد من الجاليات اليهوديـة فى العديد من أقطـار العالم بعـدم النظر إلى التـاريخ اليهـودى القديم كسنـد لعـودة اليهـود وضرورة إعادة النظـر فى الـروابط بين إسرائيل وجاليـات الشتات اليهـودى حيث أن إسرائيل لم تعد تحتـاج إلى أموال هـذه الجاليات (لاحظ

أقوال يهود يطـالبون بقطع العـون عن إسرائيل أليس ذلك مقـدمة لـلانهيار الـداخلى مهما كان التطور العلمى والتكنـولوجى فإن المسـاعدات المالية الخارجيـة الحالية اليهوديـة ضرورة لتقدم وتطور الاقتصادى الاسرائيلى وازدهاره.

بل طـالبت بعض الجاليات بإصـدار قـانون يحرم الهجـرة إلى إسرائيل لاسيما أن المساحـة الجغـرافية الصغيرة لإسرائيل لايمكنهـا أن تستوعب الملايين الثمانيـة من اليهود الموجـودين فى شتات العالم لذا يجب إلغاء قانون العودة و الهجرة إلى إسرائيل نهائيًا . إن ألمانيا وإيطاليا (يهود البلدين) يرفضان الفكرة الصهيونيـة واغتصاب وطن فلسطين العربى ويعارضان فكرة تهجيير اليهود فى العالم من أوطانهم إلى فلسطين المحتلة بحجة أن لهم ثقافتهم وتقاليدهـم وقيمهـم التى تختلف عن اليهـود الآخرين وأنهم يشكلـون قوميـة خاصـة بهم وأنهم لا يستطيعون أن يمارسـوا دينهم اليهودى إلا فى إسرائيل إن تلك الأقـوال تدل دلالـة قاطعة على أن الانهيـار من الداخل وجفاف منابع الهجرة كفيل بوقف الـدم الجديد وكذلك الأموال التى يتبرع بها اليهود فى ألمـانيا وإيطاليا ، إن كل ذلك نذير سوء يشير بالنهاية الحتمية لدولة إسرائيل .

بل إنـه مما يحيى الأمل لـدى الشعـوب العربيـة فى القدرة على المواجهـة والتحمل لبضع سنوات أنه فى الوقت الـذى كانت تستعد فيه طائرة شيمون بيريـز رئيس وزراء إسرائيل والوفد الكبير الذى كان يـرافقه فى الهبوط فى مطار مسقط (عُمَان) ثـم منها إلى الدوحة عـاصمة قطر فإنه كانت هناك ثورة عربية تشتعل فى خمسين قـرية (٥٠ قرية) وتشمل أنحاء إسرائيل بمناسبة مـرور عشر سنوات على يـوم الأرض (١٩٨٦ - ١٩٩٦م) فإن ذلك يعطى مؤشر قـوى على أن عرب فلسطين (إسرائيل) لن يكونوا لقمـة سهلة الهضم ، وأن الصغير لابد أن يكبر وأن الأيام قادرة على تحديد المصير .

إضافـة إلى ذلك حصار يهود الفـلاشا الأثيـوبيين لمقر رئيس مجلـس الوزراء الإسرائيلى فى القدس المحتلة يوم ٢٨/ ١/ ١٩٩٦م احتجاجًا على سيـاسة التميز العنصرى لبنوك الدم للقيام بإعدام الـدم الأثيوبى خشيـة تلوثـه بأمراض منها مـرض نقص المناعـة (الإيدز) وقـد قامت الشرطة الإسرائيليـة باعتقـال أعدادكبيرة منهـم وكان قـادة يهود الفلاشـا قد اتهمـوا السلطات الإسرائيليـة بـالعنصريـة والتميز بين الطـوائف الإسرائيليـة وأنها بـذلك تعمق جـذور الصراع والتنافس مع بقية الطـوائف لا سيما أن الحكومة الإسرائيلية تميز بين الفلاشـا وأقرانهم اليهود فى كل شىء من السكن للمدرسـة ومن الجيش والشرطة إلى العمل وحتى الصحة (فـوارق وتمايز

بين الطبقات والطوائف اليهـودية) ففى الجيش ينادونهم كوش وهى كلمـة عبرية تعنى الأسود وأن هناك الكثير من الجنود اليهـود الفلاشا قد انتحـروا بين عامى ١٩٨٤ - ١٩٩٤م وهو أعلى انتحار بين مختلف المجموعات الإسرائيلية .

ومنذ بدايـة وصول الفلاشا إلى إسرائيل فقد تعـرض هؤلاء للإهانة بعـد إصرار الحاخامية الإسرائيلية على التحقق مـن يهوديتهم كما أن الفلاشا يشتكـون من تعامل جيرانهم معهـم بروح عنصرية فوقية متعالية وأنهم لم يقبلوا فى المجتمع الإسرائيلى كيهـود لهم حقوق كاملة ثم تعرضوا لمشـاكل عديـدة ومنها السكن لأنهم ؛ أجبروا منـذ جلبتهم إسرائيل على العيش لعدة سنـوات طوال فى مقطورات أشبه با لمعازل وأغلب شبـابهم يتم توجههم إلى الحرف القذرة وأعمال يدوية بينما المهاجـرون من الأقطار الأوروبية أو الـروسية يتم توجههم للدراسـة با لمعاهـد والجامعات وأنهم لم يستطيعوا رغم مضـى أكثر من عشر سنوات على جلبهـم إلى إسرائيل١٩٨٤ فى القدرة على التعـامل مع غيرهم أو إنـدمـاجهم بسبب لـون بشرتهم السوداء ؛ لأنهم يعـاملـونهم ليس كمعاملة يهود مع يهود إنما يهود مع أعداء .

ولقد ظهـرت بوادر الانقسـام بشدة عام ١٩٩١م عنـدما احتج الأثيـوبيون الفـلاشا على سياسة التميـز العنصرى ضدهم ورفض السلطات الإسرائيلية اليهـودية لرجال الـدين الفلاشا بالعمل فى المعابد اليهودية كحاخامات وكذلك فإن الشرطة استخدمت القوة ضد يهود الفلاشا عند ثورتهم ضد مجلـس الوزراء فى قضية إعدام دماء الأثيوبيين قبل إيـداعها فى بنوك الدم وأن الشرطـة لم تتعـامل معهم كيهـود بل كأعـداء ، وذلك دليل على ظلم وقع عليهم والتميـز ضـد عشرين ألف يهودى أثيـوبى فما زالت الإشـارة السائدة عنهم فى إسرائيـل أنهم سكان وليسـوا مواطنين وأنهم طائفة ومجموعة وليسوا إسرائيليين وهكذا يتبين لنا الحال الطبيعى والاجتماعى فى البنية الإسرائيلية التى تتشكل منها إسرائيل على حسـاب الأرض العربية الفلسطينية فإن التميز والتبـاين والتنابـذ فى النظرة الفوقيـة للطبقات الأفـريقية والشـرقية سوف تبـاعد فى الشـرخ النفسى بين الفئـات التى يتكـون منها المجتمـع الإسرائيلى غير المتجانس وأنـه فى ظل السـلام وعدم الإحساس بالخطر الخارجى فإن الصراع سيكـون داخليًا لاسيما أن طبقة إسرائيلية جديدة قد بـدأت تدخل فى هيكل المجتمع الإســرائيلى وذلك بعـد تفكك الاتحاد الســوفيتى وانهياره عـام ١٩٨٩م مما سمح لـلأعداد الهائلـة من اليهـود الروس (الخزر) وغير السـاميين بالهجـرة الـواسعة إلى إسرائيل وهـم الـذين بدأوا يتبـوأون مكـانة عـالية فى المجتمع الإسرائيلى فى سرعـة خاطفة وذلك فى فترة وجيـزة جدًا لاتتجاوز ثلاث سنوات رغم أن بعضًا منهم قـد أخذ طريقه

إلى الهجرة خـارج إسرائيل إلى الولايات المتحـدة وغرب أوربا ؛ لأنـه لم يجد عملًا مناسبًـا له فى إسرائيل ونظـرًا للدور الـروسى البالغ ، فهنـاك سـؤال يطرح : هل أصبحت إسرائيل روسيـة ؟ (يشكل اليهود الروس ١٦,٢٪ من مجموع السكان) ولقد بدأت اللغة الروسية تسمع فى شوارع العاصمة تل أبيب وغيرها من المدن الكبرى لاسيما أن بروز ثلاث أرباع المليون الروس يتحدثون اللغـة الروسيـة يضمن تنافـر المجتمع الإسرائيلى ولايساعـد على التقارب بل دعـوة إلى الصراع والتطـاحن الذى يـؤدى فى النهـاية إلى الانفجـار داخل المجتمع الإســرائيلى الذى يـؤدى إلى الانهيار النهائى .

ويعبر أحـد كبار الكتـاب الإســرائيليين عن الـدور الروسى قـائلاً : « قيل قديمـًـا : إن إسرائيل تعتبر الولاية الأمريكية الحادية والخمسين (أو الثانية والخمسين) وبعد الهجرة الروسية الواسعة يصح أكثر أن نقول : إن إسرائيل أصبحت قطعة مصغرة من روسيا وأن ذلك لـن يكون فى صالح المجتمع الإسرائيلى ولا فى صـالح البنية التى يتشكل منها هذا الكيـان غير المتجانس أو المترابط .

بل أكثر من ذلك فإن الجاليات الروسية تشكل قـوة ضاغطة على عملية الانتخابات التى تمارسهـا المافيا الـروسيـة التى تصرف ملايين الـدولارات لمساعـدة أنصـار حزب الليكـود على حسـاب حزب العمل لـدخول الكنيسـت وتمثيل مصـالح المافيا الروسيـة داخله وسندًا لقواتها ٧ مقاعد للـروس فى الكنيست التى تساعد أعمالهم على الازدهار فى الصناعـة والتجارة وغيرها من الأنشطة الأخـرى ، وإنه مع الصعود الـروسى داخل إسرائيل لن تكون مفـاجأة أن نرى فى الشوارع الإسرائيليـة صدامـات وتواتـرات معهم . فالشرطـة الإسرائيلية تعتبر عمليـات المافيا الروسية بمثابة تهديد استراتيجى للدولـة لاسيما أنه تشير تقديرات الشرطة الإسرائيلية إلى أنه تـم تهريب نحو أربعين مليـار دولار عبر الحدود الروسية خـلال السنوات الأربع الأخيرة وأن ١٠٪ من هذه الأموال ادخلت إلى إسرائيل (أربعة مليارات) واستخدمتها المافيا الروسية فى مشاريع داخل إسرائيل .

إن الانتخـابـات الإسرائيلية فى مـايـو ١٩٩٦م سـوف تكـون مناسبـة لإيضـاح الأوزان الطائفيـة داخل إسرائيل إلى جـانـب أوزان القوى السيـاسية إذ تـوجد تقـديرات بـاحتمال فوز (الروس) بنحو ٦ مقـاعد بالكنيست فيما يبدو أنـه ليس أمام الأثيوبيين الفلاشـا سوى الفشل خـاصة أنهم يفتقـدون داخلهم كطـائفة وكقيـادة أنهم ليسـوا يهودًا ، وهكـذا فإن هذه الأمـور والتعقيدات الجنسيـة والطائفيـة والصراعات بين هـذه الطوائف ووجـود لغات تصـارع اللغة

العبرية وعدم وحدة الكلمة تجاه القضايا الكبرى لاسيما أن حادثة مقتل إسحاق رابين على يد يهودى الصابرة إيجال عامير تشكل مقدمة لأحداث دموية ستحدث بين الإسرائيليين مستقبلاً .

وهكذا عرضنا لجوانب الصراع والتصادم بين الطوائف اليهودية التى تتشكل من اثنين وخمسين جنسية وتشكل عناصر من قارات العالم أجمع مما يوشك أن يكون بداية النهاية لدولة إسرائيل لكنه لايمكن للسلام إلا أن يفرض ويبرز هذه المتناقضات التى تعجل بوضع نهاية لإسرائيل .

لكن يبقى جانب آخر مهم هو العرب داخل إسرائيل ، سكان إسرائيل قبل ١٩٤٨م والذين فضلوا البقاء فى أماكنهم وقراهم بعد قيام دولة إسرائيل على حساب الحق الفلسطينى فى ١٥ مايو ١٩٤٨ والذين كان تعدادهم عام ١٩٤٨ ربع مليون نسمة (صاروا عام ١٩٩٥) مليون مواطن عربى إسرائيلى لاشك أنه سوف تحمل الأيام القادمة وجود وزن سياسى لهم وقوة مستقبلية ١٢ عضو عربى إسرائيلى فى الكنيست (انتخابات مايو ١٩٩٦)لاسيما أن جو السلام سوف يساعد على بروز دورهم والقدرة على التحرك لاسيما أنه حاليًا لايوجد إلا حزبين رسميين عربيين أحدهم الحزب العربى الديمقراطى الذى يترأسه عبد الوهاب الدرواشة عضو الكنيست الإسرائيلى ويشكل العرب عدد ١٢ عضو فى داخل الكنيست لكن ذلك لايمثل القوة الحقيقية للوجود العربى بسبب تناحرهم وعدم توحدهم فى الهدف والحركة رغم أن توحدهم على قائمة انتخابية واحدة يرشحهم كقوة سياسية ثالثة فى السياسة الإسرائيلية بعد حزبى العمل والليكود .

ولكن لابد أن يأتى اليوم الذى يتيقظ فيه هؤلاء العرب الإسرائيليين عندما يدركون مدى الهدف القوى فى إقامة دولة فلسطينية علمانية تجمع اليهود والمسلمين والمسيحيين فى ظل كيان فلسطينى عربى وليس إسرائيلى العنصرية وهنا تكون هذه الجموع العربية قد ازداد تعدادها لاسيما أن نسبة الإنجاب تشكل نسبة عالية جداً بالنسبة لمواليد العرب رغم انخفاض الخدمات الصحية والتعليمية والاجتماعية فى القرى العربية (ثورة خمسين قرية مارس ١٩٩٦) وفرض اللغة العبرية كلغة رسمية فى المدارس إلا أن قوة العرب لابد أن تأخذ فى التصاعد وليس الهبوط لأن المجال السياسى سوف يتسع لاسيما أن القوى الفلسطينية بدأت تتنزل لترشيح نفسها داخل إسرائيل نفسها والعمل على توحيد الجانب العربى للعمل على نيل الحقوق الضائعة ولابد أن

تأتى اللحظة التاريخية التى تعيد للعرب قوتهم كأصحاب حق مسلوب ولاسيما أن اليهود الشرقيين يبدون تعاطف مع عرب إسرائيل لاسيما أن اليهود الشرقيين لم يكن لهم خيار سابقًا سوى الليكود أو العمل لكن فى ظل السلام ستكون لعبة السياسة الانتخابية تشكل بعدًا جديدًا للعرب ؛ لأن ثلاثة مقاعد (١٢ مقعدًا حاليًا) لن تكون الهدف الذى يسعى إليه التكتل العربى الذى يسعى لإحراز العديد من المقاعد داخل الكنيسيت ؛ لأن الأصوات العربية فى إسرائيل سوف تلعب دورًا مؤثرًا مهما كانت محدوديتها وفى الماضى كانت معظم الأصوات العربية تذهب إلى حزب العمل ، ولكن هناك علامات استفهام حول هذا التوجه العربى إذا استمر شيمون بيريز فى سياسة هدم المنازل وإرهاب الفلسطينيين تعاطف عربى لابد أن يأتى اليوم الذى يمارس فيه الدور الفعلى وسيكون عامل هدم للدولة الإسرائيلية التى اغتصبت أرض أجدادهم، ومع أن عرب إسرائيل (قوة الغد القادمة الفعالة والفاعلة) فى أغلبهم لن يصوتوا لصالح حزب الليكود بزعامة (بينيامين نتانياهو) مباشرة ، لاسيما أن قادة حزب العمل ألغوا جولاتهم الانتخابية فى القوى العربية (المحرومة من كل الخدمات) التى تعيش على حالها كما كانت قبل ١٩٤٨م . وذلك بعدما وقع من أحداث فى إحدى مباريات كرة القدم فى ملعب قرب (الطيبة) العربية وهتف خلالها (يحيا يحيى عياش ، والموت لليهود ، ردًا على ماحدث فى قرية كريات شيمونة) اليهودية فى شمال إسرائيل حيث هتف المشاهدون الموت للعرب وهكذا سوف يكون لعرب إسرائيل دورهم الفعال فى المرحلة القادمة وسوف يكون دورهم على سطح الأحداث المستقبلية عامل هدم إضافة إلى المتناقضات بين الأجناس التى تتكون منها إسرائيل فالغد سيكون الانهيار من الداخل ونهاية لإسرائيل .

وأنه إزاء البعد السياسى الذى تحدثنا عنه كعامل سوف يؤثر سلبًا فى الحركة الاندماجية بين الطوائف اليهودية مما يضع مؤثرات أو علامات فى طريق الانهيار فإن البعد الاقتصادى والمشاكل الاقتصادية سيكون لها تأثير أكثر خطورة على إسرائيل لاسيما إذا كان الاقتصاد الإسرائيلى فى بداية قيامها قد شهد نوعًا من الازدهار وذلك بعد سلبها وإحتلالها ٧٨٪ من الأراضى الفلسطينية عام ١٩٤٨م ومصادرة كل ماتركه العرب خلفهم من بيوت ومزارع ومصانع ومحلات تجارية وأنه رغم استيعابها فى الاقتصاد الإسرائيلى ثم مصادرة المزيد من الأراضى والملكيات فى الضفة الغربية وغزة والجولان بعد حرب ١٩٦٧م واستغلال مصادر النفط المصرية فى سيناء وما انهال عليها من معونات أمريكية وصلت إلى ٥٨ مليار دولار وتعويضات ألمانية وصلت إلى أكثر من ٥٠ مليار مارك ألمانى غير التسهيلات الائتمانية

لاستيعاب المهاجرين اليهود وهو ماجعلها تتطور فى خلال هذه الفترة ، لكن مع بداية الثمانينات توقف نموها الاقتصادى ولم يستطع معدل نموها أن يتطور .

ومن ثم فقد تكاثرت مشاكل إسرائيل الاقتصادية فى خلال السنوات (١٩٩٢ - ١٩٩٥) بسبب زيادة الإنفاق العسكرى وبناء قوة عسكرية حيث تجرى إسرائيل بتنفيذ برنامج خطتها (جوما) فى إطار مشاركاتها الولايات المتحدة فى برنامج حرب النجوم واتفاقيات التعاون الاستيراتيجى بين البلدين وارتباط برنامج إسرائيل لإطلاق أقمار صناعية فى الفضاء وأقمار التجسس الإسرائيلية وذلك لبناء ترسانة وقوة عسكرية ضخمة حديثة العتاد وبسبب زيادة بناء المستوطنات ، إضافة إلى ارتفاع معدلات البطالة وتدنى الحركة التعاونية من « الكابيو تيات » معنى هذا أنه بالرغم من المعونات المالية الضخمة التى تحصل عليها إسرائيل من الخارج فإن مشاكلها المتراكمة لايمكن أن تجد لها حل إلامن خلال شرق أوسط جديد أو من خلال سوق شرق أوسطية مشتركة لكى تستطيع أن تتغلب على مشاكلها وكسر الطوق العربى وإلغاء المقاطعة العربية ، لكن العرب سوف يكونوا متيقظين لمواجهة هذه الأفكار لاسيما أن إسرائيل ستكون أخطر منافس للعرب بعد السلام فى الشرق العربى ، وذلك هو التحدى الأكبر وأن مواجهة العرب الحضارية لإسرائيل على مختلف مساحات التحدى هى فى قوة مقاومتهم وتكاملهم فى أى عمل مشترك . لأن ذلك أصبح واجبًا بل فرضًا أن نعمل على إزاحة كل مايهدد مستقبل الشعب العربى ؛ لأن التعاون والتكاتف واليقظة هى الطريق لسد الثغرات التى تحاول أن تدخل منها إسرائيل ، ولابد من استغلال العوامل التى تساعد على التفكك والانهيار الإسرائيلى فإن ذلك لايمكن إلا من خلال سوق عربية مشتركة سدًا مانعًا أمام السوق الشرق الأوسطية تجاه إسرائيل .

أنه مما ساعد على انفجار إسرائيل من الداخل أن اليهود ليسوا قومية ولا هم شعب أو أمة بل مجرد طائفة دينية تتألف من أخلاط من كل الشعوب والقوميات والأمم والأجناس ومن ناحية أخرى فلا علاقة لهم جنسيًا أو أنثربولوجيًا بفلسطين وهم أجانب غرباء عنها دخلاء إن يهود إسرائيل حاليًا لا صلة لهم بيهود التوراة الذين اختفوا كالشبح ومن هنا يسقط كل ادعاء بأرض فلسطين ذلك ؛ لأن الأنثربولوجيا تبدد أى أساس جنسى أو حق تاريخى لهم فى فلسطين كما يزعمون . وأن يهود اليوم ليسوا من بنى إسرائيل وأن هؤلاء شىء ويهود التوراة شىء آخر أنثربولوجيًا ولا رابطة بين يهود القرن العشرين والحادى والعشرين ويهود التوراة إلا فى الدين اليهودى فقط .

وأن يهود فلسطين اليوم (١٩٩٦) أوربيون سلاف أو أوربيون أكثر منهم سامين وأنه ليس هناك أدنى صلة جسمية أو جنسية بين يهود اليوم ويهود التوراة بل إن يهود التوراة والشتات الأصلاء قد ذابوا وانصهروا وضاعوا فى محيط المهجر كقطرة فى بحر وأن يهود العالم اليوم فى سوادهم الأعظم هو أجانب متجولون أكثر منهم يهود متجولين ولقد قام عالم بريطانى أنثربولوجى هو (جيمس فنتتون) ببحث أثبت فيه أن ٩٥٪ من يهود إسرائيل ليسوا من بنى إسرائيل التوراة وأنهم أجانب اعتنقوا اليهودية عقيدة لهم . وأن اليهود فى فلسطين عبارة عن مجموعة عشوائية gnb-bag توحد بينها رابطة الدين بلا تماسك بيولوجى أو جنسى أو جينى أو سلالى وذلك بناء على رأى (لومبروزو) Lombroso بقوله : إن اليهود جنسيًا آريون أكثر منهم ساميين أو يفسر آخر أنهم أوربيون يهودًا أكثر منهم يهودًا بأوربا أو غيرها فإن كل سكان إسرائيل الحاليين يختلفون عن بعضهم البعض فى النمط الجسمى .

لذا فإن إسرائيل لا بد أن تنفجر داخليًا ويكون لها نهاية ذلك ؛ لأن الفكرة الجذرية فى خلق واغتصاب إسرائيل لأرض فلسطين لم يكن فى النهاية إلا فكرة (الجيتو) ، ذلك لأن الجيتو دولة أو هى دولة الجيتو ولكن كما ذاب الجيتو من الخارج لن يمضى وقت طويل حتى يذوب ويزول جيتو إسرائيل إلى الأبد ويتأكد ذلك لا محالة مستقبلاً ولن يجدى صراخ الصهيونية فى الانفجار داخليًا عندما يتأكد انحراف شعارات الصهيونية التى سلبت فلسطين من أهلها ، ولن يكون موقف الولايات المتحدة وأوربا الغربية إلا موقف المتفرج عندما تتغير موازين القوى العالمية ولن تفلح دعاوى الصهيونية التى تحاول أن تجعل من اليهودية العالمية شعبًا وقومية وأمة بل جنسًا مستقلاً وليس مجرد طائفة دينية تجمع من شتات الشعوب والقوميات والأمم والأجناس إنها لا تزيف التاريخ فقط بل أنها تقاوم حركة التاريخ وتطوره وأنها تسعى إلى تجميد التطور الإنسانى وإعادة حركة التاريخ للوراء وراء هرطقات وأفكار بالية لن يكون لها وجود فى مفهوم القرن الحادى والعشرين حيث سيسعى العرب للحصول على حقوقهم الضائعة فى فلسطين بأى شكل من الأشكال .

ويشير سفر (خرافيال) أن يهود فلسطين التوراة تخلطوا فى عقر دارهم مع جيرانهم من الفلسطينيين والثابت أن التحول والاختلاط كانا من المظاهر المتفشية قبل العصر المسيحى مباشرة وفى قرونه الأولى وهذا بالدقة ما حدث مرارًا وتكرارًا ؛ لأن اليهود قاموا بكثير من التبشير عبر قرون طويلة بين الأجناس بدليل تهود كثير من الهنود الحمر والزنوج فى أمريكا الوسطى والجنوبية واتخذوا اليهودية دينًا لهم ولا علاقة لهم جنسيًا ودمويًا باليهود أصلا والأدلة التاريخية

تشير إلى أدنى حق لليهود فى فلسطين وقد تشعبت اليهودية بين شعوب العالم المختلفة سواء من الوثنية أو المسيحية وهذه حالات معروفة تاريخيًا كحالة الخزر حول بحر قزوين والفلاشة فى الحبشة واليهود التاميل فى الهند وغيرهم من اليهود الكثيرين الذين هم أصلاً من داخل هذه الشعوب وليسوا من يهود التوراة الذين انقرضوا نهائيًا ولم يبقى منهم حاليًا إلا قرابة مائة أو مائتين فرد يعيشون فى قرية من قرى نابلس ويعرفون بالسومرين ولا يوجد مجتمع يهودى فى أى دولة من دول العالم أفلت من الاختلاط الجيولوجى مع غيره من الشعوب التى عاش فيها منذ المراحل الأولى لنشأة اليهودية والشتات .

ويذكر جوليان هكسلى Julian Huxley وهادون Haddon وكارسوندناز فى كتابهم نحن الأوربيين We Europeans قولهم : إن اليهود لا يمكن أن يصنفوا لا كأمة ولا حتى كوحدة أنثربولوجية بل بالأحرى هم مجموعة دينية تنتمى إلى الجنس الأرمنى (أرمنيا) فإنهم بالتأكيد يحملون كثيرًا من الصفات الأرمنية وتقاربهم مع الخزر وأنهم من أصول متنوعة ولا توجد بينهم وحدة طبيعية ونفسية وحضارية وما هم بوحدة جنسية ولا وطنية ولا لغوية وأنهم ليسوا إلا مجموعة معزولة حضارية Group Culural Isolate . وأن القول بوحدة جنسية بين اليهود ككل لا محل له من حقيقة أو علم على الإطلاق ، وأن الوحدة البشرية خرافة من خرافات اليهود كما يقول (رابلى Ripley) فثمة اليهود السود (الفلاشا فى الحبشة) وجنوب الصحراء الكبرى ويهود الهند الملونين والصفر فى التركستان وأواسط آسيا واليهود الشقر فى أوربا وأن بين هؤلاء الأجناس تفاوت كبير فى الدم وأن كل هذه الأجناس ليس بينها أدنى صلة عرقية أو سلالية أو جنسية مع اليهود السامريين الذين لا يزيد عددهم عن مائتين فرد والذين هم أصلاً لهم حق فى سكنى فلسطين حاليا .

وليس هناك ثمة فارق بين اليهود والمسيحيين فى روسيا وبولندا وكذلك بين يهود التركستان وذلك دليل على الاختلاط الجنسى وامتزاج الدماء . وأن يهود التوراة السامين القدامى سكان فلسطين كانوا طوال الرءوس ولا يوجد بين يهود اليوم طوال الرءوس وهذا يؤكد اختلاط الدم اليهودى بعناصر متعددة فى شتى أنحاء العالم وينفى حق السكنى فى فلسطين لأنهم ليسوا من يهود التوراة وأنهم تهجنوا صناعيًا لا وراثة بيولوجية ، وأمامنا ظاهرة معاصرة تعيش فى إسرائيل حاليًا وهى ظاهرة يهود الفلاشا Falasha والذين كانوا يعيشون فى شمال الحبشة قبل استجلابهم إلى فلسطين وهؤلاء ليسوا إلا عناصر متزنجة Negroid ويتكلمون لغة الأجادو الكوشية القديمة وكذلك بعض اليهود الأفريقيين الدجاتون Daggatuns فى جنوب

الصحراء الكبرى وكذلك يهود التاميل فى إقليم (كوتشين) جنوب غرب الهند وكذلك اليهود السـود فى أمريكـا الـلاتينية والجنـوبيـة وهـم من الخلاسين الذين جلبـوا من أفـريقيا واعتنقـوا اليهوديـة عند اختلاطهم بيهـود مهاجرين ، ومن المعـروف عن اليهودى أنه قصير القـامة إن لم يكن كالقزم أحيانًا (إسحق شامير) كمثل لليهودى .

ونقول كـذلك : إن هناك اتفاق تـام بين علماء الأنثربولوجيـا على أن يهود عصر التوراة فى فلسطين كانوا مجموعة سامية انقرضت منذ عصور طويلة ولايوجد أدنى علاقة بين يهود التوراة ويهود اليوم وأن المعـاصرين اليوم هم نتاج تحول غـريب بالاختلاط والانصهـار والتزاوج بشتى عناصر متعـددة مختلفة لأصـولها وأنهم اختلطوا مع كل عنـاصر العالم وأن مايجمعهـم فقط هو الدين اليهـودى (قصة الطفل الكـويتى الذى تبنته أسرة يهوديـة فى انجلترا) صحيفة التـايمز اللندنية (٤/ ٦/ ١٩٩٥م) نموذج على مـايقوم به اليهود من الدعوة لليهوديـة والرغبة فى زيادة أعدادهم فى العصر الحديث بعد أن نجحوا فى إقامة دولة لهم على حساب الحق الفلسطينى .

ومن هنـا نؤكـد ونكرر أكثر من مرة أن الأيام القـادمة سـوف تثبت أن إسرائيل لن تكون إلا مجـرد مرحلة زمنيـة بل رحلة فى عمـر الزمان لن يطول لهـا المقـام بل مرحلة شـتات تجمعى فى فلسطين شأن الشتات التـاريخى وأن وجود إسرائيل فى الشرق العربى والإسـلامى لن يكون إلا جملة اعتراضية فى تاريخ هذه المنطقة بل ومضة عابرة ونقطة سوداء فى تاريخ فلسطين ولكن بطول الـزمان حتى يكون الخروج الأكبر والجديـد من فلسطين ذلك ؛ لأن إسرائيل ظلت حتى اليوم لاتتحمل خسارة معـركة واحدة ؛ لأن معنى هذا زوال إسرائيل الدولة ومحوهـا من خريطة المنطقـة بل وخـريطـة العـالم وظل العـرب كما هـم يتحملـون خسـارة الحروب السـابقـة (١٩٤٨-١٩٥٦-١٩٦٧م) ليقفوا على أرجلهم بعـد كل هزيمـة (العمق التاريخى والصـلابة والقدرة العـربية على تحمل الصعـاب) ليواصلوا القتـال من جديـد حتى أنهم أفقدوا إسرائيل حلمها العـريض فى قيام إسرائيل الكبرى بـاستخدام القوة وأوصلـوها إلى النقطـة الحرجة التى انتقلت فيها من استراتيجية الهجـوم التوسعى إلى استراتيجية الدفاع الـوقائى أى أجبروها على أن تتراجع عن استراتيجيـة اختراق الحدود للتـوسع (١١-٢٧ أبـريل ١٩٩٦م) والهجـوم على لبنان لمحـاربة (حـزب الله) والاضطرار للعودة من حيث قـدموا ، ومن ثم اضطـرت إلى البقاء داخل الحدود حفاظًا على الوجود ومن ثم فإن الصراع العربى الإسرائيلى سوف ينتقل إلى عوامل القدرة ، والقـدرة هى مجموع قـوى الدولـة من رأس مال ومسـاحة أرضيـة وقوة بشريـة وإنتاج وتصديـر ونفط وغاز ومياه وسوق عربيـة مشتركة وقـوة عسكرية ، وإسرائيـل لاتملك كل هذه

العناصر ومن ثم فإنه فى حالة عدم توحد العرب فإن إسرائيل سوف تحاول الحصول على المصادر الأخرى التى تنتقدها ؛ لأنها لاتملك إلا القوة العسكرية ورغم إحرازها الكثير من التقدم فى العديد من المجالات المختلفة فإن ذلك لامكان له بدون التعاون الاقتصادى والسوق الشرق أوسطية والعلاقات ، وفى حالة نجاح العرب فى حصارها فلن يكون أمامها أية قوة وتكون عاجزة عن فرض الوجود والبقاء أبد الدهر الذى هو فى أيدى العرب ومن ثم تكون إسرائيل إلى زوال فى ظل توحد العرب .

إن كل هذه العوامل سوف تساعد على زوال إسرائيل وانفجارها داخليًا إن لم يكن خارجيًا وكل هذا يعتمد فى المقام الأول على الدور الذى يستطيع العرب أن يلعبوه فى مواجهة التحدى ولقد كانت دعوة مؤتمر دمشق الذى عقد بين الرئيس حسنى مبارك وحافظ الأسد والأمير عبدالله عبد العزيز ولى عهد المملكة السعودية وما نجم عن عقد مؤتمر قمة عربى يعقد فى القاهرة فى الفترة بين ٢١-٢٣ يونيو ١٩٩٦ تحضره عشرين دولة عربية لتقرير خطة المواجهة للمرحلة القادمة مع مواجهة (لاآت) بنيامين نتانياهو رئيس وزراء إسرائيل الجديد والقدرة على وحدة الصف العربى تحركًا لمرحلة قادمة يستطيع فيها العرب أن يحققوا أهدافهم فى استرداد الحق السليب فى فلسطين ذلك لأن إنشاء دولة يهودية فى فلسطين تتعارض مع مبادئ الدين الموسوى .

إنه رغم الخط الذى تنتهجه الولايات المتحدة الأمريكية والغرب عامة من توجس خيفة من نهضة العرب بقيادة مصر ومن ثم فليس النفط والموارد الطبيعية وإسرائيل وحدهما اللذان يحددان مسار السياسة الغربية الأوربية الأمريكية إزاء العرب ومصر ولكن هناك هواجس التاريخ والعمق الحضارى والحس بالدور العربى والجغرافيا والاستراتيجية التى تجعل أمريكا والغرب يتوجس خيفة مرة أخرى من القومية العربية (مؤتمر القمة العربى بالقاهرة ٢١-٢٣ يونيو ١٩٩٦م) بل الأحرى الخوف من الإسلام والعروبة ولذا تبدو العوامل الأربع العروبة والإسلام وإسرائيل والنفط بمثابة حوائط عازلة نسبيًا بين الغرب والولايات المتحدة والعرب ومصر .

ومن هنا وقفت الولايات المتحدة منذ منتصف الأربعينيات من هذا القرن موقف مناهض للأمانى العربية القومية على طول الخط منحازة إلى جانب إسرائيل والصهيونية ولكن

كل هذا لن يكون فى نهاية الأمر إلا مرحلة من مراحل التاريخ التى تعود فيها الأمور إلى مسارها الطبيعى ؛ لأن وجود إسرائيـل فى المنطقة العربيـة الإسلاميـة ضد مسار التـاريخ الطبيعى ولأن وجودها على عكس حـركة التاريخ الطبيعى والتاريخ يتحرك للأمـام ولن يكون وجود إسرائيل الا ضد طبيعة الأشياء وهو الاغتصاب الذى لامحالة إلى زوال .

ولقد سـبق أن قال هـنرى كيسنجر اليهـودى العقيـدة الألمـانى الأصـل ووزير خارجية الولايـات المتحـدة الأسـبق قولتـه المشهورة (إن كل الحـروب تبـدأ من حالة سـلام) وهـذا القول يناسـب جدًا الوضع القائم فى الشـرق الأوسط الذى شـهد تـاريخه حـالات لا تحصى من تمزيق معاهـدات صـداقة وسـلام كـانت مبرمة بين الـدول بعضـها البعض ولم تمنع من نشوب حرب .

إننا إذا كنا نعيـش جيل (الصابرا) المولود فى إسرائيل منـذ عام ١٩٤٨-١٩٩٦م بعد أن قرب الجيل القديم الذى أقام إسرائيل أن يترك مقاليد الأمور للجيل الجديد (بنيامين نتانياهو) رئيس وزراء إسرائل الحالى وزعيم حزب الليكود (٤٧ سنة) والادعـاءات الباطلة باسم شعب الله المختار والشعب اليهودى الواحد فإن كل ذلك يبطله التاريخ والأحداث الحالية؛ ذلك لأنه لا يوجـد على الأرض أمة تنحـدر جميع أفرادهـا من أصل واحد ويتحـدون فى الدم بل أنـه من المستحيل وجود أمة شبه خالصة أو نقية الـدم بسبب كثرة الهجرة والاختلاط وتداخل الأجناس فى مختلف أدوار التاريخ فما بالنا بيهود شتات كل العالم ، ومن هنا فإنه يمكن القول بكل تأكيد أن وحدة الجنس فى إسرائيل ليست إلا قولاً باطلاً لا سنـد جنسى أو أنثربولوجى أو جنسى أو جينى بل هو وهـم من الأوهام الكبرى المضللة التى لا تستند إلى أية أدلة أو براهين علمية وعلى هذا الأساس يمكن أن نرفض يهودية وحدة الجنس اليهودى كأساس من أسس بناء أو مقومات الدولـة اليهودية . إنما وحدة الـدين هى التى تشكل الدولة ، لأن الأخذ بفكـرة الجنس السامى الواحد نوع من الخيال الذى لا يقف مع الوقائع التاريخية والحقائق العلمية .

وأن فكرة الدين اليهـودى فى إقامة إسرائيل إسراف مبالغ فيه ؛ لأن الوحـدة الدينية لم تعد دعامة أساسية فى بناء الدولة لأن العقيدة فى هذا العصر الحديث أصبحت شيئًا شخصيًا يتعلق بمصير الإنسان فلكل فرد أن يعتنق ما يشاء من الأديان السماوية وإسرائيل هى الدولة الوحيدة على الأرض التى تتكـون من مواطنين يـدينون جميعًـا بدين واحـد (يوجد حـوالى مليون عـربى

إسرائيل قبل ١٩٤٨ يدينون بالإسلام والمسيحية) ذلك لأن الدين شيء بعيد عن أن يكون بمفرده أساسًا لتكوين دولة فى العصر الحديث .

لكن كيفية المواجهة المستقبلية مع إسرائيل فى مرحلة التحديات والقرن الحادى والعشرين وفى ذلك يقول الدكتور فوزى حماد رئيس مؤسسة الطاقة الذرية السابق إن الصراع العربى الإسرائيلى قد حسم حين لم يوجد رد فعل عربى على إنشاء مفاعل ديمونة عام ١٩٥٦م وما يحدث الآن هو تداعيات لهزيمة وقعت وهى هزيمة تكنولوجية وأن مراحل بناء القوة الإسرائيلية هى قوة علمية تكنولوجية من الأساس والأمن القوى الإسرائيلى هو أن التقدم العلمى والتكنولوجى هما مصدر قوة إسرائيل وفى خلال الأربع أعوام الماضية ومنذ مؤتمر مدريد (١٩٩٢-١٩٩٦م) فإن إسرئيل نقلت نشاطها العلمى إلى كل المجتمع الإسرائيلى حيث تم بناء قاعدة تكنولوجية رفيعة المستوى فارتفعت صادرات إسرئيل من ٤,٥ مليار دولار إلى ٩ مليار دولار ، إن إسرائيل تتدعم باستمرار ، لقد وصل إلى إسرائيل مايزيد عن سبعمائة ألف روسى يهودى من بينهم مابين خمسة إلى سبعة آلاف عالم روسى حاصلين على الدكتوراة منهم أربعين عالم ذرة على مستوى رفيع من الخبرة ، لذا فإن المواجهة مستقبلاً مع إسرائيل لن تكون إلا بالاهتمام با لمراكز العلمية والبحثية وقدر ة العرب جميعًا على بناء قاعدة علمية تكنولوجية متطورة ومتقدمة وذلك لقدرة الأمة العربية والإسلامية على مواجهة التحدى الخطير ؛ لأننا تواجه قوة إقليمية مهيمنة على المنطقة حاليًا فهل يكون العرب قادرين على مواجهة التحدى وتحقيق الهدف الأسمى فى أن تكون فلسطين من البحر الأبيض المتوسط إلى نهر الأردن ، إن بقاء إسرائيل إهانة بالغة للأمة العربية .

إن العنصرية تهدد المجتمع الإسرائيلى بالزوال بسبب التفرقة والانقسام بين يهود إسرائيل الشرقيين السفارديم واليهود الغربيين الأشكيناز ، فيقول مواطن يهودى شرقى لإذاعة لندن مساء السبت ٢٢/ ٦/ ١٩٩٦م أنا ولدت فى إسرائيل عام ١٩٥٢م وألاحظ أن الفوارق كبيرة بين اليهود الشرقيين والأوربيين والعنصرية ظاهرة جدًا ، الأوربيون يشكلون القوة والإدارة وقيادة الجيش والحكم والشرقيون يعاملون كيهود من الدرجة الثالثة والشرقية أكثر الفرق اليهودية استياء ، اليهود الروس سبعمائة ألف نسمة استطاع تنظيمهم أن يفوز بسبع مقاعد فى انتخابات إسرائيل الأخيرة ، بينما الشرقيون اليهود عاملهم حزب العمل بطريقة عنصرية .

ويقول يهودى شرقى يدعى (يرون ازراهى) أنه فى الانتخابات الأخيرة صوت ٧٠٪ من اليهود الشرقيين لصالح نتانياهو كذلك صوت ٩٠٪ من اليهود المتدينين لصالح نتانياهو . وكل ذلك سوف يساعد على المدى البعيد بتفكك المجتمع الإسرائيلى لاسيما أن كل هذه العناصر ستكون سالبة فى غير صالح المجتمع الإسرائيلى ، كذلك فإن إسرائيل لم تعد لها مزاياها التى كانت تعتمد عليها أمريكا فى مقاومة الشيوعية التى لم تعد لها وجود بعد انهيار الاتحاد السوفيتى عام ١٩٩١م ، واتخاذ دولة النهج الديمقراطى للسير إلى الغرب ، كذلك لم تعد تحمى آبار البترول العربية بعدانتشار القوات الأمريكية فى هذه الأقطار ، كما أن السلام الشامل فى المنطقة تجعل اليهود فى شتى أنحاء العالم لا يحسون بالخطر على إسرائيل وهذا يفقد الصلة القومية بين الطوائف اليهودية فى شتى أنحاء العالم ، وإسرائيل التى ستفقد العون المادى والمعنوى والهجرة إلى إسرائيل حيث أن إسرائيل لم تعد البلد المثالى لليهود لذلك فمن المتوقع أن يهجرها الكثيرون إلى أمريكا وأوربا وكل هذه الأمور سوف تساعد على انهيار إسرائيل من الداخل .

* * *

الفصل الثامن

إســرائيل والانفجـار من الخــارج

(هل تكـون حـرب عربية إسرائيلية أخرى)

إسرائيل تسعى حاليًا لكى تمد جسورها إلى دول الشرق العربى وإقامة علاقات دبلوماسية واقتصادية وثقافية باعتبار أنها عضو شرعى معترف به من الدول العربية المجاورة وغير المجاورة لا سيما الانطلاق الإسرائيلى الواسع إلى دول العالم الإسلامى بعد توقيع اتفاق واشنطن بين العرب الافلسطينيين وبين إسرائيل عام ١٩٩٣م لكى تضع لبنات وجودها فى المجتمع العربى الإسلامى ناسية دور الحركة التاريخية التى تعيد الحق لأصحابه الشرعيين رغم الفكرة الاستيطانية ، وهنا نعالج درسين من دروس الماضى انتقالاً إلى مرحلة مستقبلية ؛ ذلك لأن أخطاء الماضى ساعدت على قيام إسرائيل وهو ما يتداركه العرب وأخوانهم المسلمين .

إن العرب فى صراعهم السابق مع إسرائيل (١٩٤٨ - ١٩٧٣م) لم يأخذوا البعد الإسلامى منطلقًا لإعادة الحق لأصحابه الشرعيين لكن البعد كان عربيًا قوميًا وذلك أفقد الصراع بعدًا يزيد فى قوتها ذلك ؛ لأن فلسطين جزء من صميم أرض الرسالة فى الإسلام ؛ ذلك لأن مهد الإسلام يمتد كمحور طولى من الحجاز وفلسطين وكل من هذين القطبين الشمالى والجنوبى هو بحق عاصمة الإسلام دينيًا (مكة المكرمة والقدس) إن مكانة فلسطين فى العالم تتلخص ببساطة وبما فيه الكفاية من أنها منطقة النواة وقدس الأقداس فيه أرضًا ودينًا (الإسراء

والمعراج) ومن هنـا فإن الصهيونية هى استعمار دينى طـائفى فكان لابد أن تواجـه بوازع دينى وفكر إسلامى دينى ، وإن كان الفكر الدينى فى الصراع لم يستطع العرب استخدامه وإن كانت الفكـرة الدينيـة فى القضية الفلسطينيـة أخذت بعـدًا جديـدًا بعد الثـورة الإسلاميـة الإيرانيـة (١٩٧٩م) وتدخلهـا المباشر فى الحرب الـدائرة فى جنوب لبنـان ومسانـدة حزب الله اللبنـانى بالمـال والسلاح والتدريب والتأييد حتى هذه اللحظة .

والمعروف إن الدول الإسلامية تحركت عام ١٩٣١م لمساندة عرب فلسطين فى الحفاظ على عروبتهم وعـدم تمكن إسرائيل لبناء دولتهـا لا سيما بعد أن قام وفـد فلسطينى بجولـة استمرت سبعـة أشهر طـاف خلالها بـالعـراق وإيران وأفغـانستان وبلـوخستـان والهند واجتمع بـزعماء المسلمين ، لكن الحكـومـة البريطانيـة عـرقلت هـذه المساعى وكـانت تقف وراء عـدم جعل القضية الفلسطينية قضية إسلامية وحصرها فى نطاق العرب للعمل على تمكين قيام إسرائيل .

ونقول بكل وضوح تصحيحًا لأخطاء المـاضى : إنه إذا كانت الجهود الفلسطينية والعربية والإسلامية التى حاولـت أن تتجمع فى بداية الثلاثينات من هذا القـرن ووضعت أفكارها حيز التنفيـذ وقيام حـركات إسـلاميـة عربيـة لاستطاعـت هذه الأفكـار على الأقل عرقلـة المشروع الصهيونى لإنشاء إسرائيل ، ولتغير وجه التـاريخ فى فلسطين ربما لفترات أطول ، ولكان القرار العربى الإسـلامى قادرًا على اتخاذ الموقف الإيجابى القادر على مواجهـة مخطط تهويد فلسطين ، ولنا فى ذلك عبرة منذ أحداث عام ١٩٧٥م عندما ظهرت فكرة تنظيم مسيرة إسلامية إلى مدينة القدس لا سيما بعد عقد مؤتمر بشأن القـدس فى المغرب فى إطار منظمة المؤتمر الإسلامى حيث طرح تصور تنظيم مسيرة إسلاميـة تجمع ما بين اثنين مليون مسلم أو أكثر ليعبروا نهر الأردن فى مسيرة شعبية يواكبها فى الـوقت نفسه إعلان عشرة أو أكثر من رؤساء الدول الإسـلامية عزمهم على دخول القدس برًا أو جوًا فى يوم محدد تخطر به الأمم المتحدة ، ويتم ذلك بتنسيق كامل مع الأردن ومصر والمغـرب والسعـوديـة وبـاكستـان وإيـران ، وأن تـوضع خطـة العمل والتجمع والتحرك قبل إتمامه .

وفى ذلك لقـد رحب بعض رؤسـاء الـدول الإسـلاميـة بهذه الفكـرة تـرحيب يـدعـو إلى الطمأنينة بقوة العزيمة الإسلاميـة والإيمان بالحق العربى الإسلامى فى فلسطين ويكفى الإشارة إلى أن (الزعيم على بـوتو رئيس وزراء بـاكستان فى ذلك الوقت ووالـد بنظير بوتـو رئيسة وزراء

باكستان الحالية) قد صرح بأن باكستان يمكنها أن تقدم فى سبيل الوصول إلى القدس ثلاثة ملايين متطوع ومليون شهيد إذا اقتضى الأمر .

ولقد حال دون إتمام هذه المسيرة عدم الإجماع العربى والإسلامى بشأنها وهكذا كانت التدخلات البريطانية فى أوائل الثلاثينات (١٩٣١م) عاملاً قويًا فى عدم اتخاذ البعد الإسلامى منطلقًا لمواجهة المخطط الصهيونى لابتلاع فلسطين وكذلك كان التدخل الأمريكى عام ١٩٧٦م بعدم القدرة على تحريك المسيرة الإسلامية نحو القدس وهكذا تمكنت الصهيونية من تنفيذ أحلامها فى سلب فلسطين ، هذا خطأ قاتل لم ينجح فيه العرب والمسلمون فى عرقلة المشروع الصهيونى .

وجاء الخطأ الثانى أنه عندما دخلت الجيوش العربية متفرقة إلى فلسطين عام ١٩٤٨م دون حدوث أدنى تعاون أو خطة قتال مدروسة أو متعاونة مما أتاح لليهود أن يحرزوا انتصارات وأن يحققوا هدفهم فى إقامة إسرائيل وتم توقيع الهدنة عام ١٩٤٩ ، وبعد ذلك قام الملك عبد الله ابن الحسين ملك شرق الأردن بضم الضفة الغربية الفلسطينية للأردن وإعلان المملكة الأردنية الهاشمية وكذلك قامت مصر فى عهد الحكم الملكى بوضع قطاع غزة تحت الإدارة المصرية كان ذلك خطأ تاريخيًا قاتلاً لم ينتبه العرب إليه حتى الآن ؛ ذلك لأنه كان الواجب العربى يحتم أن تقام دولة فلسطين فى تلك المناطق منذ عام ١٩٤٩م وليس حكم ذاتى عام ١٩٩٣م (تصور كم عامًا أضاعها الحكام العرب على عرب فلسطين ، أربعة وأربعين عامًا) كانت الأمور فيها قد تغيرت وكانت لابد أن القوى العربية قادرة على إيصال الضفة الغربية مع غزة بشريط أرضى يمكن قيام دولة فلسطين على الأرض التى كانت تحت السيادة الأردنية والمصرية ، ولكن عامل الوصاية على الشعب الفلسطينى آخر القضية لهذه الأعوام الطويلة ولو أنه تمكن الشعب الفلسطينى من إدارة شئونه بنفسه لتغير وجه التاريخ فى هذه المنطقة على الإطلاق ولكان ما يسعى الفلسطينيون الحصول عليه عام ١٩٩٦م قد تحقق عام ١٩٤٩م .

أفضل هنا فى هذا التحليل الذى ربما يكون خاطئًا أو خياليًا من وجهة نظر العديد الذين يرون أن إسرائيل أمرًا واقعًا وأن إسرائيل وجدت لتبقى أبد الدهر وأن اتفاقيات السلام تجعلها عضوًا معترفًا به فى العالم العربى والإسلامى . لكن قيام منظمة التحرير الفلسطينية بعقد صلح

« أسلـو » فى النرويج ثم التـوقيع على اتفـاقية السـلام فى واشنطن عـام ١٩٩٣م وكذلك قيـام سلطة الحكم الذاتى فى غزة وأريحا أولاً ثم بعض أجـزاء من الضفة الغربية فى ظل ظروف تحكم إسرائيليــة قــاسيــة جـدًا إلا أن ذلـك يشكل بـادرة أمل فى المدى البعيــد ذلك ؛ لأن حلم الفلسطينيين ليسـوا من الذين يشكلـون نظـام الإدارة الحالية . لكن فكـرة المستقبل فى أن دولة فلسطين الديمقراطية لابد أن تمتد من النهر إلى البحر لكن هذا الشعار لا يرفع حاليًا إن سلطة الحكم الذاتى فى بعض أجزاء فلسطين لا زالت وليـدة والوليد لابد أن يحتاج إلى رعـاية وحماية وتحصين وإعطاء جرعات دوائية لحمايته وأنه عنـدما يشب عن الطوق ويصل إلى مرحلة الرشد فإن ذلك سوف يكون منطلقًا جديدًا لدولة أدركت أنها وصلت إلى مرحلة الشباب والقوة ؛ لأن الشباب قوة وأنه لـن يمضى بعيدًا على قيام الدولة الفلسطينية التى ستكـون عاصمتها القدس الشريفـة وإلا يجد الإنسـان نفســه أمـام حقـائق لا يمكن إغفـالها إن شرطـة الحكم الـذاتى الفلسطينى منزوعة السلاح وأنها دولة بلا جيش ولا وزارة خـارجية ولا تنظيم دبلوماسى يعطيها حق الدولة المستقلة الكاملة .

ونحن أنفسنـا هنا نعـود إلى ابن خلـدون فى مقـدمة الفصل الـرابع عشر بعنـوان (فى أن الدولـة لها أعمار طبيعية كـالأشخاص) ونقـول فى ذلك : إن الدولـة فى الغالـب لا تعدو أعمار ثلاثة أجيال ، والجيل يتكـون من أربعين عامًا ، الذى هـو إنهاء النمو والنشوء إلى غايتـه ، وأنه بالنسبة لبنى إسرائيل فى حكمة التبة فى صحراء سيناء ، والمقصود بالأربعين عامًا فيه فناء الجيل إحياء ونشأة جيل آخر ، وهكـذا فإنه فى خلال ثلاثة أجيال يكـون هِرَم الدولة (الهِرَم - الكِبر) (الشيخـوخة) ولهذا كـان انقراض الحسب فى الجيل الـرابع ، ولهذا يجرى على ألسنة النـاس أن عمر الـدولة مـائة سنة ، ومن هنـا فإن السلطة الـوطنية الفلسطينيـة التى تسعى حاليًـا فى ظل ظروف سياسة وتحكم إسرائيل فى مقدرات هذه السلطة لابـد أن تجد متنفسًا بعد مرحلة تاريخية قـادمـة لاسيما أن الشعـب الفلسطينى الـذى عـانى كثيرًا فى ظل الاحتــلال والتشرد والإبـادة والمعـاملة غير الإنسـانية سـوف يجد نفسه فى وقت من الأوقـات فى صورة قـوية وهـو الشعب الصابـر المصابـر الذكى المتعلـم الذى أفزع دول العـالم بأطفال الحجـارة والانتفاضـة وتسليم إسرائيل بالاعتراف بمنظمـة التحريـر الفلسطينية فإنـه لقادر كل القـدرة مهما تكن الضمانات والمواثيق الدوليـة التى وضعها ياسر عـرفات فإن عـرفات لن يدوم والخط السيـاسى ليس خطًا

ثابتًا فالدول تتغير سياستها برؤية الحكام ولاسيما أنه فى المدى القريب (ربع أو نصف قرن) سوف يكون البعد الفلسطينى فى إدارة دولته قد حقق تقدمًا كبيرًا ولاشك أن الموازين الدولية سوف تتغير لغير صالح الولايات المتحدة وغرب أوربا السند الأوحد للكيان الإسرائيلى .

إن التوازن بين آسيا والغرب سوف يجعل الحركة الفلسطينية المستقبلية قادرة على أن تجد فكرة إقامة فلسطين الديمقراطية العلمانية طريقها إلى التنفيذ وأنه ببساطة وموضوعية فإن الدولة الفلسطينية سوف تكون القشة التى تقصم ظهر البعير .

إن إسرائيل تسودها حالة من الفزع والخوف فلم يعد الإسرائيليون يعرفون موعد ومكان الموت القادم هل فى القدس أو فى تل أبيب أم فى عسقلان أم فى أى مكان فى إسرائيل ، فإسرائيل لاتعرف ماذا تفعل حدث ذلك بعد قيام حركة التفجيرات الإنتحارية التى قام بها فلسطينو حماس فى خلال أسبوع واحد أصبح الإسرائيلى يبحث عن أمانه الشخصى المقتول لقد مرت فى إسرائيل ثمانية أيام من التفجيرات والجحيم الذى لم يسبق له مثيل فى إسرائيل . لقد تحطمت فكرة الإسرائيليين الكاذبة بأن العرب قبلوا السلام بسبب قوة إسرائيل فجاءت موجة الانفجارات لهدم هذا الاعتقاد من أساسه فالقوة لم تأتى بالسلام والسلام القائم على القوة صورة من صور الحرب .

ولكن منطق القوة فكرة خاطئة تسود الذهن الإسرائيلى عن العرب ونعود للوراء بالذاكرة عام ١٩٧٣م ولينظر القارىء العربى إلى صورة الإسرائيليين غداة حرب العاشر من رمضان ١٩٧٣م وانظر صورة وزير خارجية إسرائيل أولاً قبل رئيسة وزراء إسرائيل ووزير دفاعها وماذا فعل « أبا إيبان » وزير خارجية إسرائيل فى ذلك الوقت لقد صرخ وزير خارجية إسرائيل عام ١٩٧٣ إن إسرائيل تنتهى ولقد انتهى الاستعلاء والغرور الإسرائيلى وانتهت الاستهانة بكل ماهو عربى (أباإيبان) وزير خارجية إسرائيل يدخل قاعة الأمم المتحدة مهرولاً ووراءه رئيس وفده بالأمم المتحدة (تاكواه) وهو يصيح فى رعب إسرائيل تنزف ويطلب فى لهفة التدخل من جانب المنظمة الدولية .

من كان يتصور أن يحدث مثل هذا الرعب من جانب من كان يسخر بالأمس من العرب وهو يردد أن اليد الإسرائيلية قد قطعت ، ومن ثم فإنى واثق كل الثقة فى المستقبل العربى والفلسطينى ، نعم مستقبلنا العربى الفلسطينى بخير ولانقبل الانهزامية التى تحاول الأحداث

أن تدفعنا إليها دفعاً مهما كانت اتفاقيات السلام ، لكن كيف تحول حلف المعتدين على مشهد من الأمم المتحدة إلى ذعـر واستغاثة مـوجهين نداءهم إلى المنظمة الـدولية ومرددين : انقـذونا «إسرائيل تنـزف ، إسرائيل تنـزف» . ولكن سـوف تـأتى أيـام يقـال فيهـا : إن إسرائيل مـاتت بالسكتة القلبية .

إن الأحداث كثيرة وذكرها هنا لايدخل فى نطاق الموضوع ولكنها تذكرة فإن الأحداث لابد أن تتكرر ولن يـدوم الحال فدوام الحال من المحـال ولكل بداية نهايـة ، فالعـرب الفلسطينيون يتحركون فى الاتجاه السليم على درب الاستقلال وبناء الدولة الفلسطينية ، إن الفلسطينيين ربما يحققون أهدافهم بـلا حرب وبلا جنود وبـلا دبابات وطائرات وصـواريخ إنما حرب المنتحرين حـرب الأجساد الملتهبـة التى تحترق الأجساد ليست كحـرب الحدود والصحراء الخاليـة إلامن العساكر وعتادهم .

لكن ماهى صلة كل هذا برأس الموضوع : انهيار إسرائيل من الخارج ، معنى هذا أنه لابد أن تحدث صراعـات عسكريـة خارج حـدود دولة إسرائيل سـوف ينهى وجودهـا من خريطـة الشرق العربى أو الشرق الإسـلامى . ونقول هنـا : إن الدولـة الفلسطينية إذا لم تستطع أن تحقق هدفها البعيد أو القريب فى بناء دولـة فلسطينية كاملة على التراب الفلسطينى الكامل من النهر إلى البحـر ؛ فإن ذلك إن لم يتحقق عن طـريق إذابـة اليهـود فى هـذا الكيان لاسيما أن الـدولـة الفلسطينيـة حاليًـا تتشكل من ٢ مليون نسمـة يضاف إليهم مليـون فلسطينى إسرائيلى داخل إسرائيل يكـون عددهم حـاليًـا ٣ مليون ضـد أربعـة ملايين يهودى مع مـراعـاة نسبة المواليـد والتعاطف اليـودى الشرقى وكراهية بعض اليهـود لفكرة كيان يهودى صهيونى ومطـالبة بعض الجاليات اليهودية بعدم تقـديم المال لإسرائيل وانهاء فكرة الهجرة إلى إسرائيل كل هذه العوامل سوف تكون مساعدة على إضعـاف إسرائيل مع الـوقوف ضد فكرة الشرق أوسطية وقيام السوق العربية المشتركـة ، كل ذلك سوف تكون عوامل مسـاعدة للدولة الفلسطينية كى تـدخل بندية مع الكيان الإسرائيلى ، لأن الدولة الفلسطينية لن تقبل بفكرة دولة فى الظل بل تكون دولة كاملة متكاملة بها كـل مقومات الدولة ، عسكـريًا وسياسيًا وثقـافيًا وعلميًا وتطورًا مما يدفع إسرائيل لمحاولـة إثارة المشاكل أمـام الدولة الفلسطينيـة مما يستـدعى تعاطف بعض الدول العـربية أو الإسلاميـة مع الفلسطينيين فى صراعهم مع الجارة إسرائيل لاسيما أنـه ليس كل الدول العـربية

مهما كانت تطلعاتها نحو السلام على استعداد للاعتراف بإسرائيل وإسرائيل تدرك ذلك رغم المخططات الأمريكية بمحاولة تقليم أظافر هذه الدول (العراق - إيران - ليبيا) .

كذلك فإن إسرائيل التى جبلت على العدوان والاغتصاب والإرهاب والتوسع لن يحقق السلام كل طموحاتها لاسيما أنها مساحة ضيقة من الأرض ولاتملك موارد طبيعية تتيح لها الطموحات التى تريد تحقيقها فى بناء دولة واسعة على حساب جيرانها العرب وكذلك قلة مصادر المياه التى سوف تجد نفسها على المدى البعيد فى أمس الحاجة إليها كل هذه العوامل سوف تدفعها مستقبلاً لشن حرب عدوانية أو وقائية على الدولة الفلسطينية عندما تشعر بقدراتها على التعامل معها من منطلق الند وليس دولة تابعة وكل هذه العوامل قد تكون من المسببات لحدوث صدام واسع فى الشرق العربى أو الشرق الإسلامى كذلك فإن منطق القوة الذى تسير عليه إسرائيل وتدركه خطأ هو الطريق إلى تركيع العرب لابد أن يأخذ بعدًا مغايرًا للفكر الإسرائيلى الذى يتحكم ليس فى عامة الشعب بل فى القيادة الإسرائيلية لاسيما أننا جميعًا شاهدنا وتابعنا وسمعنا شيمون بيريز فى مؤتمر صانعى السلام الذى عقد فى مدينة شرم الشيخ بسيناء مصر فى يوم الأربعاء ٢٣ مارس ١٩٩٦ أمام كل القادة يقول بالحرف الواحد إننى أتحدث من منطلق القوة .

فهل لفكر مثل هذا يكون السلام طريقًا للتعايش معه ؛ لأن منطق القوة يتعارض مع السلام ولن تكون إلا استسلام ولكن ماذا فعلت القوة النووية والصواريخ العابرة للقارات مع الإتحاد السوفيتى ، إن الاتحاد السوفيتى سقط وانهار وتصدع دون طلقة واحدة فهل تعتبر إسرائيل بما حدث ، بل إنها لم تأخذ درسًا من حرب أكتوبر ١٩٧٣ عندما صرخت جولدمائير رئيسة وزراء إسرائيل فى هذا الوقت معها وزير دفاعها « موشى ديان » للولايات المتحدة (إن إسرائيل تنهار ، إن إسرائيل فى خطر) وما كان إلا أن تم شحن المعدات العسكرية من قواعد فى ألمانيا فورًا إلى ميدان القيتال فى سيناء وأنزلت هذه المعدات فى ميناء العريش المصرى المحتل فى هذا الوقت ، وعندما تم تحطيم دبابة إسرائيلية وجد أنها حركتها لم تزيد عن ١٠٠كم أى أنها المسافة التى قطعتها من مكان شحنها إلى العريش ثم من العريش إلى ميدان خط القتال غرب القناة ، إن إسرائيل لاتدرك كل هذه الأحداث ومن هنا فلابد أن تكون جولة أخرى من القتال ، ونقول : إن إسرائيل قاتلت أربع حروب أو خمس حروب وحققت انتصار على الجانب

العربى فى معظمهـا لكن العرب ظلوا كما هم فى ديارهـم وتابعوا حركـة النضال ولكن إسرائيل ستظل تحت رحمة هـزيمـة واحـدة وسيصبح مـوقفها عنـد ذلك بـاعثًـا على الأسى وغير قـابل لـلإصلاح ولن تكـون إلا النهايـة وقد حـدث هذا فى أكتـوبر ١٩٧٢ وسـوف يحدث فى المدى القريب أو البعيد ولن تدوم إسرائيل فى أرض عربيـة مغتصبة ذلك ؛ لأن الأجيال العربية تدرك أن إسرائيل دولة مغتصبة وأن الأراضى التى تقوم عليها هى أراضى عـربية منذ أربعة آلاف عام قبل الميـلاد وأن المرور الإسرائيلى القـديم فى أرض فلسطين لبضع سنـوات لايعطى لها الحق فى اغتصاب هـذه الأرض ، بل إن الإسرائيليين القدامى أتبـاع التوراة قد تنصروا واعتنقـوا العقيدة المسيحية ، أو اعتنقوا الإسلام وأن بقاياهم قد ذابت[1] .

إن الحرب مع إسرائيل قادمة لامحالة إن آجلاً أم عـاجلاً طال الزمن أوقصر ، ولكن تكون إسرائيل هى الـرابحة هـذه المرة لأن التوازن النـووى والوحـدة العربيـة أو التكامل العـربى أو التعاون العـربى سوف يكون قـد تحقق ولن يكون أمـام إسرائيل إلا التعاون فى ظل دولة عـربية فلسطينية علمانية تضم الطوائف الثلاثة فى كيان واحد (المسلمين والمسيحيين واليهود) .

إن الفكر الإسرائيلى لن يتغير فكما قال الدكتور أسامة الباز مدير مكتب رئيس الجمهورية للشئون السياسية فى نـدوة له بجامعة القاهرة بعنوان : (النظام العـالمى الجديد وعلاقات مصر الدولية) بتاريخ ٢٣ مارس ١٩٩٤م ، « إن هنـاك فئات فى المجتمع الإسرائيلى تنظر إلى العرب على اعتبـار أنهم حشرات يجب إبـادتها والقضـاء عليها وأن التصـورات الإسرائيليـة تصـورات خلافية ففى إسرائيل جماعـات تؤمن بفكرة الحرب الطويلة لسنوات قـادمة ورغم الاختلاف فى القضايا فإن اليهود يتماسكون عندما يحسـون أن إسرائيل فى خطر وأن الحكام الإسرائيليون كانوا يخيفـون الشعب بأى اعتــداءات محتملـة وبأن الأمن الإسرائيلى فى خطـر وأن العـرب سـوف ينقضـون عليهم حتى بعـد الحروب التى انتصروا فيهـا وهـذا هـو الفكـر الإسرائيلى على المدى البعيد » فهل هـذا الفكر يعيش فى سـلام أم السلام مـرحلة مؤقتـة لابد أن تتبعهـا حرب (إن شيمون بيريز وإسحـاق رابين) طالما هددوا بالحرب الوقائيـة ضد سوريا عندمـا كانت تتوقف المفاوضات ويرفض الطرف السورى المساومة على الأرض .

---

(١) راجع جمال حمدان اليهود أنثربولوجيا .

ومن هنا فإن الذى يتابع الأحداث يدرك أن إسرائيل سوف تنتهى خارجيًّا إن لم يكن داخليًّا وتسوق هذه الحادثة ليدرك القارئ العربى والمسلم وكل من تصل إلى يده هذه الدراسة أن الإسرائيلى عدوانى إستفزازى .

ففى إحدى الاجتماعات الفلسطينية والإسرائيلية قبل أحداث التفجيرات الأربع جلس ضابط إسرائيلى كبير إلى جانب شيمون بيريز رئيس وزراء إسرائيل ولاحظ أن رئيس الوزراء نفسه فى مؤتمر صانعى السلام بشرم الشيخ كان يجلس بجواره رئيس الأركان الإسرائيلى والإحساس بالفزع والخوف ، وكان يجلس أمامهما الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات وقد جاء خصيصًا ليباغت عرفات بسؤال محدد حيث قال الضابط الإسرائيلى لعرفات ما رأيك فى عمليتنا الأخيرة التى قتلنا بها يحيى عياش ؟ لم يضق بيريز من ضابطه فقد استمر على بروده ولكن يبدو أن عرفات قد حيره الرد لا سيما أن الفلسطينيين العاديين يقولون عن هذه العقلية : إنها حيرت الأنبياء فماذا نفعل نحن ! ولم يجد عرفات لسائله سوى رد غامض بالإنجليزية قائلاً (Welcome) وهى بالعامية الفلسطينية أهلاً وسهلاً ، ونقول هنا : إن الإسرائيلى لم يكتف بالقتل للقتيل والمشى فى جنازته إنما يريد إعجاب القتيل به ! إن الذى ينظر إلى هذه الصورة التى عليها هذا الضابط الكبير ، يرى صورة عكسية لها بعد حدوث الانفجارات فقد صارت محطات الأتوبيس خاوية إلا من أعداد قليلة تركب فى حراسة رجال الأمن بعد أن أصبحت لهم أماكن مخصصة داخل الأتوبيسات وعلى كل محطة أتوبيس يقف جنديان ويتم تفتيش الركاب ولا ركوب إلا بعد تفتيش الشرطة ، والجيش والأمن فى كل مكان . وتقوم القوات بحراسة الأماكن الحساسة وأماكن التجمعات الجماهيرية الكبيرة يبحثون عن رائحة الفلسطينى!

موقفان متناقضان : العنجهية والخوف الشديد فى سلوك الإسرائيلى قبل العمليات الانتحارية وبعد مقتل يحيى عياش وقبل حرب ١٩٧٣ وبعدها ، إن هذه الشخصية وتكوينها النفسى لا تستطيع أن تعيش فى سلام ؛ لأنه بطبيعة تكوين عناصر الخزر القديمة التى ينتمى إليها ٩٥٪ من شعب إسرائيل هى طبيعة عدوانية كالمغول فهم من جنس واحد ، لذا فإن الذين ينادون بثقافة السلام ويدخلون فى مناقشات بشأن هذه النقطة يقعون فى خطأ قاتل فإن ثقافة السلام قد تكون من جانب البسطاء السذج الذين لا يدركون مكونات النفسية

الإسرائيلية وعقليتها بل أنهم فى دعوتهم هذه إنما يعملون على محو ذاكرة العرب بل اغتيال هذه الذاكرة التاريخية لصالح إسرائيل وعلى هذا وبعد هذا العرض فإن الحرب قادمة لا محالة مع إسرائيل طال الزمن أو قصر ، وفى هذه الحالة فلن تكون إلا الطَّامة الكبرى على إسرائيل بل تكون النهاية ، الموت بالسكتة القلبية ذلك لأن كل نبات طفيلى ظهر شيطانيًّا لابد أن يختفى فجأة كالأشباح ، ولن تكون نهاية إسرائيل إلا على تلك الصورة فإسرائيل زائلة لا محالة ، بعد قرن أو قرنين أو ثلاثة قرون ولكنها لن تصل أبد الدهر إلى خمسة قرون ولكن يكون اليهود إلا بقايا فى دولة فلسطين ، إن المستقبل دمويًا كما كان الماضى دمويًا ولايقول بغير ذلك إلارجل ساذج .

والحقيقة التى لاشك فيها أن الإسلام نفسه هو العقبة الحقيقية فى وجه الهيمنة الإسرائيلية فإذا نجحت إسرائيل فى تغيير مناهج التعليم فى بعض البلاد العربية لكى يتمشى مع رغباتها فلم تنجح فى تغيير لفظ أو حرف من القرآ ن الكريم ولن تنجح فى فرض اللغة العبرية ، فالإسلام والقرآن عقبة فى بقاء إسرائيل فى المنطقة وإسرائيل تحاول أن تلتف حول القضية فتحاول أن تصبغ المنطقة بالصبغة العلمانية الانحلالية وتحاول أن تلتف حول الإسلام بتمزيق الدول العربية الإسلامية وتقسيم المسلمين والعرب أنفسهم وانتزاع الجذور الأصلية التى تضرب فى عمق الزمن خمسة آلاف قبل الميلاد والغزو الثقافى والفكرى تحت مسميات مثل ثقافة السلام ، وماذلك إلا لطمس الهوية العربية الإسلامية ، إن التطبيع الذى تريد أن تكون به جزء من الأمة العربية الإسلامية هو وسيلتها للبقاء ولكن لن تسمح لها الشعوب العربية بالتطبيع إن الشعوب فى مصر وسوريا والأردن وفلسطين وكل العالم العربى والإسلامى إلا فئة قليلة لاتريد تطبيعًا مع إسرائيل إن إسرائيل وراء كل المشاكل فى المنطقة العربية بل والإسلامية أيضًا ، ذلك لأن السلام هو سلام حكومات ؛ لأن الحكومات فى واد والشعوب فى وادى آخر ولكن هل حدث استفتاء على اتفاقيات السلام مع إسرائيل بين الشعب المصرى والأردنى والفلسطينى ، إن السلام أسلوب الساسة وأن ذلك شعارًا ترفعه إسرائيل لتخفى ورائه أهدافها الحقيقية فى السيطرة على المنطقة ، ولكن كل ذلك لن يغير فى طريقة فهم الناس بحقيقة الصراع وما جاء فى القرآن عن إسرائيل ولن تستطيع إسرائيل الدخول فى قلوب الناس ، إنه رغم الترسانة الذرية

والتسليح الأمـريكى والمليـارات التى تتـدفق من المراكـز الصهيـونيـة من شتى أنحـاء العـالم فإسرائيل تحلم با لمستحيل فإذا هيمنت على الأرض فلن تستطيع الهيمنـة على الناس ، إذا قتلت فردًا فسيولد فى العالم العربى والإسلامى عشرة أفراد ، والعالم العربى ٢٧٠ مليون نسمة ، والعالم الإسلامى مليـار ومائتين وخمسين مليون نسمة ، إسرائيل سـوف تخسر معركتها مع الـزمن ، لقد جاء ذلك فى القرآن الكريم فى سورة الإسراء الآيات ٤ ، ٥ ، ١٠٤ . بزوال إسرائيل وكذلك جاء فى الأحاديث النبويـة الشريفة « يوم ينطق الحجر فيقول : يا مسلم هـذا يهودى ورائى فاقتله » . إن العدو الإسرائيلى سـوف ينتهى إلى دمار . إن إسرائيـل قامت لتـزول وأنها ستموت بـالسكتة القلبية وستكون نهايتها عاجلاً أم آجلاً نهاية مؤسفة .

إن الـرب يقول لبنى إسرائيل فى سفـر أرمينا بالإصحـاح الثـالث والعشرين (ها أنـذا) أنساكم نسيـانًا وأرفضكم من أمام وجهى أنتم والمرتبـة التى أعطيتكم وآباءكم إياهـا . إلى آخر العـديد من الآيـات التوراتيـة والإنجيلية . فـرذل الرب كل نسل إسرائيل وأذلهم ودفعهم ليـد تاهيين حتى طردهم من أمامه . إن التاريخ والكتب السماوية تقول بزوال إسرائيل ، إن إسرائيل بالكبرياء والغطرسة تطفىء النار بـالبنزين وتتطلع إلى الحياة فوق جثث العرب ، إنهم يسجنون الشعب الفلسطينى كلـه فى سجن الاحتـلال والغطرســة لكن إسرائيل إلى زوال وأن التـاريخ يقول بذلك .

إن « نبوختنصـر » الكلدانى لم يكن من رجال فتح أوحمـاس أو الجهاد الفلسطينى عندما فعــل فعلته فى عـام ٥٨٦ق.م وأزال اليهـود وحـرم فلسطين عليهم كـذلك لم يكن ســرجون الثـانى ملك أشور من حـزب الله أو المنظمات الإسلاميـة عنـدما دمـر إسرائيل وجعلها ولايـة آشورية عـام ٧٢١ق.م ولم يكن كذلك الملك (بيتبوس) حينما أباد شعب اليهـود وسبا الباقين عام ٧٠م وكـذلك الإمبراطور هـارديان عـام ١٣٥ م إن الإسرائيليين لم يقرأوا التـاريخ جيدًا كما أنهم لا يؤمنون بالقرآن الكريـم ولا برسوله ﷺ فلـو أنهم قرأوا القرآن الكريم وعرفوا هذه الآيات الكـريمة لما كـان هذا حـالهم ولعاشـوا فى ظل فلسطين كرعـايا وليسـوا حكاماً إن هذه الآيـة الكريمة ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجـد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** ﴾ هذه الآية لو وجد مسلم واحد يعيش فى أقصى بقاع الأرض فى بـورنى مثلاً أو جـزر المحيط الهندى أو ألاسكـا أو فى أية بقعـة من بقاع الأرض

وسأل عن المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين لقدم إلى فلسطين وحرر هذا المكان المقدس من أيدى اليهود الذين يرفضون جعل القدس الشرقية عاصمة الدولة الفلسطينية .

كذلك نحن نتلو قول الله الكريم القائل فى نفس سورة الإسراء ﴿ **وقضينا إلى بنى إسرائيل لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوًا كبيرًا ، فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادًا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدًا مفعولا** ﴾ (صدق الله العظيم) .

إن هذه الآيات القرآنية تقطع بالدليل القاطع على أن إسرائيل لامحالة زائلة كذلك فإن قول رسول الله ﷺ عن شعب مصر « ستفتح لكم مصر فاتخذوا من أهلها جندًا فهم خير أجناد الأرض وهم فى رباط إلى يوم القيامة » إن مصر ليس معنى اعترافها بالسلام كمنهج سلوكى فى المنطقة فإن ذلك لايعنى أنها غير قادرة على تحمل المسئولية قبل المنطقة العربية ولكنها بكل تأكيد قادرة وفاعلة ولكن للظروف الدولية أحكامها وللخريطة الجديدة التى تقوم بتشكيلها مراكز الدراسات المستقبلية فى الولايات المتحدة الأمريكية نصيبها لكن مصر ستكون محور السلام ومحور الحرب ولن يكون زوال إسرائيل سلمًا أو حربًا إلا بدور من مصر فهذا قدر مصر فى تحمل مسؤليتها التاريخية عبر أغوار التاريخ .

فهل تحقق نبؤة الإزالة قريبًا أو بعيدًا فالزمن قادم وقادر لامحالة على تصحيح الأخطاء التى لم يتداركها الذين أداروا الصراع مع إسرائيل سلمًا أو حربًا فلا مفر من نهاية إسرائيل لأن إسرائيل وجدت لتزول فهى دولة بلا جذور شأنها شأن الولايات المتحدة الأمريكية عمر الأولى ١٩٤٨ - ١٩٩٦م وعمر الثانية مائة عام قبل خمسائة عام منذ اكتشاف أمريكا ١٤٩٢م - توحيد أمريكا ١٨٥٨م

* * *



نظرة سريعة وفاحصة وعلى عجالة فى ثنايا هـذه الدراسة يدرك القارئ بعدها أننا وضعنا بين يديه موضوعًا يربط الماضى بالحاضر بـا لمستقبل عن أخطر قضية تواجه العرب فى تاريخهم الحديث حيث سلبت قطعة عزيزة هى عين قلب العرب تلك هى فلسطين حيث المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين وفشلت دعوة القومية العربية فى مواجهة المخطط الصليبى - الصهيونى فكان على العرب أن يقبلوا بوجود هذا الجسم الغريب سلامًا من منطلق السلاح الذرى والقوى العالمية الوحيدة القائدة للعالم ولكن السلام لايعنى النهاية فالسلام هو البداية إلى النهاية .

لكن القارئ حين يدرك فى أعماق هذه الدراسة أن حتمية الصراع عسكريًا وسلميًا لم تكن تدوم فترة طويلة ذلك ؛ لأن الحق التاريخى فى صالح القضية العربية منذ أربعة آلاف عام قبل الميلاد عندما خرجت الهجرات العربية من الجزيرة العربية إلى تلك الأنحاء جنوب الشام حيث أرض فلسطين ثم تنساح جنوبًا عبر سيناء إلى مصر وشمالاً إلى سوريا ولقد خرجت الهجرات من الكنعانيين والفينيقيين والبابليين والأكاديين والأشوريين والكلدانيين وسبأ ومعين وحمير تسلك طريقها لتكون الفرشة العربية فى فلسطين قبل أن نسمع عن هجرات تسمى العبرانيين

بآلاف السنين ويكونوا وحدة عربية قديمة شارك فيها أخوة العرب فراعنة مصر وشملت كل هذه المناطق حتى آسيا الصغرى ولاسيما أن القرن الثالث قبل الميلاد قد شهد الهجرة العربية الواسعة إلى فلسطين ٢٥٠٠ ق.م ثم مع حركة التاريخ القديم ظهرت أحداث سياسية واسعة ضمت مصر مع أقطار الشرق العربى ثم كانت القبيلة العربية بوليستو Pulestiu حوالى عام ١١٩٢ ق.م ومن ثم أخذت فلسطين اسمها من هذا الاسم وهنا نستطيع القول أن فلسطين عربية قبل هذا التاريخ كله أخذت اسمها منذ أربعة قرون هكذا فلسطين وهنا نضع الدليل القوى على عروبة فلسطين منذ أقدم الأزمنة .

وبعد ذلك تحركنا كثيرًا عبر فترات زمنية ؛ لأننا لم نقصد أن يكون بحثًا تاريخيًا عبر المراحل المختلفة لكن أردنا أن يكون له بعدًا سياسيًّا مستقبليًّا ومن ثم كان حديثنا عن الفكر الصهيونى وكيف ظهر على سطح الأحداث منذ القرن السابع عشر محاولاً اغتصاب فلسطين من أهلها الشرعيين بإنشاء وطن قومى لليهود وتحرير اليهود بواسطة اليهود وقد طرحت العديد من الأفكار بشأن تحديد وطن أو أوطان غير فلسطين لكن كان التصميم على اغتصاب فلسطين ، فكانت محادثات سايكس بيكو ثم وعد بيلفور ١٩١٧م وكيف استغل اليهود تسامح العرب الذين فى فلسطين وفتحت فلسطين للهجرة اليهودية أمام اليهود فى ظل حكم الانتداب البريطانى لاسيما أن عدد اليهود كان بسيطًا جدًا لايزيد عن ستة آلاف يهودى عام ١٩١٤م لكن الهجرة من مختلف بلاد العالم جعل الغلبة لليهود لاسيما فى ظل تحالف أمريكا وبريطانيا وكل أوربا على العرب فكان قيام إسرائيل فى ١٥ مايوا ١٩٤٨م .

ثم كيف وقعت إسرائيل فى مأزق تاريخى لاسيما جاء احتلالها لشعب له تاريخ حضارى وثقافى عميق لم يدرك الصهيونيون والصليبيون عمق النضال والقدرة على الرد والتصادم عبر التاريخ ومن هنا فإن الذين أعطوا وعد بلفور وساعدوا على الهجرة بالجملة وأمدوها بالسلاح والعتاد والتقنية العلمية وقعوا فى خطأ كبير ؛ لأن العرب ليسوا هنود حمر أو زنوج كالأقزام أو البوشمن أو البانتو ولكنهم شعب صانع حضارة وأنهم لن يقبلوا مهما كانت التحديات العالمية بأن تسلب أراضيهم ويأتى من يقيم عليها دولة من منطلق القوة والسيادة . إن الجذور العربية وقوة البعد الحضارى مهما كانت حالات الاستسلام القادرة على تصحيح وصمة العار الإسرائيلية ومهما تكن إسرائيل من قوة علمية واقتصادية وتكنولوجية وامتلاك للسلاح النووى

فإن ذلك مهما فعلت الولايات المتحدة والاتفاقيات الأمنية وضمان أمن السلاح وتفوقها على العرب ، فإن ذلك لن يحول عن امتلاك أى من الدول العربية أو الإسلامية للسلاح الذرى لاسيما أن هناك خمسون دولة مرشحة لامتلاك هذا السلاح فى خلال عشرون عامًا ، ولابد أن تكون أى من هذه الدول عربية أو إسلامية وهنا سوف يكون التوازن مع إسرائيل ويستطيع العرب أن يحققوا مطالبهم ولاتستبد إسرائيل بالرأى وفرض الرأى بأن التوازن النووى سوف يكون مقدمة لاقتلاع هذا الداء الخبيث من الجسم العربى .

ولكن يكون هذا السلاح ضامنًا لبقاء إسرائيل ، ثم تأتى بعد ذلك على الدور الأمريكى الذى يقود العالم منفردًا بعد عام ١٩٨٩م سقوط الكيان السوفيتى والكتلة الاشتراكية وتمزق هذا الكيان وفرض الإرادة الأمريكية على الشعوب الصغيرة وفرض قضية السلام على الشعوب العربية من منطلق إعادة صياغة المنطقة العربية من جديد فإن ذلك لن يدوم فقوة شرق آسيا الاقتصادية (اليابان - الصين - دول النمور - الهند) قادمة لامحالة وسوف تحقق التوازن فى مدى ربع قرن (٢٥ عامًا) ووقتها سوف نجد أمريكا نفسها وقد ظهرت قوة تنافسها وتحاول أخذ زمام المبادرة منها ولاسيما أن أمريكا تعانى من مشاكل داخلية كثيرة ؛ لأنها شعب خليط من من شتى الأجناس ويعانى كسادًا اقتصاديًا ومشكلة الديون والأقليات والزنوج وغيرها من المشاكل التى تجعلها لاتستطيع أن تولى العناية الكاملة للولاية الإحدى والخمسين (إسرائيل) إن إسرائيل مهما كانت تربطها علاقات مع أمريكا وغرب أوربا فإن ذلك سوف يكون على المدى البعيد فى طريقه إلى التراجع ؛ لأن مصالح أمريكا لأن تكون فى قوة إسرائيل وسوف لايكون الشرق الأوسط بعد نضوب البترول ومصادر الطاقة يشكل محور اهتمام للغرب ولاسيما أمريكا وسوف يكون ذلك عامل مساعد للحركة العربية الموحدة التى سوف يكون القرن الحادى والعشرين قرنًا يشهد متغيرات جوهرية فى البنية العربية التحتية ، حيث التعليم والصحة والثقافة والديمقراطية وتقارب إن لم يكن توحد العالم العربى فى أى شكل من أشكال الوحدة ؛ لأنه لاسيما بعد أن ظهرت كيانات قوية (الوحدة الأوربية) التافتا (أمريكا - كندا - المكسيك - الأسيان فى شرق آسيا) فلابد أن تكون السوق العربية المشتركة وليس السوق الشرق أوسطية أو الوحدة الكونفدرالية العربية أو قيام أربعة كيانات عربية فى الوطن العربى لأن توحد ٢٧٠ مليون أو ٢٠٠ مليون يشكلون قوى تضعف من الوجود الإسرائيلى مهما كانت العلاقات فإن التعامل العربى قادر على مواجهة التحدى ومن ثم فإن إسرائيل المكونة من

جنسيات كثيرة وطوائف غريبة وفكرة خاطئة سوف تجد نفسها فى حالة حرجة لاسيما أن إسرائيل تجمع غريب التكوين من شتات الأرض يجمعه الإحساس بالخطر فى ظهور قوات عربية على الحدود ولكن فى حالة السلام فإن الصراع سوف يكون داخليًا بين الفئات (السفارديم ، الأشكيناز ، واليهود الفلاشا ٩٥٪ من يهود إسرائيل) عناصر خزرية من وسط آسيا ثم تفرقوا فى شرق أوربا ولايشكلون أدنى صلة بيهود التوارة الذين ذابوا فى المجتمعات واعتنقوا المسيحية والإسلام ولم يعد لهم أدنى كيان فى تشكيلة الخريطة السكانية الإسرائيلية ، وكذلك وجود مليون عربى إسرائيلى يعيشون حاليًا داخل إسرائيل فإنهم سوف يزداد تعدادهم وتنمو قوتهم (ثورة خمسين قرية عربية فى إسرائيل ضد الاحتلال الإسرائيلى بمناسبة يوم الأرض ١٩٨٦م) بعد مرور عشرة أعوام (راديو لندن مساء ٣٠/ ٣/ ١٩٩٦) دليل قوى على الدور العربى فى إسرائيل الذى سوف يكون له دور فعال فى المدى البعيد لاسيما أن هناك ثلاث أحزاب عربية ولها اثنا عشر عضو فى الكنسيت كل ذلك سوف يكون عامل هدم فى بناء إسرائيل داخليًا .

إن الانهيار الخارجى سوف يكون عندما تتعارض المصالح الفلسطينة الإسرائيلية فى العديد من الأمور لاسيما مصادر المياه والحدود والمستوطنات فإن ذلك يشكل خطر لابد أن يحدث من صراع فى حرب قادمة ؛ لأن ١٩٧٣م لن تكون آخر الحروب ؛ لأن الكيانات الإقليمية لابد أن تحدث بينها صراعات وهنا يكون للعالم العربى المحيط بالدولة الفلسطينية دور فى إدارة دفة الصراع لأ؛ ن خسران إسرائيل لمرحلة واحدة سوف تكون نهايتها الأبدية .

وعلى هذا فإن كيان إسرائيل إلى زوال . لاسيما أنى تعلمت وأنا صغير فى قريتى الغنايم الواقعة فى حضن الجبل فى صعيد مصر الجوانى أن نقطة الدم لاتزيلها الأيام والسنين وأنها غير قابلة للعفن والعطن ، فكيف لاتتحرك الدماء فى عروق الأجيال القادمة على الطريق ليغسلوا وصمة عار قيام إسرائيل فى القرن العشرين (١٩٤٨) لاسيما أن أبناء العروبة فى القرون القادمة لن يكونوا مثل جيلنا هذا فلن ولن تدوم إسرائيل مائة عام بل مأتى عام بل خمسمائة عام وهكذا تزول إسرائيل من خريطة العالم العربى والعالم كله مصداقًا لقوله تعالى ﴿ وقلنا من بعده لبنى إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا ما جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا ﴾ [سورة الإسراء آية ١٠٤] . أى جمعناكم فى أرض إسرائيل من بقاع الأرض لتسكنوا هذه الأرض ويكون جمعكم هو النهاية.

* * *



١ - الإسلام والمسلمون فى جمهوريات آسيا الوسطى والاتحاد السوفيتى سابقا . دار الأمين، ١٩٩٦م .

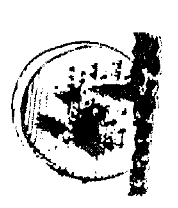
٢ - الإسلام والثقافة العربية فى أوربا . عالم الكتب ، ١٩٧٩م .

٣ - معركة بلاط الشهداء فى التاريخ الإسلامى والأوربى . عالم الكتب ، ١٩٩٦م .

٤ - الإسلام والعروبة فى السودان . مكتبة العربى ، ١٩٨٥م .

٥ - حركة المد الإسلامى فى غرب أفريقيا . مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٨٦م .

٦ - الإسلام والمسلمون فى جزر البحر المتوسط . مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٨٦م .



٧ - دور مصر الحضارى فى القارة الأفريقية . دار الموقف العربى ، ١٩٩٣م .

٨ - جمال حمدان فى ذاكرة التاريخ . دار الإشعاع ، ١٩٩٣م .

٩ - عروبة مصر قبل الإسلام . القاهرة ، ١٩٩٣م .

١٠ - كيف ضاع الإسلام من الأندلس بعد ثمانية قرون . القاهرة ١٩٩٣م .

١١ - موسوعة تاريخ المغرب العربى . ستة أجزاء . بيروت . مدبولى ، ١٩٩٤م .

١٢ - الحضارة الإسلامية وتحديات القرن الحادى والعشرين . مدبولى ١٩٩٥م .

١٣ - الإسلام وحضارته فى وسط أفريقيا . مكتبة مدبولى ، ١٩٩٦م .

١٤ - الإسلام والمسلمون فى شرق أفريقيا . مدبولى ١٩٩٦م .

وقد تُرجِم بعض من هذه الكتب إلى اللغة اليابانية والإنجليزية .

له أكثر من ألف مقال فى العديد من الصحف والمجلات المصرية والعربية والإسلامية فى مختلف أقطار العالم الإسلامى :

السعودية - الكويت - الإمارات العربية - اليمن - المغرب - الهند .

كتب فى : الأهرام - الندوة - أخبار العالم الإسلامى - المدينة المنورة - مجلة رابطة العالم الإسلامى - مجلة التضامن الإسلامى - مجلة الفيصل - مجلة الدعوة - مجلة العرب - مجلة الوعى الإسلامى - مجلة البلاغ (الكويت) - مجلة قافلة الزيت - مجلة منار الإسلام - مجلة الضياء - مجلة الإرشاد - مجلة دعوة الحق (المغرب) - مجلة الرائد (الهند) .


مطابع
ب ٩٣٢٧٠٦

إسرائيل إلى زوال

هذه الدراسة ليست قصةً خياليةً أو روايةً بوليسيةً أو أضغاثَ أحلام ، بل هى دراسة تاريخية سياسية تضرب فى أعماق الزمن البعيد قبل الميلاد لتؤكد عروبة فلسطين منذ أربعة آلاف عام قبل الميلاد ، وكيف كان الاغتصاب الصهيونى الإسرائيلى لأرض أولى القبلتين وثالث الحرمين نكبةً حلت بالعالم العربى فى عصره الحديث بعد أن فشل الاستعمار فى العصور الوسطى (الحروب الصليبية) والعصر الحديث فى السيطرة على دار العروبة والإسلام ، فكان زرع إسرائيل تقسيمًا وسيطرةً على العالم العربى .

لكن ذلك لن يكون نهايةً للتاريخ ، فالصراع مستمر ، والزمن قادم ، والعرب باقون ، ولن تكون الأيامُ إلا شاهدًا على زوال إسرائيل ، ولقد عالج الباحث المدقق الدكتور عبد الفتاح مقلد هذه الدراسة ربطًا بين الماضى والحاضر والمستقبل ؛ ليضع أمام الأجيال رؤيةً تاريخيةً لنهاية إسرائيل .

وهذا الكتاب لاغنى عنه لكل فئات القرّاء الذين يتابعون حركة التاريخ ويدركون أن الحتمية التاريخية تؤكِّد زوال إسرائيل مهما كانت الأحداث الحالية على السَّاحة العربية والعالمية .

الناشر

دار الأمين — طبع ★ نشر ★ توزيع — DAR AL AMEEN

٨ شارع أبو المعالى (خلف مسرح البالون) العجوزة ت : ٣٤٧٣٦٩١
١ شارع سوهاج من شارع الزقازيق (خلف قاعة سيد درويش) الهرم
١٠ شارع بستان الدكة (من شارع الألفى) القاهرة ت : ٩٣٢٧٠٦

